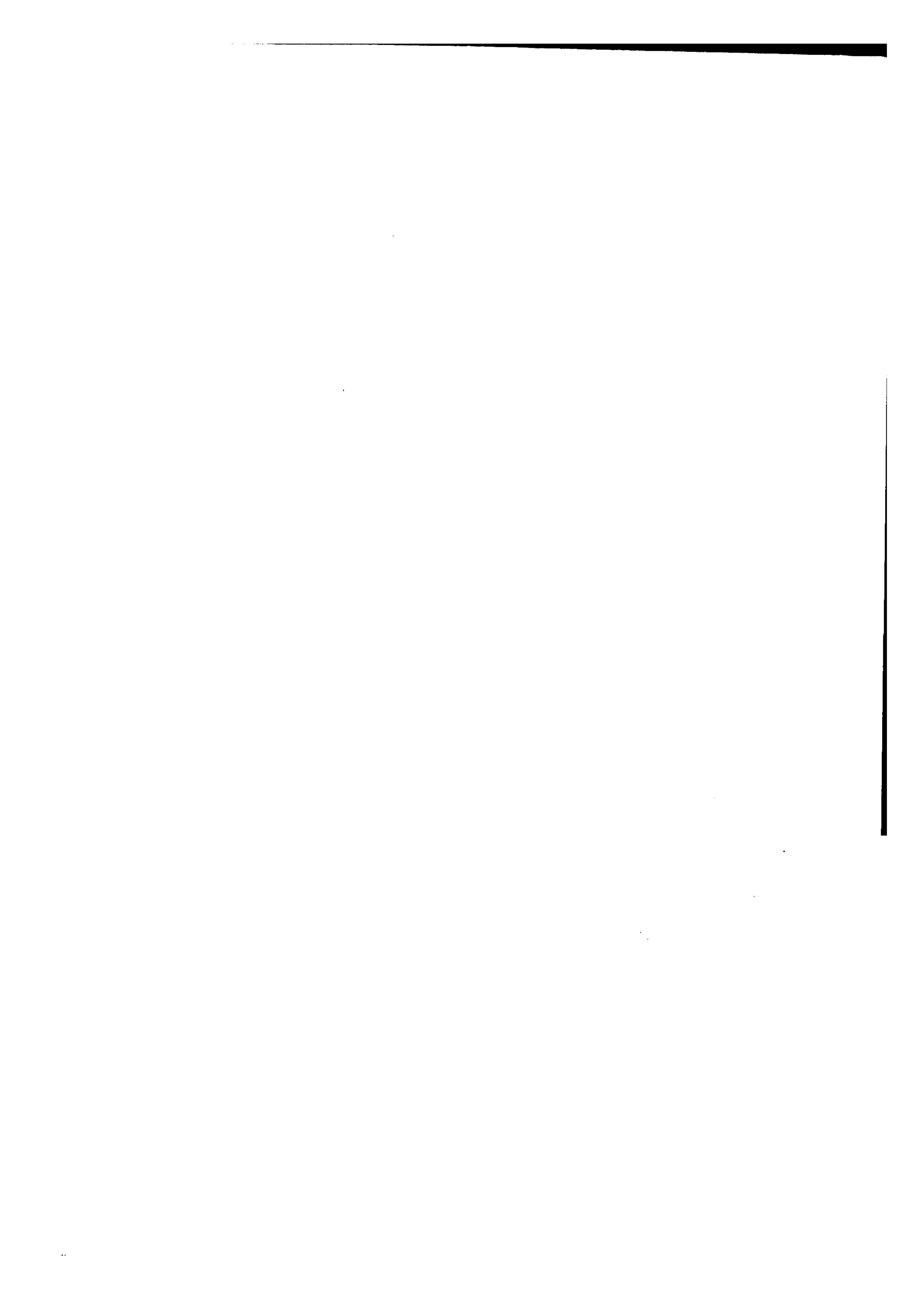
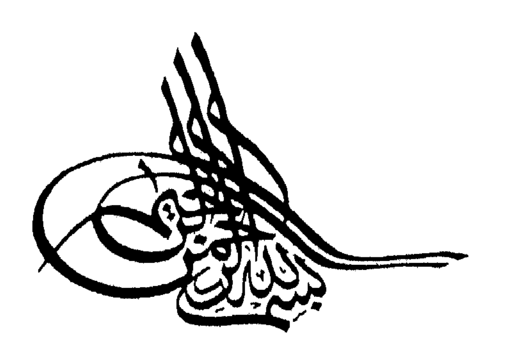
جناية الأكوع
على ذخائر الهمداني

تأليف

أحمد بن محمد الشامي







أحمد بن محمد الشامي

جناية الأكوع

على ذخائر الهمداني

دار النفائس

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

© دار النفائس

بيروت، ص ب ٦٣٤٧ - هاتف ٢٥٨٧٣٨ - ٣٠١٤٤٧ - برقياً: دانفايسكو

الإهداء

« أهْدي الكِتابَ إلى الصَّديقِ الماجِدِ بنِ المَاجِدِ »
« القاضي فَضْل بْن عليّ الأكوع حفظهُ الله »
« وإلى صديقي العلاّمة إسماعيل الأكوع حرسه »
« الله . مَعَ تَقْديري ، واعْتذاري إذا كُنْتُ » .
« قَدْ أغْرقتُ في الإيضاحِ ؛ أو قُلتُ مَا لاَ يَليقُ »
« وَما أظُنُّني فَعَلْتُ ـ راجياً أن يُطالعا مِنْ »
« جَدِيد . . ما قاله « القاضي محمّد الأكوع سامحه الله »
« عَنْ بعضِ المواطنين من العُلَماءِ والشّعراءِ في مُقدمته »
« الشّوهاء » وهَذَا تَبيينٌ لِكُل عائِلة الأكْوع »
« الكريمةِ . . سواء كانَتْ « حِواليّة » ، أو يَحْصبيّة »
« أو « عَدْنـانيّة » ، أوْ « هَمـدانيّة » و « إنمـا المُؤْمِنونُ إخْوة »

« وقدْ قَالَ « شوقي » يُخَاطبُ سيّد البَشر : ﷺ
« فَرَسمتَ بَعْدَك لِلْعبادِ حُكومَةً »
« لاَ » سادةٌ فيها وَلاَ « أُمراءُ »
« اللهُ فَوقَ الخَلْقِ فِيها وَحْدَهُ »
« والناسُ تَحْتَ لِوائها أكْفاءُ »
« وهو مَا نعْتقده جميعاً ؟

أحمد بن محمّد الشّامي

برونْلي : ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ ـ ٢٢/٢/١٩٧٩ م

الفصلُ الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا «الهمداني» فهو العلَمُ الشَّامخ صاحب « الاكليل » و « صِفة جزيرة العرب » ، و « الدّامِغة » ، وعشرات الكتب وهُو بحقٍّ « لِسانُ اليمن » .

وأمَّا «الأكوع» فهو القاضي العلاّمة الأُستاذ «الفَاضل» محمّد بن علي الأكوع الّذي حقَّقَ بعضَ أجـزاء « الإكليل » ، وساهـم في تأليفِ الكِتـاب المشهور « إبنُ الأميرِ وعَصـره » والمشـار إليه في كتابـي « قصـة الأدب في اليّمن » ص (٣٥) . وأخوهُ هو القاضي الأديب المهذّب : إسماعيل الأكوع جامع « الأمثال اليمنيّة » .

وقد أخرج القاضي محمد الأكوع كتابَ «قصيدة الدَّامغة وشرحها» لِلْهمداني ؛ وَحَسَـبُ كلامِهِ في نهاية مقدّمتِه لِلْكتاب أنّـه فرغَ مِن « التّحقيق والتّهذيب » في ٢٠/ مارس سنة ١٩٧٧ م ـ ٣/ ربيع أوّل سنة ١٣٩٧ هـ .

وكنتُ ـ عَلِم الله ـ قد سُررتُ عندَما بلغني أنَّ ذلك السِّفـر الجليل قد خرج من الظّلماتِ إلى النّور ؛ وهوَ ما كنتُ أصبو إليه ، واشتَغَلْـتُ في نَسْخِهِ ، وضَبْـطِ كَلِماتِهِ وتَفْسير غوامِضِه حوالي عشرينَ عاماً .

ولكن . . ما إنْ وَصَلت «الطبعةُ» المذكورةُ إلى يدي وتَصَفَّحْتُها حتّى نَالني مِن الخَيبةِ أضْعافُ ما سَبَقَ أن مَسّني من السّرور ؛ ذلِكَ لأنَّ القاضي الأكوع لم يُجْهِدْ نَفْسَهُ في سبيل تحقيق وضَبْطِ نصوص « الدَّامِغة » وشرحها لِلْهمداني حتّى يتمكّن القارىء العَربيّ مِنْ قِراءَةِ الكتاب قِراءةً صحيحة ؛ وتلك هِيَ غايةُ وَهَدَفُ المحقّقين لأُمّهاتِ وذَخائِر الأدب العربي ؛ ولا سيما و « لِسان اليَمن » رحمه الله قد أَفْعَمَ كتابَه بنصوصٍ وأخْبارٍ وأشعـارٍ يمنيّةٍ وغيرِ يمنيّة لا تكاد توجدُ في غيره . . ولا بُدَّ أن أعترفَ بأنّي كنتُ متأرْجحاً بَيْن الخَشْيةِ والرَّجا حينَ

بلغني إقدامُ الأستاذ القاضي محمّد الأكوع على تحقيقِ الدّامغة ؛ لا لأنّي أعرف قُدرتَه وذَوقَه الفَنّي ، وموهبتَه الأدبيّة فَحَسْب ؛ بلْ ولأنّي أعرف أنّ نُسَخَ الدّامغة » وشرحها قد تناولتها أقلامُ النّساخ بالمسخ والتّحْريفِ ، والإنتِحال ؛ وكل ذلِكَ يَسْتَدْعي التَبصّر ، والرويّة ، وخبرة النّقدِ الشّعري ؛ ومَلكَةَ التَمْييز الفَنّي لأساليب البيان ! وكنتُ أرجو أنَّ القاضي الأكْوَع سَيَعْرضُ شروحَه وحواشيه على الشّيخِ الأستاذ المحقّق « حَمَد الجاسر » كما فَعَلَ عند إخراجِه لكتاب « صفةِ جزيرةِ العرب » للْهمداني فبذل الأُستاذُ الشيخ حَمَد مِنَ الجُهْدِ والوَقْتِ في تَلْطِيفِ وتَنْقيحِ وحَذْفِ الكثيرِ مِمّا كَتَبَهُ « القاضي » ؛ وقدَّم لَه مُقَدِّمة بديعة ، حتّى خَرَج الكِتابُ في حُلّة قشيبة ؛ وقد شاهدتُ بِنَفْسي عنايةَ ، وتَعب الشّيخ حَمَد عافاه الله . ولكنَّ القاضي الأكوع إسْتَغْنى هذِهِ المرَّة . واعْتمد على من شكرهم في آخر الكتاب وهُم ـ رغْمَ ما يَتَحلّونَ بِهِ من فَضْلٍ ـ غير مُتَخصّصين في فنِّ شَرحٍ وتحقيق المخْطوطات ؛ وهو فنٌّ قائمٌ بذاته . . وما إن شرعتُ في قِراءة الكتاب حتّى فوجئت بما لا يُحتَمل من الغَلطات ؛ بَيَانيّاً ، ولُغويّاً ، وتَصْحيفاً ، وطبعاً ، وأدَبيّاً ـ ولا أقول تاريخيّاً ـ فسأترك ذلك الآن .

ولِذلك قرَّرتُ خِدمةً لِلقراء اليمنّيين وغيرِهم ، أن أتبرّعَ بتَصْحيحِ ما يَظْهر لي مِن غَلطاتِهِ سائلاً من الله الهداية والعون .

وقد صدَّرَ القاضي الأكوع كِتابَ «قصيدةِ الدَّامِغة» بمقدّمةٍ طويلةٍ سَوَّدَتْ ثمانيةً وثمانين صفحة ؛ سيكون لي مَعَهَا موْقفٌ طويل بعد إكمال تصْحيحِ الغَلطات في دامِغة وشرحِ « الهمداني » ؛ إذ لا يهمّ طُلاّبَ العِلم والأدب ما وردَ في تِلكَ المقدّمة من دَعاوَى وتَحامُلات ، ولا تضرُّهُمْ ، ولا تَنْفَعُهُمْ ، وإنما يهمّهم ويهمّني إنقاذُ كِتابِ الهمداني . . . ثُمّ وفي النّهايةِ سوفَ أتناولُ بالقَول الفَصْل ما وردَ في المقدّمة ؛ ولا ضير إن جَعَلْتُ منَ « المقدّمة » والبِدايةِ ، خاتِمةً و «نهاية» !!

(١) أعشارٌ لا إعتبار :

في ص (٣)(٤) رسَمَ الأستاذ الأكوع العبارة الهمدانيّة هكذا : « وفَهِتُ ما

ذَكرتَ فيهِ مِنْ تَعَلّقِ قَلبِكَ باعْتِبارِ قصيدةِ شيخي » الخ وعلّق على لفظة « باعتبار » قائلاً : « كذا في الأصلين » ! ولو أنَّه أعْمَلَ فكره لَعَرف أنَّ النصَّ هكذا« مِن تَعلّقِ قَلبِك بأعشارِ قَصيدةِ شيخي والعِشْرُ : القِطعةُ جمعها أعشار ؛ ومنه بيت امرىء القيس :

وما ذرفَتْ عَينَاكِ إلاّ لِتَضربي بِسَهْمَيْكِ في أعْشارِ قَلْبٍ مُقَتّلِ

(٢) نظامٌ لا نمط :

في نفسِ الصفحة (٤) : «فَتكونُ نَمَطاً والقصيدة سِلكه» ؛ والذي في نسخة دار الكتب المصرية هكذا : « فتكون نِظاماً والقَصيدةُ سِلكه » وهو أقرب إلى الصَّواب فالنَّمط لغةً : هو الطريقة ، والنّوع . . والنّظامُ مِن نَظَمَ ينظُمُ نَظْماً ونِظاماً . . اللّؤلؤَ ونحوَه ألّفَهُ وجمعه في سلك ، ومنه نظم الشعر ؛ ومن المُمْكِن أن يكون الأصل هكذا : « فتكونُ سِمْطاً والقصيدة سِلكه » فحرّفها القاضي أو النّاسخُ وجَعَلها « نَمَطا » ؛ والسّمط هُوَ الخيطُ ما دامَ الخرز أو اللّؤلؤ منتَظِماً فيه : ج ؛ سموط .

(٣) وفي نفس الصفحة (٤) : « وقد سألتَ ذَلِك أعْظَمَ الشّطَطِ » وصوابُ العبارة هكذا : « وقد سألتَ في ذَلِكَ أعظمَ الشَّطَط » .

(٤) أعْنَتَهُ ؛ لا أَغْنَتْهُ :

وفي ص (٥) نقلَ الأستاذ الأكوع عبارة الأصل هكذا : «فان أقامَها أَغْنَتْهُ وإن أغفَلها أفْلَتَه» . . والصَّواب«أعْنَتَهُ» بالعين المهملة من العَنَتِ ؛ هذا إلى أن لفظة « البيّنة » غير واضحة في الطّبع ؛ كما أنه وضع همزةً على ألفِ « الْغَيّ » فأصبحَتْ و« ألْغي » ، وفي آخر الصفحة نقل العبارة هكذا : « وتُسعفُه المقدرة » والأصل في نسخة الدّار : « وتُسْعِفُ فيه المقدرة » وهو أكثر صواباً . هذا إلى أنّه لم يهتم بتنقيط ، وتَصْحيح ألفاظٍ كثيرة في هذه الصَّفحة ؛ واهْتمّ بترجمة الشّاعر المشهور ؛ « ابن الخطيم » في حاشية طَويلة . . وكان الأحرى أن يهتمّ بالأصل ، ويُحيل القارىء إلى ترجمة « إبن الخطيم » في ديوانِه المطبوع والأغاني والطّبقات .

(٥) ونسألُ الله أن :

في ص (٦) نقل عبارةَ الهمداني هكذا : « فسأل الله أن يجنّبنا » ؛ والصَّواب : « ونسْأل الله أن » والحواشي رقم (١) و (٢) و (٣) مِنْ فضولِ القول ؛ لأنَّ الهمداني قد فَسرّ المرادَ في الأصل .

(٦) وفي ص (٧) لفظة « الفقد » لم تُنقط ؛ والحواشي لا فائدةَ فيها ، و « الأخطل » مشهور ، وكانَ الواجب العناية بتصحيح الملازِم قبلَ تقديمها لِلطَّبعِ الأخير ؛ ولَولَمْ يُترجم لِلأخطل !

(٧) تَتَابَع لا « سَاجَعَ » :

صفحة (٨) مملوءة بالأخطاء المطبعيَّة ؛ رسماً وترقيماً وقد نقَل عبارة : «غُمَّ علينا الهلالُ أيّ سترةُ الهلال » هكذا . . وإنما هي : « أيّ سُتـرِ الهلالُ » . ونقل عبارة الهمداني هكذا : « سَجَمَتْ عَينُ فلانٍ إذا ساجَعَ قطر عينِها » والصوابُ : « إذا تَتَابع قَطْر عينها » . و « فالإرزام » وإنّما هي : « وَالإرْزَام » بالواو ؛ وضبط البيتَ التاسعَ من الدّامغة هكذا : « فَخِلْتُ دَوادَيْ الولْدان » بفتح الدّال الثاني في دوادي وانما هي « دَوادِيَ » بالكسر . وفي الحاشية رقم (١) فسَّر الآيات بالعلامات ، وكان الهمداني قد فسَّرها في الأصل بذلك ، وحاشية رقم (٣) في نفسِ الصَّفحة لا معنى لها ولا ندري أينَ رقمها في الأصل .

(٨) الغُـلُّ القمِـلُ :

في ص (٩) «يريد لوتد» والصواب «يريد الْوَتِد»، وفي السَّطر السادس منها «وموضع الرَّفع ويخفق»؛ وإنّما هي «ويُخفِّف»، وفي السطر السابع : « وللغلال الغل » ، والصواب : « والغِلالُ : الغُلّ » ، وفي السَّطر الثّامن : « وفي حديث النساء » والصواب : « وفي الحديثِ ؛ النّساءُ » الخ وفيها « الغل الغل » هكذا . . وانّما هي : « الغُلُّ القَمِل » وكان ضبْطُها يُغْنِيهِ عنِ الحاشية ؛ ولَوْ رَجعَ إلى « لِسان العرب » لوجد فيه : « وفي الحديث ؛ وإنّ مِن النّساء « غُلاًّ قَمِلاً » يقذفُه اللهُ في عنقِ مَنْ يشاء » وهو ما أرادَهُ وأوْرَدَهُ

الهمداني بتصرّف ما . وقد ضبط البيتَ الحادي عشر مِن الدّامغة هكذا :

«وسَفْعٍ عارياتٍ» بفتح السّين، والصَّوابُ: «وسُفْعٍ» بالضمّ جمع سَفْعاء ، وحاشيتُه رقم (٣) قد تَرْجَمَتْ لِلشاعر « حميد بنْ ثَور » وكان في إمكانه أن يشير إليها في ديوانه المطبوع وفي « الإصابة » ويهتمّ بتَصْحيح وضَبْطِ نصوصِ الكتاب ! .

(٩) العَلاطينُ . . لا الملاطين :

ص (١٠) : في السَّطر الأوّل: « سَفْعاء الملاطين » والصواب : « العَلاطين » ؛ و« فروع أشا » والصواب « أشاء » واو ضبطها كذلك كما في نسخةِ « الدَّار » لاستَغْنى عن الحاشية رقم (١) ولا بأس أن يفسّر « العلاطين » و« أشاء » ، وتصحيح العبارة في السَّطر الثالث هكذا : « وضمَّ بينَ اصْبعَيه » ، والبيت في السَّطر السَّابع رَسَمَهُ هكذا « كأنّه أسْفع الخدّين » والصَّواب : « كأنّها » هذا إلى أنّ الحاشية رقم (١) مملوءة بالأغلاط المطبعيّة ؛ وكَتَبَ البيتَ في السَّطْر التّاسع هكذا :

« مسفّع الخدّ نَشط شبب »

والصَّواب هكذا : « مُسَفَّعُ الخَدِّ عَادٍ نَاشِطٌ شَبَبُ » .

(١٠) يا ليته ترجمَ لِلْيمنيين :

في الصفحة (١١) كتب « الأكوع » البيتَ هكذا: «حمت عليه الدرع حتّى وجهه » والصَّواب : « حَمِيَتْ عليهِ » . وكتب العبارة في السّطر السادس هكذا : « لم يوقد من زمان » وفيها سَقَطٌ ، والصَّواب ؛ « لم يُوقَدْ بَيْنَهُنَّ مِنْ زَمان » . على أنّه لم يَستطع إلاّ أن يترجم للشّاعرين المشهورين مُتمّم بن نُويره ، وأبي ذؤيب الهُذَلي وبأسلوبه المعروف ؛ وكانَ مِن واجبه بَعْدَ ضَبْطِ وتحقيق نصوص الكتاب أن يَهْتَمَّ بالشعراءِ المجهولين ، ولا سيما مِن اليمنيّين الّذين ورَدَتْ أسماؤهم في شرح الدَّامغة ، ويضرب صَفْحاً عن المشهورين المعروفين من شعراء الشّام ، والعراق و« الحجاز » والخلفاء والصحابة ،

وممّن تطفح بأخبارهم كتب الأدب . ويا ليتَهُ أجهد نفسَه ، ووقف طويلاً عند كلام « الهمداني » في شرحه للدَّامغة عن شعراء وخطباء اليمن ، ونقّبَ عن أخبار المجهولين منهم ، لأنّه بذلك سيأتـي بشـيء جديد مفيد ـ لكنَّـه ـ ويا للأسف قد مرّ عليهم مرور الـ . . الـكرام !

أمَّا حاشيتُه رقم (٣) فقد فسّر « القرّ » بأنّه « البـرد » ، وأنَّ « شـكوت » من ذوات « الواو » وهو ما قد ذكره « الهمداني » في الأصل . . !

(١١) غَلَطاتٌ مَطْبعيّة ، وغُفُولٌ :

في ص (١٢) لفظـة « الأثافـي » غير واضحـة في السَّطـر الأوّل ، وكذلك « رُبما » في السَّطر الثاني ، و « كلثوم » ورسَمَ « جديله » بالبـاء الموحّـدة ، وإنّمـا هي بالياء المثنّـاة ، وفـي السَّطـر الثامـن : « أي سرداء » ، والصّـواب « سوداء » بالواو ، ثم قول « الهمداني » : « وبقـي ما لـمْ يصْـلَ النّـار علـى حاله » كتبها هكذا : « مـا لـم تصـل » . وقـد يكون كلّ ذلك من الغلطـات المطبعيّة . ولكن ؛ أما كان على المحقّق التَّصْحيح قبل الطَّبع الأخير أو التَّنْبيه إليها في جدولٍ يُلْحَقُ بالكتاب ليقرأه النّاس قراءة صحيحة ؛ وذلك في رأيي ـ وليُعْذرني القاضي ـ أوْلى من الترجمـة للشّاعـر «عمرو بن كلثـوم » صاحـب المعلقة! مع أنها أيضاً ترجمة مفعمة بالأغلاط .

كما أنَّه لم يفهـم عبـارة « الهمدانـي » في السَّطـر العاشـر ونَقلهـا هكذا : « واحدتها طلا مقصور ترى غزاها وأخشافها » ثم علّق عليها بحاشية رقم (٣) قائلاً : « كذا في الأصل ولعلّها ترى غزلانها » ! وهو تعليل لا يُقرّه من يملك ذوقاً لغويّاً ، ولو تأمّل الأستاذ ـ أو مساعدوه ـ الأصلَ لعرفوا أنّ عبارة الأصل هكذا : « والأطلاء : واحدتها « طلا » مقصورٌ ؛ صغارُها وأخْشافها » ، أي أن « الأطلاء » الواردة في بيت الدّامغة رقم (١٣) ؛ هيَ صغار وأخشاف البقر الوحشية . ولكنّه قد شغل نفسه بالعودة إلى كتاب « الأغاني » لِيُترجم لِلشّاعر المشهور « زهير بن أبي سلمى » ؟ !

(١٢) صفحة (١٣) كتب القاضي الأكوع بيت « زهير » الوارد في السَّطر الأوَّل هكذا :

« بها العين والأرام يشين خلفة وأطلاؤه ينهضْنَ من كل مجثم »

والصواب : « وأطْلاؤهــا » و« يَمْشِينَ » وكان عليه أن يضبط عبـارة « يمْشينَ خِلْفَة » كما في الأصل ، وأن يفسّرها ويقول : معناها : تذهَبُ هذِهِ وتجيءُ هذه كما في كتب اللّغة .

على أنّ صفحة(١٣)هذه مملوءة بالغلطات المطبعيّة ، والسطران الرابع والخامس يخالفان ما في الأصل المخطوط ، وقد أسقط عبارة كاملة وهي : « وللرّجال والنّساءِ « إضربْنَ زيداً » ، بعد قوله : « وللرَّجل اضربـن » وكان من واجبه وقد تصدّى للتّحقيق ان يهتم بالنصّ أوّلاً ويحقّق ما ورد فيه نحويّاً بدلاً من الحاشية رقم (٢) التي ترجمَ بهـا للشاعـر « احيحـة » بن الجـلاح وأخباره في الأغاني . .

(١٣) ص (١٤) في السطر السادس ما يلي : « والذَّكر شاة الضأن والظبا » وفيه سقط والصواب :

« الأُنثى شاة مثل الضأن والظّبا » الخ ، وجاء في السطر الثّامن : « إذا سارت الإبل تبعه الحادي » والصَّواب : « تَبِعَها » وحاشيتهُ ـ من حِفْظِهِ رقم (١) مع اختها رقم (٢) الّتي ترجم بها للصَّحابي المشهور « أبـي هريرة » مملوءتان بالأغلاط المطبعيّة ؛ وهل سيعذرني القاضي محمد الأكوع وأنا أعرف سعـةَ اطّلاعه ـ إذا قلتُ أنّني كلّما قرأت حواشيه وتعليقاته . . ازْدَدْتُ تقديراً للجهْدِ المشكور الذي بذله الأستاذ حَمَد الجاسر حين شَطَب ، ونقّح حواشيَهُ على كتاب « صفة جزيرة العرب » فأنقذ « الهمداني » وأراح القرّاء ؟ .

وقد ضبط لفظة « مُطَار » في البيت السادس عشر بفتح الميم والصوابُ ضمُّها .

(١٤) أما صفحة (١٥) ففي سطرها الثّاني : « وديا ثقيف » ، والصواب :

« وديار » ، والحاشية رقم (١) تكرار لِكلام الهمداني في الأصـل ! وفـي

السّطر الثّالث : « وهو في ديار هوازن لِبني هلال » . وقد وردَت العبارة في نسخة « دار الكتب » هكذا : « وهـو في دِيارِ هوازن ثم من هوازن لبنـي هلال » ، وفي السّطر الرابع : « اليمن وغيره » وفي الأصل « وغيرها » . وضبط لفظة « دَوالجَ » في بيت الدّامغة السّابع عشر بضم الجيم والصواب فتحها ، ونكرّر القول أنّ الأمر لو كان من قبل « الغَلطات المطبعيّة » لكان عليه مراجعتها من جديد أو التّنبيه عليها ؛ فهي كما ترى كثيرة جداً ؛ وإهمال ذلك لا ينْسَجِم مَعَ مسؤولية التصدّي للتّحقيق ؛ وفي الأثر « رَحِمَ اللهُ امرءاً عَمِل عملاً فأتْقَنه ، وللهِ درّ القائل :

إذا لـمْ تَسْتَـطِـعْ أمـراً فَدَعْهُ وَجَـاوِزْهُ إلـى مَـا تَسْتَطيـعُ

وحاشيته رقم (٢) جعل رقمها (٣) وأحال القرّاء إلى الإكليل لِمَعرفةِ المواقع والأماكِن المذكورة في الأصل ؛ وفي رأيي ؛ أنّه لو ضَبَطها وعرّف بها لأفاد ولا بأس أن يُحيل القرّاء إلى كتب التّراجم بالنسبة إلى « كعب بن زهير » في الحاشية (٦) ، وفي رقم (٣) رسم « الشّعْرا » النّجم . . بالألف الممدودة ، وإنما هي « الشّعْرى » ، وفي السطر السّابع : « في طرف النّهار ، والصواب : في طرفَيْ النّهار » . وفي السّطر العاشر من الأصل : « وأكثر الآل عساقيل رقاق يركب الشخص » الخ والصّواب : « تركب » وكان عليه أن يُفسّر العَسَاقيل ، وأنّها جمع « عَسْقل » ، والعَسَاقل والعساقيل : السرابُ ؛ والقِطعُ المتفرّقة من السحاب .

(١٥) وفي ص (١٦) أورد العبارة في السطر الثاني ؛ هكذا : « والأمواج يزهى السفينة ويرفعها » والصواب :

« تَزْهَى » ،و « ترفع » ،وكان عليه أن يُفسّر « زها » وأنّه يقال « زَهَا السَّرابُ الأكمةَ » ؛ أيّ علاها ، وأنه من « زَهَى يَزْهَى » ولا يُقال « يَزْهُو » ولفظة « مرامير » في السّطر الخامس صوابها : « مَواقير » بالواو والقاف ، وفي السّطر الثّامن رسم« الرُّواء »مقصوراً وهو ممدود ولم يشرح البيتَ كما أنّه كتبَ « عُلْيا » في بيت « الدّامغة » « عُلْياءَ » بالهمزة المفتوحة ففسدَ الوزنُ ؛ والصّواب القَصرُ لغةً وعروضاً . ولو أنّ أستاذنا القاضي « الأكوع » قد عُنِيَ

بذلك لاستفاد القارىء أكثر مما يَسْتفيد من تلك « الحواشي » المفعمة بالأغلاطِ ، والّتي يذْكرُ في إحداها« الكوفة » وأنها كانتْ عاصمة الإسلام أيام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأنّه نفسه قد زارها وشاهد معالمها . . !

(١٦) في السَّطر الأوّل من ص (١٧) جاء :

« يقول الرجلُ يا آل فلان »والّذي في نسخة « الدّار »:« يال فلان » وهو الصَّواب ، وفي نفس السَّطر جاء : « وقد روي يايفا « يال فلان » وعلّق الأُستاذ بحاشيةٍ مُستغرباً دُونَ أنْ يُصحّحَ العبارة ؛ ولو كنتُ منهُ لراجعتُ المظان من كتب الحديث واللّغة . وقد ضبطَ عجزُ بيت الدّامغة التّاسع عشر هكذا : « يَهِبْنَ الخِندِفينَ إذا انْتَضَيْنَا » ! بكسر « هاء » « يَهَبْنَ » وفتح « التاء » و« الضّاد » في « انتُضِينا » وهو وهمٌ ؛ فالهاء في « يهَبْنَ » أي « يَخَفْنَ » مفتوحة ؛ والتاء في « انْتُضِينا » مضمومة على البِناء لِلْمجْهول ، والضّاد مكسورة لِذلك ولو كانت كما ضَبَطها الأستاذ لفسَد المعنى ، وحَصَل السّناد وهو عيبٌ عروضيّ يتحاشاه مثل « الهمداني » .

ولكن الأُستاذ قد اشتغل عن التأمّل والضَّبْط ، والتَّصحيح بقصّة « ليلى » ابنة حلوان وسبب لقبها ، وانّها « خندفت إثر زوجها » في حاشية رقم (٤) ولم يأت في حاشيته رقم (٥) بجديد لا يعرفه كلّ من يقرأ القرآن الكريم .

(١٧) وسَادسة الأثافي :

وفي ص (١٨) وما أدراك ماذا في ص (١٨) ؟ فأخطاؤها ، وغلطاتها تَفْتَقِرُ إلى رسالةٍ مستقلّة .

أولاً : رسم السَّطر الأول هكذا:« السفر الكتاب من التوراة والصحف والسفره الكتب » وهو تحريف والصواب « والسَّفرَةُ الكَتَبة » ؛ فالسَّافر لغةً هو الكاتب والجمع : سَفَرة وجمع الكاتب : كُتّابٌ ، وكَتَبة .

ثانياً : ضبط شطْرَ البيت الواحد والعشرين من« الدّامغة »هكذا:« لقد جَعَلوا طعامَ سيوف قومي » بفتح الجيم ، والصّواب ضمّها « جُعِلوا » وبكسر العين .

ثالِثاً : رسم البيتَ الذي يليه هكذا :

« كما الجـرذان لِلسنّـور طَعْـمٌ وليس بهَائـبٍ منهـا ما يبينا » ؟

وتجاوزه دون تعليق وفيه غلط واضح ؛ و« طُعْم » بضمّ الطّاء لا بفتحها ، لأنَّه بالضمّ معناه الطَّعام ، وهو ما أراده « الهمداني » أما بفتح الطّاء ؛ فهو ما يُدرِكه الذوق من حلاوةٍ أو مرارة ؛ ثم أن القاضي الأكوع قد تبرَّع وأضاف إلى البيتِ « ما » وحـرّف «مِئينـا » فجعلهـا « يبينـا » والبيت في الأصـل هكذا : « وليسَ بهائبٍ منها مِئِينا » أي أن « السنّور » لا يَهاب المِئات مِن الفئران . .

رابعاً : ضبط البيت الثالث والعشرين هكذا :

« كمـا جَعَلَـتْ دمـاؤَهم شرابـاً لَهُـنَّ بكلّ أرضٍ ما ظمئْنا .
ففتح جيم « جُعِلتْ » و« عينَها » ، وهمـزة « الدّمـاء » والصـواب ضمّ الجيم وكسر العين وضمّ همزة « الدماء » ، كما أنّه همز لفظة « ظمِينـا » وسكّنهـا والصَّوابُ أن ترسم بالياء ليستقيم الوزن . . وهو في نسخة الدّار هكذا ـ وكما ضبطناه :

كمـا جُعِلَـتْ دِماؤُهُـمُ شَرَاباً لَهُـنَّ بِكُـلّ أرضٍ ما ظَمينا
وفي البيت الّذي يليه ضبط « القاضي »«ينْطِقْـن» بضـم « الطـاء » والصَّـواب كسرها كما في القرآن الكريم .

خامساً : جعـل « البـأسَ » بالبـاء الموحّـدة في البيت السـادس والعشـرين « يأساً » بالياء المُثنّاة،وجعل « الخلْقَ » بتسكين اللاَّم وفتح الخـاءِ بمعنـى : « النَّاس » «خُلُقاً» بضمّ الخاء واللاّم ؛ بمعنى سجيّة وعادة . . وكأنّه قد تعوّد على الاخطاء فكسَرَ لام « الخُلُق » في غلطتِهِ وهو خَطأ مُرَكب .

سادساً :وهي سادسة الأثافي إن صحّ هذا التعبير،والذي سمعناه من شيوخنا ومنهم القاضي محمد الأكوع ـ سامحه الله ـ انّهـم يقولـون : « رمـاه بثالثـة الأثافي » أي بالشرّ الماحق ، ولكنّي سأتجاوز السماع ؛ لأنّنا نعيش في عصر « الأفران الكهربائية » ولبعضها ستـة « عيون نارية » . . . ! نعـم هي سادسـة

« الأثافي » فقد ضبط « الأكوع » البيت السابع والعشرين من الدّامغة ضبطاً غير صحيح ، ثم علّقَ على كلام « الهمداني » بحاشية رقم (٢) تعليقاً لا يدلّ على أنّه قدْ فهم « البيتَ » ولا « الشّرح » ولا على أنّه قد حاول أن يفهمهما ؛ وفي الأصل قد ورد البيتُ كما يلي :

« كأكلِ النّـارِ مِنهـا النّفسَ أن لَمْ تجِـدْ حطبـاً ، وبعـضَ الموقِدينا »

وشرحه الهمداني فقال : « أن لَمْ : إذ لمْ ، والفقهاء تذهبُ بأنْ « مَذْهبَ » إذْ فلو قال رجلٌ : « امرأتي طالقٌ أنْ دَخَلَتِ الدّارَ طَلُقَـتْ ؛ علـى معنـى ؛ إذْ دخَلَتِ الدّار ، ولا تُطلَقُ إذا قال : « إنْ » بالكسر على . . . الإستئناف » . هذا شِعر « الهمداني » وكلامُهُ ؛ وهو واضحٌ يعرفه كلّ من يعرف العربيّة شعراً ونثراً ، ولو أراد أيّ أستاذ لغةٍ أن يُفسّره لِلتلاميذ وأن يُقَـربـه إلى أفهام مَنْ لَمْ يَتَعـوّدوا بَعْدُ علـى بعض الأسـاليب ؛ لكان في إمكانه أن يقـول : أراد « الهمداني » أنّ عبارة « أنْ لَمْ » في بيت « الدّامغة » قد جاءتْ بمعنـى « إذْ لَمْ » ثم استْطرد فقالَ : أنّ « الفقهاء » يَعتبرون « أنْ » المفتوحة الهمزة كما يَعْتبرون « إذْ » الظّرفيّة ولذلك فلو أنّ رجلاً قال انّ امرأته طالق أنْ دخَلتِ الدّارَ ـ بفتح همزة أنْ ـ فإنّ الطلاقَ ينفذ لأنَّ معناها « إذْ دخَلَتِ الدّار » ، أيّ بسبب دخولها الدّار ؛ الّذي قد دخلَتْهُ فعلاً ؛ ولكنّها لا تطلق إذا قال : إمرأته طالق إنْ دخَلتِ الدّار بكسر الهمزة في « إنْ » لأنها شرطيّة مثل قوله تعالى : « إن يَنْتَهو يغْفر لهم » أما « أنْ » المفتوحة الهمزة فهي مصْـدرية . ولا أزال أذكر أنّني قرأتُ مَعَ القاضي محمّد الأكوع نفسه كتاب « مُغْني اللّبيب » لابن هشام عندما كنّا معاً في مُعتقل « قاهرة حجة » سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م ـ وأنّ « إبن هشام » رجّـح أنَّ « أنْ » المفتوحـة تكون بكُلّ أمثلتهـا مصـدريّة . . ولـكنّ القاضي الأكوع وبعد ثمانية وعشرين عاماً جاء فضبَطَ عبارة « أنْ لَم » في البيت بكسر الهمزة ، ثم علّق على شرح الهمداني المذكور أعلاه بالحاشية رقم (٢) فقال : « كذا في الأصل وفي « م » بأن من إذ لو « هكذا » باسقاط « هـب » ولعل العبارة تكون « والفقهاء تَذْهـب أن لو مَذْهـب إذ لو » « هـكذا » وبهـذِه الركاكة . . وهو وهمٌ والصّواب ما ذكرتُه وهو الواضحُ في الأصل وفي نسخةِ

الدار ؛ هَذِهِ هيَ سادسةُ « الأثافي » !

(١٨) لا نَقْد ولاَ تحقيق :

ص(١٩)ضبط «القاضي الفاضل »البيت الثامن والعشرين من الدّامغة هكذا : « إذا لم تسْكنِ الغبراء خلقٌ » والصواب : « إذاً لَمْ يَسْكنِ » بتنْوين « إذاً » وبالياء في يسكن . ورسم شطرَ البيتِ التاسع والعشرين هكذا :

« سوانا يا آل قحطان بن هود » ، والصواب : « يالَ قَحطان » ، وفي السادس وردت العبارة هكذا : « عامر الأرض بطليموس وغيره من العلماء الخ » ولعل هناك سقط وانَّ الصّواب « عامـرُ الأرضِ كمـا قال بطليمـوس الـخ » ولعـلّ القاضي لم يتنبّه ، لأنّه كان مشغولاً بالبحث عن ترجمة « أبي ذرّ الغفاري » مؤكّداً أنّه أول من نادى بالاشتراكية الإسلامية ، ناسياً أنّ أستـاذ « أبـي ذرّ » وغيره من المسلمين هو سيّد الأنبياء محمدﷺ غير مُتذكّر ما قال « شوقـي » فيه :

الإشتـراكيّـون أنـتَ إمامُهـم لولاَ دَعـاوى القـوم والغُلـواءُ
دَاويـتَ مُتّئـداً وَدَاووا طَفرةً وأخـفُّ مِـن بعضِ الـدّواء الدّاءُ

ولكنّ كلّ ذلك من فضول القول؛ ولا علاقة له بالأرض وجغرافيتها ، وما قاله « بطليمـوس » والهمدانـي والعلماء ؛ ثم نقـل عن دائـرة المعــارف ترجمـة « بطليموس »؛ والغلطاتُ المطبعيّة في هذه الصّفحة والصَّفحات الّتي تليهـا (٢٠) و(٢١) كثيرة جداً ؛ ولم يُحقّق فيها أو يضبط شيئاً من كلام الهمداني ولكنّه اغتنم الفرصـة فترجـم لِلْمشهـورين أمثـال : « محمـد بن إسحـق » و « الأصمعـي » ثم تحـدّث عن « فلسـطين » ، والاختلافـات السياسية بين العرب ، ممـا لا علاقـة له بموضـوع كتـاب الدّامغـة . . وخليق أن يكتبـه للصّحف اليوميّة . وكنتُ انتظر منه أن يذكر صواب أو خطأ رأي القدماء بالنّسبة لجغرافية الأرض وسكّانها وما أقـرّه الهمدانـي من أنَّ نصفهـا الجنوبـي غير مأهول ! . . لأنّنا نعيش بعدَه بأكثر من ألف عام . . وقد تطوّرت المعـارف الكونيّة والجغرافيّة ، بِتطوّر العِلم ووسائِله تَطوراً مريعاً هائلاً .

الفصل الثاني

غلطات القاضي ونصيحة صديق

بينما كنتُ في «خَمَيمِ المشوار» كما يقولون في« صنعاء »وهُم يَعنُونَ : «شدّة الجَرْي» ، أو ما قَصدَه الأوّلون عندما قالوا : « بيْنَما الفارسُ في مَيْعةِ حُضْره » ، وأنا احبّر هذه التعليقات . . إذ شرّفني بالزّيارة صديقٌ يمنيٌّ ، أديب ؛ وكان لا بدّ أن أبثّهُ ما يجولُ في خاطري عن كتاب « الدّامغة » وشرحها لِلْهمداني وتحقيقات وحواشي « الأكوع » وعرضت عليه بعض تعليقاتي وتصحيحاتي للأخطاء المطبعيّة والغلطات الأدبيّة والبيانية . . فذهل لِكَثرة ما رأى من هفوات لا يقْترفها عالمٌ محقّق ، أو أديبٌ مدقّق . . إلى ركّةٍ في أسلوب التأليف والاخراج ، وتطْويل في السَّرْد ، وفيما لاَ طائِل تحته ، وبطريقةٍ لا يجوزُ أن تُنْشر في كتابٍ باسم « لسان اليمن » الشاعر المؤرخ الحسن بن أحمد الهمداني وهو ذو الأسلوب الأصيل .

ثم عرضتُ على الصديق نسختي التي صوّرتها سنة ١٩٥٥ عن نسخة « دار الكتب المصريّة » وتعليقاتي عليها ، وأطلعتُه على « قصيدة الدّامغة » دون شرحٍ ، وما أضفْتُه إليها من نُسخٍ أُخرى ، وكنتُ قد بذلتُ جُهدي في ضبط ألفاظها ، وتصحيح تحريفات النسّاخ ، وأضفْتُ ملحقاً أحاول فيه التّعريف بمَنْ تَوَفّقْتُ إلى العثور على معلوماتٍ عنهم مِمّن وردَت أسماؤهم أو أشعارهم وأخبارهم في متن « الدامغة » وشرحها . . ولا سيما إذا كانوا من أبناء اليمن ولم يردْ لهم ذكرٌ فيما اصْطَلَح أدباء العرب على تَسْميتها بأصول الأدب العربي مثل « الأغاني » و « الأمالي » وكتُبِ السّيَر » و « الطَّبقات » المتداولة مكتفياً بِلَفْتِ نظر القارىء إلى مظَان تراجم المعروفين .

وقد لاحظ الصّديق ـ أوّل ما لاحظ أنّ عدد أبيات «قصيدة الدّامغة» في « المتن » الّذي عنيتُ بضَبطه سواء ما كانَ منها في نسخة دار الكتب ، أو

مانقلتُه من أوراق ملحقةٍ باحدى نسخ الجزء الأول من الاكليل . . قد بلغ ستمائة وسبعة واربعين بيتاً بينما لا تحتوي « الطبعة الأكوعية » إلاّ على « بيتين وستمائة بيت » .

مَعَ أنّي قد نبهْتُ إلى أنّ بعض الأبيات منحولة ولا يَنْسجم نفسها مع نَفسِ الهمداني وقد كان شاعراً مجيداً .

ولكي أُدلّل للصّديق على أنّ جُهد القاضي الأكوع لم يكنْ كافياً ، ولذلكَ ذَهَبَ هدراً ؛ وأنّه لم يُتْعِبْ نفسه فقط ؛ بلْ وعُمّال المطبعة ، بلْ والسَّيدة الكريمة ابنته بلقيس محمد الأكوع ، والنَّبيل عبد الله بن أحمد الأكوع والقاضي العلاَّمة احمد الهيصمي ، الّذين اثنى على جهودهم في آخر الكتاب ، بل وأهرقَ المداد ، وأفنى البياض عبثاً . . قلتُ للصَّديق ـ مؤكّداً : خذ كتاب الدّامغة هذا وافتح أي صفحة لتتأكّد من صدق قولي : فتناوله وفتح وهو مغمض العينين صفحة ١٥٨ ـ وقرأناها ، والصفحة التي تقابلها ١٥٩ .

لقد وجدنا فيهما عشرين غلطةً مطبعيّة ! من واجب أيّ مؤلّفٍ أو ناشرِ كتابٍ ـ أي كتاب ـ أنْ يُصَحّحها ، وأن يوضّح الغامض من حروف الكلمات ، ويُنسق المتنافر منها ويعيدها للطّبع من جديد . وبعد ذلك رجعتُ مع الصديق الى نسختي فاستَنْتجنا ـ إلى جانب تلكَ الأخطاء ما يلي :

أولاً : رسمَ القاضي الأكوع شطر البيت الثالث والسبعين بعد المئة من الدامغة هكذا : « وما كنّا لَهُ بمُحضرينا » ؟ فجاء ومَعَ « الزّحاف » . . لا يَحْمِل معنى وانما البيتُ هكذا :

« بِلا مَهْرٍ كتَبْناهُ علَيْنا وَمَا كُنّا لهُنَّ بمُحْصِرينَا

مِنْ حَصُرَ بالصَّادِ المهملة ، لا مِنْ حَضَرَ بالضاد المعجمة ، ومعناه ، وما كنا بمُمتَنعين عنْ مقاربتهن ، قال في « القاموس المحيط » : « وحَصُرَ ككرُمَ وفَرِحَ وأحصر ؛ ومن لم يأت النساء وهُوَ قادرٌ على ذلك ، أو الممنوع منهنّ ، أو مَنْ لا يشْتهيهنّ ولا يقْربهنّ ، وحصيرَ عن المرأة : إمتنع عن اتيانها » .

ثانياً: لم يضبط كلمة « البخاتي » في البيت رقم (١٧٤) « سوى ضرب كأشداق البخاتي » وضبْطُها « بُخَاتِي » « وبَخَاتِي » وهي الإبل الخُراسانيّة .

ثالثاً: ترك قول الهمداني: « قال الحميري: شيئان لا يُزْدَهَدانِ ؛ شدقُ جمل أو شدق حنش » بلا ضبط ودونَ تفْسير وكان عليه أن يقول في « حاشية صغيرة » « ازدَهَدَ الشيء : عدّه قليلاً كما في القاموس .

ورابعاً: استشكلَ ما بينَ القوسين على حدّ تعبيره وهي عبارة الهمداني : « إنك تنظر إلى الثعبان « في جلةِ العصا أو أجلّ شيئاً» الخ . بتعليق قال فيه « إنها غير واضحة المعنى » ثم كادَ أن يفسّرها تفسيراً صحيحاً ومن الواضح أن الهمداني يقصد « انك تَرى الثعبان في دقّةِ أو شكل العصا أو أضعف منها قليلاً ومع ذلك يستطيع بشدقه أن يزْدَرِدَ الفارَ واليرْبوع الخ » وفي المنجد : « أجلَّ الرجلُ إجلالاً « ضد » قوي؛ ضَعُفَ . . »

خامساً: رسم عبارة السَّطر الأول من صفحة (١٥٩) هكذا « وأراد بهذا الضّرب يقدمن الهامات إلى المتون » فجاءت وكأنْ لا معنى لها وصوابها من نسخة الدار هكذا : « وأراد أنَّ هذَا الضَّرب يَقُدُّ مِنَ الهامات الخ »

سادساً: رسَمَ البيتَ رقم (١٧٥) هكذا :

« ترى أرْجاَهــا ممّـا تَنَأَتْ وأرغــبَ كلْمِهَا لا يَلْتَقِينا»

وفيه غلطات ثلاث والصوابُ كما يلي :

ترى أرْجــاءهُ مِمَّـا تَنَـاءَتْ وأرغـبَ كَلْمُهَـا لا يَلْتقينا »

فضمير الأرجاء ـ ممدودة ـ إلى الضّرب في البيت السابق وتنـاءت ممدودة . . وكلْمُها بالضم فاعل أرغَبَ .

سابعاً: رسمَ شطر البيت رقم (١٧٦) هكذا: « وطعْنٍ مثل أبها الصَّياصي » وانما هو : « مثل أبهاء » .

ثامناً: غلط في كتابة الرجز الّذي استشهد به الهمداني وذكر ثوراً أجوف فأورده هكذا :

« أجوف بها بهوه فأوسعا » ولم يضبطه ولم يفسّره وإنّما هو هكذا : « أجْوَف بهّى بَهْـوَهُ فأوسعا » وكان عليه أن يفسّره فيقول : « الأجوف : الأسد العظيم ؛ ومن الدوّاب : الّذي يَصعدُ البلقُ منه حتّى يبلغَ البَطْنَ » كما في القامـوس ؛ وبهّى البيت وسّعَهُ ؛ وأما البهْو فقد قال الهمداني في الأصلِ أنّـه « كِنـاسُ الثـورِ » وهـكذا . . ولـو شئـت لقلـتُ : وتاسعـاً ، وعاشـراً ، ولا حول . ولا . . !

وفكّر الصديقُ وأطرقَ مليّاً ثم قال: وإلى أين ستمضي يا أخ احمد ؟ إنّـك تُرْهِقُ نفسَكَ دون جدوى ؛ نعـم إنّـك تُصحّـحُ ما اقترفـه غيرك من أخطـاء وتحاول إفادة القارىء ، وإنقاذ كتاب الهمداني من التشويهات ، ولكن هل يعني ذلك أنّك لن تطبع الدّامغة وشرحها بتَصْحيحاتكَ ، وضبْطِكَ والزّيادات الّتي عثرتَ عليها ، والتّنبيه على ما ظَنَنْتَ أنّـه مدسـوسٌ فيهـا ؟ قلـتُ : إذا توفّقتُ إلى إكمال تصحيح وتصْويب طبعـة القاضـي محمـد الأكوع فذلك يكفي ، قال : وهل سيطبعُها الأكوع من جديد ؟ وينْفي تلك الحواشي التي لا فائدة فيها ، ويُثْبت تصْويباتك ؟ قلت : في إمكان أيّ قارىء قد اقتنى نُسْخة « الأكوع » أن يضيف اليها تصويباتي أو ما يراهُ منها صواباً إلـى نسختِـه . . فضحـك الصّـديق ساخـراً . . وقـال . لا . . لا . إن هذا هو عين العَنَـتِ والارهاق لَكَ وللقرّاء . فاتّقِ الله في نفسكَ ، وفـي الأدبـاء ، وفـي كتـاب « الهمداني » ، حسبك بما سبق من الصّفحات تَنْبيهاً للقارىء العربي ، يعرّفه وبالبراهين الدّامغة : أنّ كتاب « قصيدة الدّامغة » الذي أخرجه القاضي محمد الأكوع وادّعى أنّه حقّقَهُ كتابٌ لا يجوز أن يُقْتنى . . وأن « الأكوع » قد أساء إلى الهمداني ، والأدب اليمني . إساءةً لا يكفِّرُ وِزْرَها إلاّ أن يجمع القاضي نفْسُهُ جميعَ نُسخ هذه الطّبعة ويُحْرِقُها ؛ وينشر ندَمَهُ وأسَفَهُ في الجرائد ، وواجبُك أن تواصل العمل مِنْ أجل خِدمة هذا السِّفر الجليل ، وتنشره في حُلّةٍ قشيبةٍ تليق به وبك وبالهمداني العظيم .

وتأثرتُ بكلام الصديق ؛ واطمأنّـت نفسي إلى نصيحته . . ولكنّي سألتـه ؛ هل قرأتَ « المقدمة » الّتي وضعها الأكوع بين يَدَيْ الكِتاب في ثمانية وثمانين

صفحـة ؟ قال : كلاّ . . وكيف لي . . وهـذا أوّل عهـدٍ لي بمعرفـة طبـع الكتاب ؟ قلتُ هاكها . . وشرعتُ في إمْلائها عليه ، ومـا إن قرأتُ بضـعَ صفحات حتى رأيتُه مُمتعِضاً « يُحوْقل » وقال : ما هذا . . ؟ أترى صديقنا قدْ خرّف ؟ قلتُ وما يأتي أنكى وأدْهى ؛ وقرأتُ عليه بعضَ المقاطع . . فقـال حقّاً إن هذا لَهُو البـلاء ؛ إنّـه نكبـة على التّـاريخ والأدب والـوطنّية ، واللّغة ، والتقاليد والدّين . . وعليك أن تُنْقذ الكتاب وأجيالَ اليمن الوافدة من مثل هذه الأباطيل والترهات .

وصادَفَتْ نصيحةُ الصَّديق هوى في نفسي ؛ ولا أُبرىءُ نَفْسي ـ وعرفتُ أنّه على حق . . ولكنْ قبل أنْ أترك « كِتاب الدّامغة » وأتفـرّغ لمناقشـة مقدّمـة القاضي محمد الأكوع « الحوالي » أودّ أن لا أترك جُهدي السَّابق مبتـوراً ؛ ولذلك ألْفتُ نظرَ كُلّ مَنْ تقعُ في يدِهِ نُسْخَةٌ مِن كتاب الدّامغة بتحقيق القاضي الأكوع إلى ما يلي :

أولاً : أن الأخطاء المطبعيّة والتّصحيفات كثيرة جدّاً ولو جُمِعَتْ في جدول للخطأ والصَّواب لكان في حجم كتابٍ كبير . . ولذلك فاعادةُ طَبْعه من جديد مُصحّحاً أفضلُ وأيسرُ وأقربُ إلى الصَّواب . وحسـب القـارىء أن يرى أن تصحيحاتي الموجزة لعشرين صفحـة منـه قد استغرقـتْ أكثر من عشـرين صفحة .

ثانياً : لقـد أراد القاضـي أن يتباهـى بمعلوماتـه ، وأن يَجعـلَ مِن حواشيه وتعليقاته « كشكولاً » فلم يدعْ فُرصةً تعنُّ له إلاّ واستطرد وأسهَبَ وأطال فيما لا طائل تحته ، كما أنّه لم يترك إسماً يذكره الهمداني أو يسْتَشْهدُ بكلامِهِ ـ وهو من الأعلام المشهورين إلاّ وبرى القلم مُترجماً مُسْتَشْهداً ؛ وكانت الاشارة إلى الكُتب الّتي نقل عنْها تَكْفيه وتُغْني القـارىء ولـو أنّـه قد اتّبـع ذلك مع « المغْمورين » مِنَ « اليمنيّين » وغيرهم ، لكان معذوراً بل مشكوراً ؟ ولقد أحصيتُ أكثر من مائة وعشرين حاشية كلّها تراجم لاعلام بارزين من خلفاء وصحابة وشعراء أُولـى واجبـات الطـلابّ المبتـدئين الاحاطـةُ بأخبارهـم ، وآثارهم ومنهم بطليموس وارسطو والحّجاج ، وامـرؤ القيس ـ وكلّ شعـراء

المعلّقات وعثمان بن عفّان ، وطلحة ، والزّبير ، وأولاده ومعـاوية بن أبـي سفيان ، ومعظم خلفـاء بنـي أميّة ، وهـارون الـرشيد ، وكثير من الخلفـاء العبّاسيين ، وأبو نواس والخليل بن أحمد وأمثالهم ممن تطفح بهم وبأخبارهم الكتب الميسور تداولها .

ثالثاً : وهذا من الأهمّية بمكان ـ لقد كان الأستاذ رغم تبحّره فيما هو معلوم شائع ـ يتهرّب عن تحقيق ما يفتقِر الى التحقيق ، إن كان ذلك سيكلّفه جهداً وأناةً وتأمّلاً ، ومثلُه ما ورد في صفحة (٣٨) و(٣٩) قال الهمداني وهو يشرحُ قوله :

فما وجـدوا رعاعـاً يوم حفـلٍ   ولا عنـد الهجـاء مُفَحّمينا

« والمفحم : المنقطع الجواب في الشّعر والكلام يُقال : فحمت فلانـاً أيّ قطعتُه عن الجواب ، ومن ذلك الحديث عثمان بن عفّان أزدرى عامراً كما نظر إليه ، وظنّـه اعرابياً فقال أين ربّك يا اعرابي فقال عامر : بالمرصـاد » « قال فلم يرد شيئاً وفحم الخ » .

هكذا رسَمَ الأكوعُ كلامَ الهمداني وفيه أخطاء وسقط، والّذي في نسختي عن نسخةِ « الدّار » ما يلي :

« والمفحم : المنقطعُ الجواب في الشّعر والكلام يقالُ » « أفحمتُ فلاناً أي قطَعْتُه عن الجواب ، ومن ذلك الحـديث : أن عثمان بن عفّان ازْدَرَى عامراً لمّا نظر إليه وظنّه « اعرابياً فقال الخ » وقد علّق القاضي ـ طبعاً بعد أن ترجمَ لِلْخليفة عثمان رضي الله عنه بحاشية رقم (٢) قائلاً : « لا أعرف عن عامرٍ هذا شيئاً ، وقوله « كما » ، لعلّها « لما » ، أو « كلما » . ثم انتقل بحاشية أخرى إلى أبي العلاء المعرّي . !

وقصّة عثمان مع « عامر بن عبد قيس » معروفـة لدى الأدبـاء وقـد أوردَهـا « الجاحظ » في « البيان والتّبيين » الجزء الثاني ص (٢٣٦) تحقيق هارون كما يلي :

قال وخرج عُثمان بن عفّان رحمه الله من داره يوماً وقد جاء عامرُ بن عبد

قيس فقعَد في دهليزه فلمّا خرج ـ أيْ عثمان ـ رأى شيخاً دميماً أشْغى ثَطّاً في عبـاءة ؛ فأنكرهُ ، وأنكَرَ مكانه ، فقـال : يا أعرابـيّ أين ربُّك ؟ فقـال : بالمِرْصـاد . ويُقال أنّ عثمان بن عفّـان لـم يُفْحِمْهُ أحدٌ قطّ غير عامرٍ بن عبْدِ قيْس؛ والشّغـى : تراكُب الأسْنان واختلافها ، والثطّ : صغير اللحية .

وعامرُ بن عبد قيس ؛الّذي قال القاضي محمّد الأكوع محقّق كتاب لسان اليمن . . أنه لا يعرف « عن عامر هذا شيئاً » . . هذا عامر بن عبد قيس هو التابعيّ المشهور ، وكان غايةً في الزّهد ، وترجمته في « صفوة الصَّفوة » وهو صاحب الكلمة الرائعة « الكلمة إذا خرجَتْ مِنَ القلب وقَعَـتْ في القلـب » « وإذا خرجت من اللّسان لم تجاوز الآذان » .

أفما كان على صاحبنا سَامَحَهُ الله إأن يبْذل قليلاً من الجهد، والتأمّل فلا يُسقط بعض الحروف والكلمات ولا يضْبط لفظة « الرِّعاع » بضَم الرَّاء لأنّها بالفتح حتّى ولو لم يُتَرجم للخليفة عثمان رحمه الله ؟؟

رابعاً :وهذا مهمٌّ أيضاً ـ أنّه كثيراً ما يضيف إلى الأصل من« عندياته » ألفاظاً يخيّل إليه بوجودها أن « أبيات » الهمداني ستكون أكثر وضوحـاً ؛ ناسياً أن للشعر موازين لا تقبل الزّيادة ولا النّقصان ، مثلما فعل بالبيت رقم (٣٠٦) إذ رسمه هكذا : ص (٣٠٧)

« فمِمَّـا قد جهلْتـمْ لم تكونـوا لمـا قـد أُعْطيتموه آخذينـا »
فأضاف : « قد » ليُحقّق المعنى في ذهنِهِ فأفسد الوزن وفي الأصل : « لِمـا أُعْطيتموه آخذينا » . وأحيانـاً يُصـحّف اللفظـة في « البيت » ثمّ يُعَلّـقُ علـى « التّصْحيف » مُسْتغرباً كما صنَعَ بالبيتِ رقم (٣٠٧) في نفس الصَّفحة فقد رسمه هكذا :

« ونَصَـرَتْـهُ » ذوو الألبـاب منّـا فأقْبلنـا إليهِ مُبادرينـا
وقال في الحاشية رقم (٥) « ونُصرَتْهُ بالنون أوّله وتاء المؤنثة والهاء آخره . . كذا في الأصلين وفيه ما فيه من ثقل الوزن » ! مع أنَّ الأمر ليس « ثقل الوزن » بل فسادُ المعنى ! فالهمداني لم يقل « نصرَتْهُ » بَلْ قالَ « وَبَصَّرَهُ ذَوُو الألْبابِ

مِنّا الخ : بصّره بالياء الموحّدة ، والصّاد المشدَّدة المكسورة من « البصرِ » يعنى أنَّ ما جهلَهُ الكافرون من « قريش » كمَا ذَكر في البيْتِ السَّابق رقم (٣٠٦) قد اهْتدَى إليه عقلاء « الأنصار » فاتَّبعُوهُ . ولو كان يمْلِكُ بَصراً شعْرياً لما خفيَ عليه ! وكما صنعَ بالبيت رقم (٤٣٧) ص ٤٣٦ فقد رسمَه هكذا .

« يُنبّهُ سَعْدُ حَسَّانٌ عليْهـا إذا أنشـدْتموهُ القَاطِنينا »

فقد صَحَّفَ وغلَطَ في الضَّبط ثم استَشْكَلَ الأمرَ فعلّق بالحاشية رقم (٢) قائلاً : « كذا في الأصْلين ، والأمر مُشْكِلٌ في رفْعِ الاسمين » يعني رفع « حسان » و « سعْد » مع أنّ بيت الدَّامغة في الأصل كما يلي :

« يُنبّـهُ شِعـرُ حسَّانٍ علَيْهـا إذا أنْشـدْتُمُـوه القَاطنينـا »

فأنتَ تراهُ قدْ صحّف لفظة « شِعر » وجعلها « سعدا » واختلط الأمرُ عليه كما قال : وأمثال هذه الهفوات لا تكاد تُحْصَى فلْيتَنبِه القُرّاء .

الفصل الثّالث

مقدمة الأكوع والصلاة على الرسول

إستولى عليّ العجب ،بل أخذتني الدّهشة حين قرأت أوّلَ صفحةٍ من مقدّمة القاضي الأكوع لِكتابِ قصيدةِ الدّامغة ؛

لقد حَمِدَ الله وصلّى على رسولِه المختار ثمَّ . . وبطريقةٍ تنمّ عن تعمّدٍ وغرضٍ خفيّ تخطّى آلَ النبيّ وصلّى على الصحابة والتّابعين .

أمّا أن يُصلّي على محمدٍ ﷺ ولا يذْكُر الآلَ ولا الصّحابة والتّابعين فله ذلك كما أظنّ ـ مِثْلما لَه الحق في أنْ يذْكرهم جميعاً ؛ ولن يكون الأوّل إن حذَفهم جميعاً ، ولن يكون الأخير ؛ وشواهد ذلك كثيرةً ؛ قديماً وحديثاً .

ولكن ؛ أن يُصَلّي على النبيّ الأمين . . ثم يتَخطّى الآل ويَتَجاهلُهُمْ ، ويُصَلّي على الصّحابة والتّابعين . . . فذلك ما لا أجدُ له تفسيراً أو مُبرّراً ؛ وفيهِ ما فيه ، وهو ما لم يُسْبق إلى مِثْلِه في حدودِ مَعْرفَتي .

نعم ؛ لقد حدَّثنا الرواة أنّ عبد الله إبن الزّبير رحمه الله تعمّد إهمال ذكر الرّسول ﷺ في بعض خُطَبِهِ عندما تولّى الخِلافة ؛ وحين عوتِبَ على ذلك ـ وهو الصّحابي الجليل ـ قال ما معناه أنّه يصلّي عليه سرّاً : لأنّه كان يرى أنوفاً تشْمخ عِندَ ذِكْرِهِ . كأنّه يقصدُ « بني هاشم » ، وقد عدّوا ذلك من هفوات ابن الزّبير رحمه الله .

ولقد حدَّثنا الرواة أنّ خلفاء بني أمية قد سنّوا « لَعْنَ عليّ » وهو أبو الآل ـ على المنابر ، وفرضوا شتْمَهُ يومَ كلّ جُمعة يَسْعى فيها النّاسُ إلى ذكر الله ؛ حتّى ألغى ذلِكَ الخليفة الرّشيد عُمَر بن عبدِ العزيز رحمه الله وقال الشّريف الرضي في ذلك :

يابنَ عبدِ العزيز لو بَكَتِ العَينُ   فتىً من « أميّةٍ » لبكيتُكْ

أنتَ نزّهْتَنا عن السَبّ والشَّتمِ   فلو أمكنَ الفِداء فديتُك

وقصّة الخطيب الأموي الّذي لعَنَ أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه على منبر « الجامع الكبير » بصنعاء وثوب أبنائها عليه وفراره إلى ناحية « ضلاع » ولحاق النّاس به حتّى أدركوه ودفنوه مَعَ بغلتِهِ رَمْياً بالحجارة مشهورة . . ولا يَزالُ قبرُه يُسمَّى « قبْرُ الكافر » ويقذِفُهُ مَنْ يَجْتازهُ بالحَصَى .

كما أني أعلم ـ مثلما يعلم الكثير ـ أن جماعةً من العلماء قد اختلفوا في فهم مدْلولِ « الآل » ومَنْ هم ؛ وذلك بحثٌ طويلٌ حتّى قال نشوان الحميري :

آلُ النبيّ هُمُ أتباعُ مِلّتِهِ   مِنَ الأعاجِم والسُّودان والعربِ
لو لَم يكنْ آلُه إلاّ قرابتُه   صلّى المصلّي على الطّاغي أبي لهَبِ

وفي ديوان الشّاعر الحَسن بن علي بن جابر الهبل ـ ولا يزال مخطوطاً ـ انّه أعار رجلاً كتاباً فأعاده وقد كَتَبَ فيه البَيْتين : « آل النبيّ هُمُ أتباع ملّته الخ » ولكن الرَّجُلَ غَلطَ ونسَبَهما إلى الامامِ الشّافعي فلمّا اطّلع « الهبَلُ » على ذلك كَتَبَ تحتَهُما :

« آل النبيّ هُمُ أتْباعُ مِلّتِهِ   مِن مُؤْمني رهْطِه الأدنون في النّسبِ
هذا مقال « أبْن إدريس » الّذي رَوَتِ   الأعلامُ عَنْهُ فمِلْ عَنْ منْهج الكذبِ

وعِندنا أنّهم أبناءُ فاطمةٍ   وهو الصَّحيحُ بلا شكٍّ ولا ريب

نعم كلّ ذلك معروفٌ ويحْتَمل النّقاش والجدل ؛ ولكنّي ما كنتُ أظنّ أنّي سأسمعُ « قاضياً » يُصَلّي على النّبيّ وأصحابه وأتباعه ويتعَمَّد حذف « الآل » لأنّ مَنْ لاَ يعْرِفُ القاضي « الفاضل » محمد بن علي الأكوع ، قد لا يحْمِلُه عَلَى السَّلامة ، ويحْسب تصرّفه مِنْ بابِ البغْض والقِلى وهو ما لا أحبّ نِسْبته إلى مِثله . وفي « عليّ » تهلكُ فئتان ، كما في الحديث . . ولا أريدُ أن أكون ثقيلاً على القاضي الأكوع ، ولا على « آله » ومِنْهم الطيّبون الّذين تشملُهم الصَّلاة حِين أُصَلّي على أتْباع « سيّدنا محمد » إلى يوم الدين . . ولكنّي أريد أن انبّهه ، وأذكّر القُرّاء بما ورد في صَحِيحِ البُخاري ، ومُسْلم ، والسّنَن الأربع عِن كيْفية الصَّلاة على سيدنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ؛ وهي الّتي علّمها الرسولُ الكريم أصْحابَهُ ، وقد أوضحها القاضي العلاّمة يَحْيى بن

محمّد الارياني رحمه الله في كِتابه « هداية المسْتبصرين » «بشرح عدّة الحُصْنِ الحَصين » وبتحقيق نجْلِهِ الأخ العلامة القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني رئيس المجلس الجمهوري سابقاً حيث قال في ص (٣١٥) يذكر الحديث :

أخرجه البخاري ومُسلم وأهل السّنن الأربع قال الشّوكاني : وهو من حديث كعْب بن عجرة « رض » أنّه قال لِعبد الرحمن بن أبي ليلى : ألا أهدي لَكَ هديةً سَمِعْتُها من رسولِ اللهﷺ ؟ قال : بلى فاهْدِها إليّ ، قال : سألْنَا رسولَ اللهﷺ فقُلنا : يا رسولَ الله كيفَ الصّلاةُ عليكم أهْلَ البيت ؟ فان الله قد علّمنا كيف نُسلّم عليكم ؟ قال : قولوا : اللّهُمَّ صَلِّ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّد كما صَلّيتَ على إبراهيم وعَلى آلِ إبْراهيم إنَّك حميدٌ مجيد ، اللّهُمَّ بارِكْ على محمّدٍ وعلى آلِ محمّد كما بارَكْتَ على إبْراهيم وعَلى آلِ إبْراهيم إنكَ حميدٌ مجيد » إلى آخر ما سرده من روايات ، كُلّها تجْعل الصّلاة على « الآل » مُقْترنةً بالصّلاة على الرسول ؛ ولا ذُكر فيها لِلصّحابة ، ولا لِلتّابعين ؛ وكان القاضي العلاّمة يحيى الأرياني رحمه الله قد أشار في ص (٣١٣) من شرحِهِ المذكور إلى اختِلاف العلماء في إطْلاق « الآل » فقال : إختلف العُلماء في إطلاق الآل فذهَبَ البعض إلى أنّهم من تحرُمُ عليهم الزّكاة ؛ ثم قيل أنّهم « بنو هاشم » « وبنو المطّلب » ، « وقيل هم عليّ عليه السلام ، وفاطمة والحسَنان ، وذُريّتهم ، وقيل كلُّ مؤمن تقيّ ، وقيل أمّةُ الإجابة ، واختاره الأزهري والنّووي في شرح مسلم ، وإليه مالَ القاضي نشوانُ بنُ سعيد الحميري « في نظْمِهِ المشهور وهو بعيد » إنتهى كلام القاضي يحيى بن محمَّد الأرياني وهو كلام العلماء الباحثين .

ومَاذا ترى كانَ سيَضرّ القاضي محمّد الأكوع لو ذكر « الآل » خُضوعاً لأمر الرّسول ﷺ وتأوّل ، وعنى ما مالَ اليه « الأزهري » أو « النّووي » ، أو « نشوان » ؟

وهلْ يذكر قصّةَ صاحبِ الرّوضة وخصمِهِ من بيْت: «أبُوطالب» و « الطّيّبين الطّاهرين » و « دخلوا » و « خرجوا » ؟؟ أفما كان لَهُ أنْ يتّخِذَ من كل ذلك

قُدْوَةً حسَنة ، ويُبرّد بِذكْرِ الآل لواعج نفسه ذاهباً في التّفسير والتّأويل والقصد ما شاء له علْمُه أوْ هواه ؟؟

أما كان لَهُ في أبي محمّد « لِسان اليمن » وصاحب الدّامغة الحسن بن أحمد الهمداني المثل الّذِي يحْتَذِيهِ وينهجُ نهجه فيصلى على الرّسول وآله كما صلّى الهمداني في مُقَدّمتِه للشرّح حيث قال بعد حمد الله ص (٣) :

وأسْألُه أن يُصلّي على نبيّه محمّد المُصْطفى ، ورسولِه المجْتبى ، وأمينِه المُرْتضى ، أعتَقِ الخَلْقِ عُنْصراً ، وأنْفسِهم جَوْهَرًا ، وأكرمِهم محْتِدًا صلّى اللهُ عليهِ ، وعلى آلِهِ الطّيّبين الأخيار ، الصّادقين الأبرار، الّذينَ أذْهَبَ اللهُ عنْهُم الرّجْس وطهّرهم تطهيرا .

هذِهِ هِيَ صلاةُ « لسان اليمن » الهمداني صاحب « الدّامغة » في مقدمتِهِ لِشرحِها ؛ أما صلاةِ مُحقق الكتاب القاضي محمد الأكوع في « مقدمته » فهي كالتّالي :

وأصلّي واسلّم على أفضل الأنبياء وصَفوة المُرسلين مُحمّد بن عبدِ اللهِ الرّحمة المهْداة ، والنّعمةِ المسداة ؛ الّذي أُوتي الحِكمةَ وفصْل الخِطاب ، وجَوامع الكَلم فلا يَنْطقُ عَن الهوى ، إنْ هُو إلاّ وحْيٌ يُوحَى المنَزّل عليه « إنّما المؤمنون إخوة » والقائل : لا فَضْل لِعَربيّ علَى عَجميّ إلاّ بالتّقْوى ، والنّاسُ سَواسية كأسْنانِ المشط ، وعلى « صَحَابتِه » « الّذين اهْتدوا بهديه واتّبعوا سنّته ، ووصلوا الحقّ بالحق ، وهَدَموا الباطل أيّما هدْم ، وعلى أتباعِهِ الى يوم الدين »[1] فما رأي القارىء الناقد الأمين ؟؟

ولا يَنْتظر القُرّاء أن أُكلّف نفسي تصْحيحَ الغلطات الكتابيّة والمطْبعيّة في مقدمة « القاضي » فهي أكثر من أنْ تُحْصَى ؛ وفي الصفحة التّاسعة مِنها حوالي عَشْر غَلطات ؛ أما تعابيرُها وما فيها من ركةٍ واضطراب فلا أعتقدُ أن « القاضي » قد تَعمّد الإسفَاف البياني فذلك جهْدُه ؛ وقد حاوَل الإعراب عنْ نفسه بقدر ما يملكهُ من وسائل الإعراب .

---

(١) المراد لَفت النّظر إلى تبجيل الهمداني للآل وطريقة شَطب الأكوع لهم ؛ أما جُمَل صلاتِه فهي منتزعة من الكُتب التّقليديّة وذلك جهده .

العصبيّةُ ، واشتقاقُها ومعناها :

هذا هو العِنوان الّذي وضعَهُ القاضي محمدالأكوع « الحوالي » لبَحْثٍ لا أكونُ مُتَجنّياً عليه ، ولا ظالماً له ، إذا قلتُ أنّه أتْفَهُ بَحْثٍ ألْزَمتُ نفسي بقراءته طيلة حياتي ؛ إنّهُ تافِهُ لُغةً وإنشاءًا، ودِراسةً واسْتِنتاجاً ، وتافِهُ حتّى « تعصّبا » .

وأقسمُ لو كنتُ مُعلّماً لِلصّبْيان وكلّفتُ أحَدهم مِمّن لم يتجاوز الثّانية عشرة أنْ يكتب موضوعاً إنشائيّاً عنْ العصبيّة لُغةً واشْتقاقاً ، وتاريخاً ، وبعد أنْ يَسَّرتُ له مَصادر البَحْث ، ودَلّلْته على مظَانّه ؛ ثم جاءني بمثل ما كتبه « القاضي » لأرْهَقْتُهُ لوماً وتقْريعاً ، وألزمته بكتابتِهِ من جديد ! .

ولأُدَلِّلَ على دَعواي سأتحْفُ القُرّاء بنصوصٍ مِن كلامِ « القاضي » وليَصْبروا ، وليُصابِرُوا .. وقدْ يجدُ فيها ذُو الذّوق السّليم فُكاهةً وسلْوى .

يقول « الأكوع » في مقدّمته ص (١٠-١١)

العَصَبُ بالتّحريك جَمعُ عَصَبَة بالتحريك أيضاً كالاعصاب وهي : العروقُ المشْتَبكة في جَسدِ الإنسان والّتي تشدُّ أعضاءَه بعضها إلى بعض وتمدّه بالحياة من الغذاء والماء ، ومن معاني العَصَب لزوم الشيء ؛ والاطافة بِهِ ! كالعِصابة بكسر العين ، وهو ما عصب به ، ويقال للتّاج ، والعمامة العِصابة لأنّها تُعصَب على الرأس ، والعِصَابة على الجروح نحوه ، وتُعْصَب على رأسه أو نحوه العصابة (هكذا) وأتى بالعصبيّة ، وتقنّع بالشّيء ، وعَصَبَ الكيس والمزادة ، أغصانُ الشجرة ضمْ بعضه إلى بعض وربطه فهو في معنى جمع ، ومنه العَصْبُ بالفتح والسّكون : الطيّ للشّيء واللّيّ، عصبَهُ عَصباً طواهُ ولواه . وعصَبَةُ الرّجل بالتحريكِ : قومُ الرجل الّذين يَتعصَّبون لَهُ ، ويَجْتمعون حوله ، ويُحدقون به كالعصابة ويرثون الرَّجل من غير والدٍ ولا ولد ؛ وأما في الفرائض فكلّ ما لمْ يكن لهُ فَريضة مُسمّاة كالأخ والعَمّ ونحوهما فهو عَصَبَة إن بقي له شيء بعد أهْل الفرائض ، وإلاّ فلا شيء له ؛ والعُصبَة بالضمّ من الرَّجُل والخيل والطّير وما بين العشرة إلى الأربعين :

الجماعة ؛ ومنه قوله تعالى : « وآتَيْناهُ مِن الكنوزِ ما إنّ مَفَاتِحَهُ لتنوءُ بالعُصْبَةِ أولي القُوة » القصص (٧٦) « أي الجماعة ؛ أيّ ينوء بها العصبة : تَتَكلّف النهوض ، وهذا من باب القلب لفصاحة القرآن ! وهو مُستعملٌ في كلام العرب » . « والعصبيّة بتشديد ياء النّسبة ؛ نِسبة إلى التّعصّب وإلى العصابة الّذي معناه التجمّع والتحزّب في غرضٍ ما ، وهدفٍ مقصود ، والالتفاف حول شخصية لتقْوية جنابه وحماية مكاسِبِه ، والذبّ عنه مِن عاديةٍ تَنْزل به ، أو قارعةٍ تحِلّ قريباً من داره » .

ثم خلعَ تاجَ الإفتاء اللّغوي وتعَصب بعمامة الفيْلسوف الإجتماعي فقال :

وهذِهِ العَصَبيّة الّتي ذكرنا إشتقاقها ومعانيها ؛ هي في معنى ما يتداوله النّاس في لغة المعاصرين : مراكِز القُوى ، ولِفلان مَرْكزُ ثِقلٍ ؛ أوْ لَهُ ثِقلُه ، أوْ لهُ وَزْنهُ ، ولكنّهم تجوّزوا عنِ معْنى العَصَبيّة تَلَطّفاً وفراراً مِن ذلك !

« كأنه يريد أن يقول تجاوزوا لفْظةَ العَصَبيّة أما تجَوّز فله معاني لغويّة اخرى راجع المنجد » ثم يقول :

وكما تقول لُغةُ الجرايدوالصُّحف: الدّولةالفُلانيّة ألْقت بِثقْلها إلى كذا؛ وهل معنى الثقل جماعة الرّجال والعتاد ؟ « هكذا » وهل الجماعة إلاّ العَصبيّة ؟ وأيّ عصَبيّة أعظم من ذلك ؟ وكذلك ما يلجأ إليهِ القادة اليوم يَتَغَنّونَ به . . ألاَ وهو الشّعب ، وما أدراك ما الشّعب ؟ (هكذا) وفلانٌ له شعبيّة وله قاعدة شعبيّة وهل يا ترى الشعب والشعبيّة ، أو القاعدة الشّعبيّة إلاّ جماعة النّاس ووجوههم الّذين اسْترضاهم بشتّى الوسائلِ ، واسْتمالهم بالمغريات ولو بالكلام المعسول ليَمْلؤُا الدُّنيا ضجيجاً ، ويكونوا له دِرعاً واقياً ، وسلاحاً فتّاكاً يُصْلِتُهُ على رقاب المناوئين له ، والمعارضين لِحكُومتِه ، ويُنفّذون باسمِ الشّعب وبالقاعدة الشّعبيّة جميع أغراضِهم مَهْما كانت الأغراض » « هكذا » وهو هَذَيان ! ! ثم قال سامحه الله :

ومن العصبيّة التي أخذت لهامعان حديثة ، وكثُرَ إستعمالُها في عَصْرنا ، وراجت في الأوساط السّياسيّة وإن كانَتْ موجودة في قواميس اللّغة (هكذا) قولهم : العُنْصريّة ، والطّائفيّة ، والقَوميّة وغيرها من الألفاظ الجديدة

الاستعمال ، ومَغْزى هذه الالفاظ ؛ هو الابتعاد عن العصَبيّة الّتي توحي بِلفظها الأخّاذ على معنى التجمّع والتحيّز ، والتحزّب .

هذِه هي العصبيّة واشْتقاقها ومعناها ، وما جدَّ من الألْفاظ المترادفة لها ، أو في معناها من الاستعمالات الحديثة أو المسْتورَدة ، وإن كانَتْ أصيلة الجذم «في اللغة» . إنتهى كلام القاضي الأكوع ، وقد نقلتُه بنصّه وفصّه ، وقضّه وقضيضه ، لأنّني على يقين انّ القُراء اليمنيين سيُعجبُهم مرأى القاضي محمد « الحوالي » كما يُصرّ دائماً - وقد افْترع منبر اللغة وتقمّص ثِياب «الفيروزآبادي» و« الزَّبيدي » ، و« الأب لويس اليسُوعي » ؛ وراح يفسرّ الألفاظ ويورد المشْتقات ، مُعلّلاً مُتبحّرا ، فيخْبِطُ العَشْواء ، ويُفسرّ الماء بعدَ الجهدِ بالماء . . . !

مَنْ هُوَ اللّغويّ ؟

أنا لا أجحدُ فَضْلَ القَاضي وإخلاصَه لما يعتقدهُ صَواباً ، ولا أنكر إلمامَه الجيّد ومَعْرفتَه الواسعة ، مما قد يُخوّله الحديث عما يلمُّ به ، ويعرفُه ، وهو تاريخ اليَمن العَام ؛ وأنْساب قبَائِلها ، وجُغْرافيتها ، فقد قرأ ودرسَ واستوعَب كُتب الهمداني ، والخزْرجي ، وعمارة والجرافي ، وزَبَارة ، والحَجْري وغَيرَهُمْ . . ولكن . . . ولكنَّ ذلكَ شيءٌ واللّغةُ وحِسُّها الفَنّي ، وذَوقُها الأدبي ، شيء آخَر . . إنَّ أوّلَ شرطٍ من شروط « اللّغوي » - بعد علمِه بالتّاريخ ، والجُغْرافيا والأنساب أنْ يكونَ « أديباً » ؛ والأديبُ كما قال الأول :

« هُوَ الآخِذُ مِن كُلّ فنٍّ بطَرَف »

ونزيدُ ؛ فَنَقُول: هُوَ المؤرّخُ ، وهْوَ الشّاعر؛ هُوَ النسّابة وهْوَ الفَقيهُ أيضاً ، بَلْ وهُوَ النّاقِدُ ، والفيلسوفُ والفنّانُ ، في وقْتٍ معاً ! هذا هو الّذي يسْتحق لقَب « الأديب » ويحقّ له أن يفْترع منابَر أهلِ اللّغة ؛ أمْثال « الفيروزآبادي » و « الرّازي » و « الزَّبيدي » ، و « ابن منْظور » .

ومَنْ يعرف قدرَنفسِهِ مِن الأدباء لا يتجرَّأ على حَشْرِها بينَ « أهلِ اللّغة » ؛

لأنَّ « التَّعاريف » اللّغوية وحُدودَها الجامعة المانعة ليْسَت مِن السّهولةِ بحيث يَتَسَنَّى لِكلٍّ مَن هَبَّ ودَبَّ صياغتها ؛ ولِذلِك يكْتَفي الحُذَّاقُ والنُّبهاءُ ، وأصحاب الذّوقِ السَّليم . . حين يجدون لفظةً لغويَّة ؛ تَفْتقِرُ إلى التَّفسير . . بنقلِ مَا قاله عنها أهلُ اللّغة في قواميسهم .

والقاضي « الأكوع » قد اعْتَمَد ولا شكَّ على « القاموس المحيط » و « المنجد » في تفسيراته اللّغوية ولكنّه لم ينقل التّعابير الدَّقيقة الواردة هناك بل أراد « التجديد » فأخطأ بياناً وأداءاً ؛ وكلّف نفسَه فوق طاقتِها ؟

فصاحب القاموس يقول ـ مثلاً ـ :

« العصبُ محرّكةً أطْنابُ المفاصِل » .

ومؤلف « المنجد » يقول :

العَصَبُ مصدرٌ والجمع أعْصاب : أطْنابٌ مُنْتشرةٌ في الجسم كلّه وبها تكون الحركةُ والحس .

أمّا القاضي الأكوع فقد قال :

العَصَبُ بالتَّحريك جمع عَصَبَة بالتّحريك أيضاً كالأعصاب وهي العروقُ المشتبكة في جسدِ الإنسان وتمدّه بالحياة .

وتعريفات « الفيروز آبادي » « والأب لويس » محكمةٌ دقيقة أما صاحبنا فقدْ شوَّه تلك التّعابير الفنّية بما تراه . . وتركُ التّعليق عليه تعْليق !

وقال صاحبُ القاموس: « والعَصبةُ مُحرّكة » الّذينَ يَرثونَ الرَّجُلَ عَنْ كَلالةٍ من غير والدٍ ولا وَلَد ؛ فأمَّا في الفراضِ : فكلُّ مَنْ لمْ يكنْ له فريضَةٌ مُسَمَّاة فهو عَصَبَةٌ إن بقيَ شيءٌ بَعْدَ الفَرْضِ أخذ ، والعَصَبَةُ قومُ الرجل الذينَ يتعصّبون له » هذه التعريفات الدَّقيقة عبث بها صاحبنا « الأكوع » فقال : « وعَصَبَةُ الرجل بالتّحريك : قومُ الرجل الَّذين يتعصّبون له ، ويجتمعون حوله ويحدقون به كالعصابة ويرثون الرّجل من غير والدٍ ولا ولد ، وأما في الفرائض فكلّ ما لم يكن له فريضة مسمّاة كالعمّ والأخ ، ونحوهما فهو عصبه إن بقيَ له

شيءٌ بعد أهل الفرائض ، وإلاّ فلا شيء له فقد خلط أوّلا ـ بين مَعْنَيَيْ « العَصَبَةُ » اللذين ذكرهما صاحب القاموس:

١ ـ الذينَ يَرْثونَ الرّجلَ عنْ كلالَة من غير والدٍ ولا ولد .

٢ ـ « وقوم الرّجُل الّذين يتعصبون له » . وكأنْ الجميعَ يرثون .

وثانياً ـ حذف ـ عن كلالة ـ ولها مدلولُها اللّغوي الشرّعي . وثالثاً ـ مطّط العبارة بقوله : « يجْتمعونَ حولَه ويُحْدقون » به الخ ، وكانت العبارة « القاموسية » يتعصّبون له تكفي ورابعاً ـ غيّر عبارة : « كل مَنْ لمْ يكنْ » وجعلها : « كل ما لمْ يكنْ » والفرق ظاهر . . وخامساً ـ زاد : « كالعَمّ والأخِ ونحوهما » مع أن العبارة « القاموسية » : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فريضة مُسمَّاة تُغني ؛ وأخيراً تأمل دقّة التّعبير « القاموسي » : « إن بقيَ شيءٌ بَعْدَ الفَرْضِ أخَذَ» وتفاهة تعبير صاحبنا : « إن بقي لَهُ شيءٌ بعْدَ أهل الفرائض وإلاّ فَلا شيء لَه ؛ وحسّي اللّغوي وفي حدودِ معرفتي المحدودة لا يَطمئن إلى استْعمال لفظة « أهل » هُنا وكان الأنسب أن يقول « أصْحاب الفرائض » إذ قد يَنْصرف الذّهن مع « الأهل » إلى أنَّ المقصود « علماء فنّ الفرائض» ؛ فأهلُ الرَّجل : زوجته ، وأهل الأمر : ولاتُه ، وأهلُ المذْهب : من يدين به ، وأهل البيت سُكّانه واسألوا « أهْلَ » الذكرِ إن كنتم لا تعلمون .

وإذنْ : وإذاً . . فهل يجوز لِشخْصٍ يُقدِّم لِكتابٍ أدبيّ قال عنه « القِفْطي » أنّه لم يُترجم لِصاحبه « الهمداني » إلاّ لما وجد في كتابه هَذَا مِن عِلْم وبراعة . . كما ذكر الأكوع في مقدّمته ص ـ ٧٧ ـ « وقد ذكرتُ قطعةً من خبره وشعره في كتاب النُّحاة لأنّه من أهل اللّغة ويدلّ على ذلك قصيدته الدَّامغة وشرحها » ؟ هل يجوز أن يقدّم من يريد أن يُحقّق ذلك الكِتاب بمثل تِلك المقدّمة ؟ ويفسّر العصَبيّة بمثل ذلك التفسير . . . ؟ ويزيدُ فيقول :

والعصابة على الجُرْح ونحوه ، وتعْصَب على رأسه ونحوه العِصَابة ، وعَصَبَ الكيسَ والمزادة » ؟ ! هل يجوز أن يُكْتَبَ مثلُ هَذَا الهراء في مُقدّمة كِتابِ أدبٍ ولغةٍ وشعرٍ صاحبُهُ لسان اليمن ! !

ومن العجب أن يظنّ القاضي الأكوع ـ هدانا الله وإيّاه ـ أنّ الإلْتفاف حول شخصيةٍ ـ الزَّعيم ـ لِتقوية جنابه ، وحمايةِ مكاسبِه ، والذَبّ عنه الخ » كما قال في ص ـ ١١ ـ من « العَصَبيّة » الذَّميمة !! فَتَقْوية أيّ شخْصيةٍ ، أو حِزب أو جماعةٍ ، أو دَعوةٍ دينية ، أو حركةٍ إصلاحيّة ، لا يجوز أن نسمّي ذلك تعَصّباً بالمعنى البغيض! بل هُو التآزر، والاتحاد ، والتّعاون ، والنُّصْرة ، والله سبحانه قد أمَرنا بذلك حين قال : « واعْتصموا بحبْلِ الله جميعاً ولا تفرقوا » ؛ ولْيَسْمحَ لي القاضي سامحه الله أن أقول : انّه قد أخطأ بقوله : إنّ العصبيّة تُؤدّي معنى ما يتداوله النّاس في لغةِ المعاصرين « مراكز القُوى » و«لفلان مركز ثقل ، أوله ثقلُه، أوله وزْنُه« حسب» تعابيره ! وأنه قد أغرق في الخطأ حين قال : أنّ « العصَبيّة » هي : « كما تقولُ لغةُ الجرايد والصّحف : الدولة الفُلانية ألقَتْ بثِقلها إلى كذا » وكذلك ما يلجأ إليه القادة اليوم ويتغنون به ؛ ألا وهو الشّعب وما أدراك ما الشعب » إلى آخر ذلك الكلام الّذي سبق أن نقلناه وختمه بقوله : « ومن العَصَبيّة العُنصريّة ، والطّائفية والقَوميّة » .

لقد اختلَطَتْ في ذهنه معاني ألْفاظٍ لا يُمكن خَلْطُها وجَعْلُها مُرادفةً لِلَفْظة العَصَبيّة لأنّ هناك فوارق دقيقة في مَدْلولاتها اللّغويّة ، والسّياسية ، والإجتماعية ؛ والفرق واضحٌ بين أن تقول : « تَعصُّبٌ طائفيّ » ، و « تَعصّبٌ عنصريّ » و « تعصّبٌ قوميّ » وسبَبُ هذا الاختلاط اللّغوي والاجتماعي في ذهنِه ـ إلى جانب ما ذكرناه ـ ما أشار إليه الأستاذ مُصْطفى صادق الرّافعي في مقالةٍ نَشرَتْها في حياتِه أوّلاً مجلةُ «الرّسالة» ؛ ثُمّ وردَتْ في كتابه « وحي القلم » الجزء الثاني وعنوانها « فلْنتعصّب » وهي إحدى سِلسِلة مقالاتِه الرائعة : « أحاديث الباشا » قال : يخاطب الكاتب الانكليزي : جاءني كتابك ؛ فاذا كنتَ تريد رأيي فيما تُسمّيه « التَعصّب » الدّيني عندَ المسْلمين ؛ فعجيبٌ أن تضَعوا أنتُم الغَلطة ثم تسألونا نحنُ فيها ؛ ! إنّكَ لتعلَم أنّ هذا التَعصُّب الكَذِب الّذي أكْثرتُم الكَلاَمَ فيهِ ؛ إنما هُو لَفظٌ مِن ألفاظ السّياسةِ الأوروبيّة أرسلتُمُوه إلينا لِيُقاتِلَ لفظ « التعصّب الحقيقيّ » ، ومن قبْلِ هذا اخترعتُم لفظة « الأقليات » وأجْريتموها في لُغتِكم السّياسيّة لتجعلُوا بها . . لِتَعصّبنا الوطنيّ شكْلاً آخر غير شَكْلِهِ ؛

فتُفْسِدُوهُ علينا بهذِه المادةِ المفسدة وبذلك تضْربونَ اليد اليُمنى مِنْ غيرِ أنْ تلْمسوها . . إذ تضربونها بشلِّ اليَدِ اليُسرى » .

التَّعصّبُ والإسلام :

إنّ الإسلام في نفسِهِ شديدٌ علَى التَعَصُّبِ الَّذي تفهمونَه ؛ فهو يقُولُ لأهلِه في كتابه العزيز :

«كونوا قوّامِينَ بالقِسْطِ شُهَداء للهِ ولَوْ على أنْفُسِكمْ أو الْوالِديْن ، والأقْرَبين » .

فإذا كان العدلُ في هذا الدّين عدْلاً صارماً ، وحقّاً مَحْضاً لا يُمَيّزُ بِشَيْءٍ البتَّة ؛ لا ذَاتَ النّفس الّتي فيها اشْتهاءُ الدّم ، ولا أصْلَها مِنَ الأبوين اللذيْن جاءَتْ منها وِراثة الدَّم ، ولا أطْرافها مِن الأقربينَ الّذينَ يَلتفّون حَول نَسَبِ الدَّم - إذا كانَ هذَا . . فأيْنَ في هذا العَدل محلٌّ لِلظُّلم ؟ ؟

لعلكَ تُشير إلى الرّعونة الّتي تَعرفها في الأغْمارِ والأغْفال مِنَ العامّة فهذه ليستْ من أثر الدّين ؛ بل هيَ أثَر الجَهْلِ بالدّين ؛ إنّ هذا ليسَ تَعَصُّباً ؛ بلْ هو معنىً من معاني الحميّة النَّفْسيّة الخَرْقاء ؛ لم تجِدوا أنْتُم لَهُ لفْظاً ؛ فكانَ أقرب الألفاظِ إليهِ عِندكم هُو « التَعَصّب » فأطْلقْتُموه عليهِ . . لَيْسَ لِلْمعنى الّذي في نَفْسِه ، بل لِلْمَعْنى الّذي في أنْفُسِكم . ألا فاعْلَمْ أنّ إسلام العامّة اليومَ هوَ كالدَّعْوى المقبولة شكلاً ، والمرفوضة بعْدَ ذلك . . ! قال الإنجليزي : ولكنّ لِهؤلاء العامَّة علماء دِينيّين ، يُدبّرونهم من ورائهم ، وهم عندكم ورثةُ النبيّ ﷺ . . أيّ مَنْبَع الفِكْرة وقوّتها » .

قال الباشا : غير أنّ هؤلاء قد أصْبحوا كُلّهُم ، أو أكثرهم لا يندسُّ فيهم عِرْقٌ من تلك الوِراثة ، وذلك هو الّذي بلغ بِنَا ما تَرَى ؛ فالقومُ إلاّ قليلاً منهم كالأسلاكِ الكهْربائيّة المعطّلة لا فيها سلبٌ ولا إيجاب ؛ ولو أنّ هؤلاء العُلماء كانتْ فيهم كهرباء النبوّة ، لكَهْرَبُوا الأُمم الإسلاميّة في أقطارها المختلفةِ ؛ إذن لَقامَ في وجهِ الاستعْمار الأوروبي أربعمائة مِلْيون مُسْلمٍ جلْدٍ صارمٍ شديد ؛ مُتظاهرين مُتعاونين قد أعدّوا كلَّ ما اسْتطاعوا مِنْ قوّةٍ الخ .

« أتريدُ مَعنى التعصّب في الإسلام » ؟

إنّه بعيْنِه كَتَعصُّب كلّ إنجليزي للأسطول ؛ فهو تشَابكُ المسْلِمينَ في أرجاءِ الأرضِ قاطبة ، وأخذهم بأسْباب القوّة إلى آخر الاستطاعة ، لِدَفْع ظُلمِ القُوّة بآخر ما في الاستطاعة .

ثم قال الرافعي في نهاية المقال :

إنّ التَعصُّب في حقيقتِه؛ هو إعلانُ الأمّة؛ أنّها في طاعةِ الشريعةِ الكامِلة ، وأنَّ لها الرّوح الحادّة لا البليدة ، وأنَّ أسَاسَها في السّياسة الاحترام الذّاتي لا تَقَبّلُ غيره ، وأنّ أفكارهَا الإجتماعية حقائق ثابتة ؛ لا أشكالٌ نظريّة ، وأنّ مَبدأها هُو الحقّ ، ولا شيء غير الحق ، وأن قاعدتها : « لا يَضرّكُمْ مَن ضلَّ إذَا اهْتدَيْتمْ » ؛ فالهداية أوّلاً ، والهداية آخراً ، والهدايةُ في القُوّة ، والهدايةُ في السّياسة ، والهداية في الإجتماع ، فقُلْ لي بحياتكَ ، وحياة « إنجلترا » ! أيُعابُ ذلك علَى المُسْلِمين إلاّ بالألفاظِ الّتي يعيبُ اللّصُّ بها أهْلَ الدّار لأنّهم يحُكِمونَ في وجههِ إقفالَ الدّار . . ؟

قال : فوجمَ الانجليزي حتّى ذهل عن نفْسِه وصاح :

« إذا كان هذا هُوَ التّعصّب . . فَلْنَتَعصّب »

مِنَ العجيب أنّي كتبتُ كلام «الرّافعي» هذا قبل ثلاثين عاماً في « مختاراتي » وتذكّرتها وأنا أقرأ كلام القاضي « الأكوع » ورجعتُ إليها فآثَرتُ إثْباتها ليسَ ردّاً على صاحبنا . . ولكن لما في بيّناتِها مِن فوائد وذِكْرى تهدي إلى سواء السَّبيل ؛ إذ أن « المسْتَعْمِرين » وأذنابهم قد خذّلوا أعْصَاب العرب والمسلمين وأرهبُوهم بمفاهيم لغويّة خاطِئة ، ليَثبطوا من عزائمهم ، وقد أطلقوا عبارة « التعصّب الدّيني دَسّاً وكيداً - على ما هو من واجباتِ المسلم نحو دينِه وأمّتِه ، من تشابك ، وتآزر واتحاد وإيثار ، وتعاون ، وأخذٍ بأسباب القوّة ، والدفاع عنها . . مع أن التعصّب الذّميم ؛ والّذي حاربه الإسلام إنما يكون إذا تعصّبَ المرء في باطلٍ لِذات نَفْسِه ، أو أهلِه ، أو عشيرته ضدَّ الحقّ والعَدْل ، والإخوة الإنسانيّة والدينيّة القائمة على التّراحم ،

والتّعاطُف ، والتّناصح ، والمساواة[1] ؛ أما أن يغار « الوطنيّ » على وَطنِه ، وبني جِلدتِه ، وإخوانه في الدّين ضدّ المعتدي فانّ ذلك من واجباته ؛ وكذلك حين يتمسك المسْلِم بأوامر القرآن وتعاليم الشّريعة ، ويدعو إلى الهُدى ، والحقّ ، والخير . والعزةّ جميع أبناء وطنه مُتحمّساً ذَؤُوباً فَذلك ينسجمُ مع قوله تعالى : « وتَعاوَنوا عَلَى البرّ والتَّقوى » ولا يُعدّ تعصّباً ذميماً ؛ ولكن أعداء الإسلام بوسائِلهم الثقافية الجهنّميّة ؛ أدخلوا في نفوس المسلمين الضّعفاء ما أشار إليه الأُستاذ « الرّافعي » وهو ما جاز على صاحبنا « الأكوع » وأشباهِه ، ولا أدري لماذا غاب عنخاطرهقول الإمام « الشافعي » :

إن كَانَ رفضاً حبّ آل محمدٍ فلْيشهدِ الثقلان أنّي رافضي

ومعنى ذلك أنّني أستطيع أن أقول : إذا كان حفاظي على حقوق وطني وأبنائه ، وتمسّكي بمبادىء دِيني ، واعتزازي به يُعدّ«تعَصّباً» فأنا من « المتَعَصّبين » . . وأبناء اليمن كُلّهُم مُسلمون ، ولا فرق في الإسلام بين « الحِوالي » و« اليُعْفري » و« اليحْصُبي » و« العدناني » و« القحطاني » و« الشامي » و« العيْني » و« الأفغاني » و« المصري » و« الشافعي » و« الزيدي » و« التقدّمي » و« الرجعي ». والأهليّة،في الكفاءَةِ والقُدرَةِ ، والقُوّة ؛ والكرامةُ للمتَّقين العاملين المخْلصين .

النَّظريَّةُ الأكوعيّة . . !

لا شكَّ أنّ بعض القرّاء قد رثوا لِحالي ؛ وأنَّ البعضَ قد استغربوا إهتمامي بما كتبهُ القاضي محمد الأكوع ؛ ولا ألوم البَعْضَ إن لم يَسْتحسنْ صبري على قراءةِ ذلك الهُراء وانشغالي بتنْفيده .

وعليهِ . . فلن أقِفَ عند كلّ ما ورد في مقدّمته من الصفحة (١٢) « الثانية عشرة » حتّى الصفحة (٣٨) الثّامنة والثلاثين تحت عنوان : « نظرية في مبدأ العَصبيّة» . . ففيها من اللّغو ما لا يخفى على أحد ؛ ويكفي أن أشير إلى أنّه قد

(١) وذلك سلكه بعنادٍ واصرارٍ وحقد القاضي محمد الأكوع في كتبه وفي مقدّمتِه كما سترى .

جعل من الحسَدِ ، والتّنافسِ ، والأثرة ، والإيثار ، والحنان الأبويّ ، والحُبّ ، والعُنْصريّة ، والغيرة ، والشّعبية ، والوطنية والقَوميّة ، والخِلافات المذهبية ، وتَضارب وجهات النَّظر ، والطّموحات الشّخْصية ، ودواعي الثّأر ، وتنازع البَقاء ، ومبادىء الأحزاب السّياسية ، ومَناهج دعوات الإصلاح ؛ وكل ما يؤدي إلى نِقاش أو جدال ، أو حِوار ، أوْ لِقاءٍ ، أو خِلاف ، أو حرب أو سلام ، أو إتحادٍ ، أو تنافر جَعَلتْ « النّظريةُ الأكوعية » كلَّ ذلك ألفاظاً ، وتعابير تُرادفُ ، أوْ مُنْبثقةً عن لفْظةِ « العَصَبيّة » ! واستَشهد بقصص « هابيل وقابيل » و « آدم وإبليس » والملائكة ، و « يَعقُوب ويُوسف واخوته » والصّراعات التّاريخيّة بين « الدّول » و « الفِئات » و « العلماء » و « الشعراء » و « العوائِل » و « حربَ صفّين والجمل والنّهروان » وقصّةِ « الأمين والمأمون » ، و « الفرس والأتراك » . . كل ذلك بأسلوب لا يُسيغُه عقْلٌ عِلميّ ، ولا ذوق أدبيّ . . مُتجاهِلاً أو ناسياً . . أنّ كل تلكَ الألفاظ والعبارات الّتي سردها وجعلهامرادفة «لِلعَصَبيّة»لها مدلولاتها الخاصّة ؛ ومقياسُ الخيرِ والشرّ في تطْبيقها هو الاعتدال والاحسانْ ، أو الغلوّ والطّغيان ؛ لأنَّ الفضيلة كما قالوا قديماً «وسطٌ بينَ طَرفينْ» ؛ فالحُبّ والحنان والايثار على النفس ، والغيرة على العرض، والدّين ، والوطن ، كلّ ذلك خيرٌ ؛ إذا ظلّت في الاطار الإنساني الجميل ؛ ولكنّها إذا تجاوزتْهُ إلى الأنانيّة ، وحِرمان أصحاب الحقّ ، واحتقار الآخرين ، والاعتداء على الحُرُمات . . كانَتْ شرّاً ، وطُغياناً وتعصُّباً ذميماً . . وربّما أن هذا ما كان يريد صَاحبُنا أنْ يقوله . . لكنّه ارتبك واختَلطتْ عليه المعاني كما يقولون في « المثل الصنعاني » « قَدْ كلّهنْ هِنيّهْ » لكنْ ما بِشْ مَدَاقِمْ»[1] ! ! أيّ كلّ المعلومات في صدري ؛ لكنّني لا أستطيع التّعبير عنها .

---

(١) يحكى أنّ أحد « الفقهاء » كان يعلّم رجلاً « أميّاً » ظريفاً ؛ أذكار الصّلاة الفاتحة وبعض السور القصار والتوجه والتشهدين والتسبيح الخ وكان « الأميّ » الصّنعاني لا يجيد نطق الكلمات ، ولا يتقن إبراز الحروف من مخارجها ؛ وبعد أن أضناه « الفقيه » قال الأميّ العبارة المذكورة ؛ وذهبت مثلاً ؛ ومعناها : كلّ تلك الايات والأذكار قد رسخت وثبتت في قلبه ولكنْ ليْسَ عِندَه قدرة على النّطقِ بها بلسانِه مُحكمةً مجوّدة » .
المؤلف

كانَ في الإمكان الاكتفاء بهذا . . وفيهِ أكثرُ من الكثيرِ للْعارفين ؛ ولكنّ الكتاب قد يقعُ في يدِ قليلِ المعرفة ؛ وفي ثنايا تلك الصَّفحات أخطاءٌ فاحشة عقْلاً وتاريخاً . . . وذلك ما يدعو إلى التَّنْبيه :

١ ـ فقوله: أن « نظريّتَه »- هكذا قال ـ« قَدْ» أمدّهُ بهاالله مِن عنده ؛ فهي إجتهادٌ فان أصابَ فله أجران وإن أخطأ فلَه أجر الخ » وهذا استعمال لِلْعبارة القديمةِ ؛ لا يمكن أن يقرّه عليه ذومعرفةٍ ؛فلو فُتحَ هذا البابُ لِكلّ من هَبّ ودَبّ . . وسمّى كلُّ ذي رأيٍ قوله مهْما كانَ شَاذاً ، أو بعيداً عن الصَّواب في تقدير العَقْل الخالِص ، والبديهيات المنطقيّة ، اجتهاداً يَسْتحقُّ عليه الأجر . . لَسَقَطتْ مَوازينُ الحقِّ والعَدْل ، والحريّة ، وطَمّ الإنسانية البلاء السَّاحق . .

والاجتهادُ الَّذي قالوا ان المصيب فيه يَستحقّ الأجر مُضاعفاً . . له شروطُهُ ووسائِله وأهمّها ـ كما قال « الشّوكاني » في « البدر الطَّالع » : هو التّمكن من معرفةِ اللّغة وآدابها كيْ يتمكّن مَن يريد الاجتهاد في رأيٍ يعنّ لَهُ حول آيةٍ قُرآنية » أو « حديثٍ نبويّ ، أوقولٍ مأثورٍ » أوْ « حُكْمٍ شرعي» ، أونَصّ قانونيّ ؛ مِن التّدليل على وجْهةِنظرهِ ؛هذا أولاً ؛ وثانياً ؛ لا يَكون « الاجتهادُ » الّذي يَسْتحق المثوبة والأجر إلاّ في الأُمُور المشروعة عقْلاً ،-وعُرفاً ، ودِيناً ، وعِلماً ، وانسانيّة ؛ أما في « الكذب » و « تزوير التّاريخ » و « هتكِ الأعراض » و « تحريف النّصوص » ومُخالفة قوانين وموازين وأخلاقِ « الخير العام » ، و « العدالة الإجتماعيّة » . . فلا يمكن أن يتستَّر مَن يقترف ذلك ، أو يُحاوله وراءَ شِعار « الاجتهاد » ويطلب أجراً . كلا !! لاَ . . لا . . كلاّ وألفْ كلاّ «يا قاضي» . . إنَّ مَنْ يقترف ذلك أو يحاولُه . . يجب أنْ يُنهر ويُجازى ! إنّ من يُزَوّر التّاريخ ، ويتنكَّر للمبادىء الإنْسانية الكريمة ويعارض ثمراتَ العِلْم والمعرفة ووَسائل الحضارةِ النّافعة ؛ لا يستطيع أن يُسمّي ما يتفَوّهُ به إجتهاداً! إنّني أسمّي ذلك كما يُسمّيه النّاس في كلّ زمانٍومكان وبكل اللُّغات ـ جهلاً وغباءاً . . وإن زعمَ صاحبه « انّه قد استمدّهُ من رَبّه » ، وفكر فيه مثنى وثلاثَ ورُباع » ص (٢٢) لأن الله سبحانه لا يهدي إلاّ إلى الرشدِ والحَقّ ، ويأمُرُ بالعَدلِ والإحسان ويَنْهى عنِ الفحشاءِ والمنكر والبغي . .

مع الملك فيصل :

٢ ـ ما زَعَمَهُ القاضي الأكوع ـ أثناء نظريّتِهِ في ص (٢٣) عن الملكِ فيصل بن عبد العزيز ؛ بعيد كل البعد عن موضوع كتاب الهمداني ـ أولاً ـ وفيه حيفٌ وظلمٌ للحقيقة والتاريخ قال :

« وكتصْفية الملِك فَيْصل بن الملك عبدالعزيز آل سعود أخاه الملك سعود بن عبد العزيز . . فإن فَيْصلاً نافَسَ سعوداً على الملكِ وأجْهزَ عليهِ ؛ رغْم انّه كان وليَّ العهد ، وبيدِه أكبر منصب في الدّولة وحسَّاس « هكذا » ، وقابض على ناصية الحكم ؛ وهو رياسة الدّوْلَـة ، ولـكن النّعـرة الـطّبيعيّة في الإنسـان « هكذا » ما تركتْه يهْدأ! فَعَمِل علـى الخَـلاص من أخيه سعـود بالحيلـة ، المشهورة ونصَب المبرّرات الّتي ضلَّل بها على أسْرتِه وعلى علماء « نَجْـد » وعلى الرأي العالمي « هكذا » وكان من وراء هذه العمليّة « أمريكا » و « انجلتْـرا » ! فأزال أخاه سعوداً عن مَنصب الملكِ مطروداً وذلك سنة ١٣٦٥ هـ « هكذا » وكأنّه يقصد ١٩٦٥ م » ثم قال : « وكان « فيصـل » أدْهى وأمَرّ في سِيَاستِهِ إزاء أخيه « سعود » من « الامام أحمد حميد الدين » فإنّه لم يَسْفِكْ دَماً ، ولا لَطّخ يدَه بجريمة القَتْل ، ولا تحمَّل مأثماً . . ولا مغْرما ، بل مَكْسباً ومغنما . . ! وإن كانتْ لهذه الحادثة أثرها في « البيْت السّعودي » وكانَتْ بادرة انشقاق . انتهى كلام القاضي الأكوع بعُجرِهِ وبجُرِه . . ولا أريد أن أقول : أنّ مصدره الحِقد المعتّق الّذي يسري في شرايين « مُضلّلٍ » قديم ! انظر « قصّة الأدب في اليمن » ص (٣٥) . ولا أريد أن أقول : أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلاّ عمّنْ امتلأ قلبُـه بشعـور الـكراهية ، وبُغْض الصَّـالحين ؛ وبعاطفـة المـودّةِ والمـوالاة لِطـواغيت الحميّة الجـاهليّة ، والتَعَصّـب المقيت لِلْعُنْصـريّة البغيضـة ، والطّائفيّة الذّميمة ، ولا يُبالي تحت تأثيرها مِن أن يفتري علَى التاريخ ويُشكّك في الوقائع ، ويُشوّه الأحداث . . لا أريد أن أقول ذلك فقـد لا يرضـي مَنْ يُشفِقُ على « القاضي » . . ولكنّي أَستـطيع أن أقـول أن كلامَـه عَن الملك فيصل رحمه الله لا يتّصل بموضوعِه . . وهو يُحقّق كِتابَ أَدَبٍ ولغةٍ وتَفاخر بالماضي البعيد لأمّةٍ جاهِدةٍ تحاولُ أن تنْهضَ . . وتبْني لَها مجداً جديداً . !

وأستطيع أن أقول بكلّ احترام لِلْقاضي الأكوع . أنّ ما ذكره عن الملك فيصل ابن عبد العزيز رحمه الله ما كان ينبغي أن يصدُرَ مِن مثلِه في شيخوختِه . . وفي كتابٍ مثل كتاب الهمداني رحمه الله .

وأبناءالمملكة العربيّة السّعودية: علماؤُها وجنودهـا وتجّارهـا ؛ وأمراؤهـا يعلمونَ أنّ الملك « فيصل » كانَ زاهداً في المُلكِ ؛ وكانَ شديدَ الإخْلاص لأخيه الملك « سعود » برّاً ونُصحاً ، وتَوجيهاً ؛ وأنّـه قاسَى مِن أجـل ذلك أصْنافَ الأتْعاب صابراً ، مُثابراً ، واضِعاً نُصْب عينيْه مَصلحةَ أمّتِهِ المسلمـة وبلادِهِ العربيّة ، والنّاس جميعاً يعرفون الظّروفَ والملابسات الّتي أجْبـرَتِ الملكَ فيصل على النّزول عِندَ رغبة الأُمّة ليتحمَّل المسؤوليّة ، ويَقْبل إقالةَ أخيه ومُبايعة أهل الحلّ والعقد مِن الأمراء، والعُلماء والقادة لَهُ إماماً ومَلِكاً ، وكانت دوافع ذلك وطنيّة ودينيّة ، لـمْ يستطعْ أن يواجهها بغير القبول . . وليسَ هذا مكانُ تفْصيلها ، وقد لَمَس العالم أجمع . . وليس أبناء المملكة العربيّة السّعودية فقط نتائج ذلك التّغيير السَّليم ؛ الّذي أنقذَ البـلاد مِن الإفـلاس ، وطوّرها الى الرخاء والازدهار ، والنّظام ،والعُمران، على أُسُسٍ تضمنُ لِلبلادِ الأمن والاطمئنان ، والوحدة والعدل ، والتقدّم والقوة ، والنموّ والاستقرار .

كثيرمن النّاس يعرفونأنّي كنتُ من أصدقاء الملكَ فيصل بن عبد العـزيز ذلك الشّجاع المتواضع ؛ وأنّ ما كانَ بيني وبينَه من المودّة لا يكون إلاّ بين الأصْفياء المتوادّين في اللهِ والحقّ . . والجميعُ يعرفـون انّـي مَا تملّقتُـه ولا حابَيتهُ بمقالةٍ في جريدة ؛ أو بقصيدةٍ في ديوان ؛ وأنّني لم أبكِهِ إلاّ بالدّموعِ والصَّمْتِ المرير . . ولهذا فمِنْ حقّي أن أذكُرَ وقد مَضَى إلى ربّه أنّـي حين زُرْتُهُ إلى « الرّياض » بعد أنْ خَلَعَ العلماءُ والأُمراء ، وأهلُ الحلّ والعقد في المملكة العـربيّة السّعـوديّة ، الملك « سعـوداً » ورغْـمَ مُعَارضةِ« فيصل» ومحاولته التَريُّث شَفقةً وأملاً في إرعواء أخيه وبِطانَتِه المعروفـة ـ نَعَـمْ لَقَـدْ زُرْتُه . . فاسْتقبلني كعادتِه بِتلكَ النَّظرة العميقة ، والبَسْمة المؤمنـة ، وحين قلت له : « أُهنّيكُمْ » ؛ أطْرقَ مليّاً . . ثم نظر إلـيّ نظـرةً لن أنْساهـا وقـال بصوتٍ حزين : « تُهنّيني يا أخ أحْمد ؟ ما كان أحراك أنْ تُعزّيني » ثم دار ما

دَار مُفصّلاً لصديقِهِ بَعضَ ما كانَ بِلهجَتِه البسيطة الصَّادقة الحازمة في موقف استمرّ خَمْسَةً وأربعين دقيقة ولا ثالث لنا إلا الله وقد أثبتُّ ذلك في مكانِهِ من مذكّراتي .

الشهادةُ وِسامُ الأبرار

٣ ـ لقد استبْشعتُ ما قاله القاضـي الأكوع بعـد ذلك ؛ مِمّـا ينمّ عن أدْواء دفينة ، وسخْرية بقوانين العظمة ، ومطامِحِ الأبطال ، وكرامةِ الإستشهاد فقـد قال ص (٢٤) «وحانتِ الأقدار فقُتِل الملِكُ فيصل الَّذي كانَ يظُنّ أنْ لاَ يُقْدَرُ عليه . ! على يدِ أقْرب النَّاس إليه . . ألا وهو فيصل بن مساعـد بـن عبـد العزيز وذلك في مارس سنة ١٩٧٥ م » لا . . لا . . يا حضرة القاضي . . ما هكذا يتكلّم العلماء ! ولَيْسَ الإسْتِشهادُ ولا الموتُ نفسُه بذَميم ولا بعار . . ولقد كانَ أبْطال العَرب يَكْرهُونَ الموتَ على الفِراش ، ثم جاء الإسلام فرفع الشهداء إلى منزلةٍ عالية بينَ الأنبياء والصّديقين ، ولقد قُتلَ أميرُ المؤمنين عُمر ابنُ الخطَّاب غدراً بتدبير المتآمرين على الإسلام من اليهود والفاسقين ؛ وقُتل عليّ بن أبي طالـب أمير المـؤمنين غيلـةً بيدِ أحـد المـارقين علـى الإسـلام والمُسلمين ؛ و« عليٌّ » و« عُمَر » مَنْ تَعْلَمُ منزلـةً وقـدراً . . والمؤمنـون ، وأفذاذُ الرجال لا يرهبون الموتَ ، ويرجون « الشّهـادة » ومِـن كلام «الإمام علي »«فوالله ما أُبالي أدَخلْتُ إلى الموتِ أو خَرجَ الموتُ إليّ » . وقال مِن كلام له عليه السلام « واللهِ لولا رجَائي « الشّهادة » عند لقائي العدوّ ـ لو قدحُمّ لي لقاؤه ـ لقرّبـتُ رِكابـي ثمَّ شخصْـتُ عنـكُم فلا أطلبـكُم ما اختلفَ جنُـوبُ وشمال » . وقال في إحدى خطبه : « إن أكرمَ الموت القتل ؛ والّـذي نفسُ « إبن أبـي طالـب » بيده لألف ضربـةٍ بالسَّيف أهـون علـيٌّ من ميتـةٍ علـى الفراش » .

وقدكانَ الملك« فيصل بن عبد العزيز »رحمه الله برّاً تقيّاً لا يَظُـنُّ ـ كمـا زعمتَ يا حضرةَ القاضي ـ « أنّـه لن يُقـدرَ عليه»! وقَضـى شهيداً بيدِ خائنـةٍ للاسلامِ والمسلمين ، وأما القرابةُ فلاَ شأنَ لها في الدّين ، والله سبحانه يقول لنبيّه : « إنّه لَيْسَ مِن أهْلِكَ ؛ إنَّه عملٌ غيرُ صَالح » بعد أن قَالَ « نوح » عليه

السلام « إنّ ابْني من أهلي الخ » ؛ وقال الإمام علي«إنّ أولىَ النّاس بمحمّد مَن أطاع الله وإن بعُدت لحمتُه ، وإن عدوّ محمّد من عَصى الله وان قُربت قرابتُه» وطالما سمعتُ الملكُ فيصل وسمعه غيري يَطلب مِن الله متضرّعاً أن يَرْزُقَهُ الشّهادة .

لا . . لا . . يا حَضرة القاضي إنّ ما قُلتَه فيه تطاول على الحُرمات وما كانَ ينبغي أنْ يصدر مِن مثلك .

نُطَفٌ في أصْلا ب الرجال :

٤ ـ أنا أعرِفُ أنّ هُنَاكَ ـ في اليمن وغيرِها ـ مَنْ لا يزالون يحتفظون بمذاهِبهم المتوارثـة عَن أمثـالِ « أبـي لؤلـؤة » ، و . . « إبـن ملْجَـم » ، و«عِمران بن حطّان » ؛ وأنّهم يكرهونَ الحقّ والخيرَ والسّلامَ ، وينْصبون العداوة للإسلام والمُسلمين طبعاً وغريزة ، وبعامـل « الوراثـة » وأنّهـم يظْهَـرون ويَخْتفُونَ ، وتحت مُخْتلف الشّعارات ما بَيْن فترة وأخرى وفي كلّ زمانٍ ومكان ؛ ولقد قَالَ عليٌّ عليه السَّلام لمّا قُتِلَ « الخوارج » . . فقيل له : يا أمير المؤمنين هَلَكَ القومُ بأجْمعهم ؛ قال : « كلاَّ واللهِ إنّهمْ نُطَفٌ في أصْلابِ الرّجال ، وقرارات النّساء . . كُلّما نجَمَ مِنهم قرنٌ قُطِعَ ؛حتّى يكونَ آخِرُهُم لُصُوصاً سلاّبين » ! أعلم ذلك كما يعلمهغيري؛ وليسَ هذا فحسَبْ . . . بل وأعرفُ أنّ هُناك من يكره كلّ المسلمين أينما كانوا : في «الشّام» أو في « العراق » في « مصر » أو في « اليمن » ؛ في « مكة » ، أو في « طشْقنـد » ؛ في سائـر البلـدان : من « تطْوان » إلى « باكستان » لأنّهمْ عندهم ليسوا مِن أتباع « فلان » أومِن«طائفة» « عـلاّن » ؛ ؛ لأنّ هذه « النِّسْبـة » أو تِلك ، « التَّبعيّة » هي « دينُ » هؤلاء « النّاس » بل وإنْسانيّتُهم » ! وبدوافِعها يُفكّرون ويكتبـون ، ويشْعـرون بلْ ويتصرّفون ؛ وانّ مِنْ بيْنهـم مَنْ لَوْ وَهَبَـهُ اللهُ قُدرةً بيانيّةً لكانَ خطَـرُهُ علـى الإسلامِ والمسلمين كبـيراً ، ! وأعرفُ مِنْهم مَنْ هُوَ ذُو مَوْهبةٍ بيانيّة ولكنَّ اللهَ سبحانه قد ابتلاهُ بالجُبْن . . . فانْطَوى على دفائنِه «كالنّـارتأكلُ بعضها» . . غير أنّي لا أستطيع أن أزعم أن القاضي العالِم المؤرّخ محمد بن علي الأكوع من هؤلاء أوْ أولئِك ؛ أو أنّه يرضى عمّا يعتقدون ويُضْمرون ويفعلون لأنّه . . .

مُسْلِم . . ولم أشِر إلى مَنْ أشرتُ إلاّ من باب الاستطراد . . والشيء بالشيء يُذكر ؛ مؤكداً في نفس الوقت معرفتي ، ويَقيني ، بأنّ حملَةَ القرآن ، وحُماةَ الإيمان ، وفلاسفة الحقّ ، والعارفين من الشعراء والكتّاب بالمرصاد لكُلّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نفسُه . . العَبثَ والافساد! « ولَيَنْصُرنَّ اللهُ من يَنصُره » هذا من جهة . . ومن أُخرى فإنّ أحداً من اليمنيّين وغيرهم لم يُعْطِ اهْتماماً لكلّ ما وَرَدَ في منشورات وكُتب القاضي « الأكوع » خلال السَّنوات الماضية مثل بعض تعليقاته في « الإكليل » وكتابه : « إبنُ الأمير وعصْرِه » ، و« اليمن حامل لواء الإسلام » من أساطير وتهجّمات على العلماء ، وأرباب الفكر ، وقادةِ الإسلام في اليمن وسائر الجزيرة العربيّة . . . بل إن الكثير قد تصفّحوها ساخرين ـ حاشا الجَهلة أمراض النّفوس ـ وما كان لي أن أعْطِ بالاً لذلك . . . ولكنّه يُحاولُ الآنَ أنْ يَبُثَّ بعْضَ تخرّصاته مُتَستّراً بظلالِ « لِسان اليمن » الهمداني ؛ ذلكَ العَلَم الّذي لم يتكلّمْ أحدٌ مِنَ المتَقَدّمينَ مِنْ أُدباء وشعراء اليمن ؛ عنْ فضل الإسْلام ورسوله الكريم ، وآلِه الطّيبين ، كما تكلّم ؛ ولا سيما في « الدامغة » شعراً ونثراً . . ولذلك كان لا بُدّ من الكشْفِ عن الحقيقة إكراماً لِلْهمداني ودامغته العظيمة ، وشرحها الجليل وسوف نُبيّن في فصْل لاحق محبَّةَ الهَمداني لأهْل بيتِ الرّسولِ وبأدلّةٍ ونصوصٍ من « الدّامغة » وشرحها ونَنْفي الدّعوى التي تقول :

إن الهمداني قد سجنَه النّاصر بن الامام الهادي ؛ أو بأمره . . ونُثبتُ أنّ الّذي سجَنه وطاردَهُ هو الأمير « اليُعفري » « الحِوالي » ، الّذي فعل مَعَ أبنائِه وخلفاءِه بأسرة علي بن الفضل ما فعلوا . . ولأنَّ الشيءَ بالشّيء يُذكر . . فَمِمَّا يُؤكد أنّ القاضي الأكوع لم يتَقيّد بموضوع الكتاب الّذي أرادَ أن يحقّقهُ وأنّه قد اتّخذ من مقدّمتِه وسيلةً لبثّ بعض لواعجِ نفسِهِ ممّا لا صِلة لَهُ بالكتاب قوله في ص (٦٥) حين ذكر الحرب في اليمن : « الحرب الضَّروس الغاشمة التي أجّجوها ، وأضرموها ، وفرضتْها قوّى خارجيّة يترأسها الجارُ الملاصق المسلم الكبير » « هكذا » !! ولا أدري من يخدم الأخ « الأكوع » بمثل هذا وقد أكثر منه في كُتُبِه المشار إليها ؟ وهو يعلمَ أن تلك الحرب المؤسفة كانَت من حماقة

وتجنّي عناصر مُغْرضة تَلاشت إثـر المصالحـة الـوطنية ؛ وبعـد عقـد عدّة مؤتمرات بين الأطْراف اليمنيّة المختلفة وكان آخرها «مؤتمـر حرض» الذي كان هو نفسه أحد أعضائه ؛ وهو يعلم أن الجار الملاصق المسلم الكبير حقّاً الملك فيصل رحمه الله قد بذل كلّ جهدٍ في سبيل إقرار السَّلام في اليمن ، ولا تزال المملكة العربيّة السّعوديّة تبذل العون وتقدّم المساعـدات السَّـخيّة للشّعـب اليمني وحكومتـه ، أفيكون هذا هو الشّكْران . . ؟ لا . . وحاشا . « وإذا كانَ المتكلم مجنوناً . . فالمستَمع بعَقْلِه » كما يقولون في « صنعاء » .

الفصل الرابع

إقرأ .. وتدبّر .. ثم احكم..

الصَّفحات الّتي سوّدَها القاضي محمد الأكوع مِن رقم (٣٩) حتّى صفحة (٦٤) في مقدّمته تفْهقُ بالتّحامل العنصريّ ضدّ فئةٍ من إخوانه في الدّين والوطن ، ودونما مُبرّرٍ إلاّ التّحاملُ نفسه ؛ لَقدْ كرّرَ في هذه الصَّفحات بَعْض ما سبق مُسْتشهداً حَسَبَ الهوَى - ببعض الآيات والأحاديث ؛ الّتي لو تأمّلها لَوَجدها تُدينُ التَّعصُّبَ العُنْصري ؛ والافتخارات السّلالية ! وتذكّرُ بالحكمةِ «الالهية» البالغة. . .الّتي ضرب الله بها مثلاً لمن لا يعْملُ بعلمِه . . ومع ذلك فقدْ سَمّى القاضي ما تفوّه بِهِ « نظريّة » وكأنَّهُ « دِيكارت » أو « الامام الغزالي » ! وهتَكَ حُرمات العلماء ، وحرَّف وبدّلَ ، وناقضَ نفسَهُ مِراراً . . وما كنتُ أودّ أن أناقشَه في كلٍّ أو بَعْض ما قالَه . . لولا أنّني أخشى أن يصل كتابُه إلى أيدي بعض النّاشئة ؛ أو أولئك الّذين لا يعرفون عن اليمن وتاريخها شيئاً . . فيظنّون باليمن وأهلها الظّنونَ التي لا تشرّف اليمن ولا أهلها ؛ ولذلك رأيتُ من واجبي الدّيني والوطنّي التَّنبيه إلى ما يلي :

أوّلاً التَّحامل على « العلويّين »

سيُلاحظ القارىء أنّ « القاضي» محمد الأكوع إذا ذكرمَنْ يَنْتسبُ إلى الإمام « عليّ » رضي الله عنه فَقدَ أعصابَهُ ، ونَفَث بألفاظٍ يَتَحامَاها النُّبهاء مِنْ «المؤرخين» مَهْما كانَتْ ميولهم وأهواؤهم ؛ مثل قوله في ص (٤٤) - مُقدّمة -: « كانَ الطّموح في نفوس « العلويين » أولاد « علي بن أبي طالب » يُداعبُهم بين فيْنةٍ وأُخرى للْوثوب على الخلافة . . لأنّهم يرونَ أنّه سُلِبَ مِنْهمْ الحقّ الالهي الخ» ! وقوله في نفس الصَّفحة (٤٤) « ونتيجة لِلْكبت والعقد النّفسيَّة بأبعادها ، واغْتِصاب الخِلافة ، وإقصائهم عَنْ مَرْسح الحُكم . . قد أثارتْ

في نفوسهم تأثيراً كبيراً وكثيراً « هكذا » فلم يجدوا مُتنفَّساً إلاّ إثارة الفتنة ، واحياء العصبيّة ، فبذروا بذورَها على لِسانِ شاعر مضر الكُميت بن زيد الأسدي » !

إنّ مثل هذهِ النّفثات لاتصدر إلاّ عن غرضٍ وهوى ؛ فلم يكنْ « عليّ » ولا « الحسن والحسين وإخوانهما » ، ولا « أحْفادُهم » الآمرون بالمعروف ، والنّاهون عن المنكر ، والخارجون على الظّلمة من « الأمويين » و « العباسيين » و « العلويين » أيضاً يَرون أنّ « الخلافة حقٌّ إلهيّ » !!؟ وكيف لا . . وقد سمعوا قول الله تعالى : « إنّ أكرمَكُم عِنْدَ اللهِ أتْقاكُم » ، وقولَ الرَّسول ﷺ « لا يأتيني النّاسُ بأعمالِهم وتأتُوني بأحسابكم وأنْسابكم ؟! وهذا صاحب « البصائر والذّخائر » يقول في المجلّد الأول ص (٣٠٦) : « قال جعفر بن محمد : لأمير المؤمنين عليه السلام تسْعُ كلماتٍ أيَّمْنَ جواهر الكلام ؛ وأيْتَمْنَ حقائق البلاغة ، وقَطعْنَ أطْماع المحاولين عن اللّحاق بهنّ ؛ ثلاثٌ منها في المناجاة ، وثلاثٌ في الحِكمة ، وثلاثٌ منها في الأدَب : فأمّا اللّواتي في المناجاة فقوله : إلهي ! كفاني فخراً أن تكون لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكون لكَ عبداً ، أنتَ لي كما أحبُّ ، فاجعلني لكَ كما تُحبُّ . وأما اللّواتي في الحكمة فقوله : أمْنُنْ على مَن شِئْتَ فأنت أميرُه ، واحْتج إلى من شِئتَ فأنت أسيرهُ واسْتَغن عمّنْ شئتَ تكُن نظيره ؛ أما اللّواتي في الأدب فقولُه : قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُه ، والمرءُ مخْبوءٌ تحت لسانه ، والنّاس أعداء ما جهلوا » وهذا سلمان الفارسي (رض) الّذي رُوِيَ أنّ الرسول ﷺ . . قال فيه « سلمان منّا أهل البيت » يقول كما جاء في « البصائر » ص ٦٠٠ ج ٢ :

« أبي الإسْلام لا أب لي سواهُ إذا افتخروا ببكرٍ أو تميمِ »

« بدعوى » الجاهلية لم أجبهم ولا يَدْعو بها غيرُ الأثيمِ

« دعيٌّ ـ القومَ ينصرُ مُدّعيهِ ليلْحقَه بذي الحَسَبِ الصميم !!

وهذه الأبيات ؛ وإن حاول « ناقِدٌ ما » أن يتشكّك في نِسْبَتِها إلى سلمان الفارسي

(رض) فلن يسْتطيعَ أن ينكر أنّ فحواها مُستَمدٌ من روح القرآن الكريم ، وسُنة الرّسول العظيم ؛ وما يعتقده أهل بيتِه الأخيار ، ولقد كان « سلمان » منهم بنصّ الرسول ؟؟

الإمام زيد بن عليّ والرّوافض

وبنَفْس الرّوح والعقيدة جابَهَ « الإمام زيدُ بن عليّ » عليه السَّلام وهو الّذي خرج على « هشام بن عبد الملك » بعد أن تأكّد من ظلمه ، وتجبّره ، واستبداده ، وقال قولته الّتي أرعبتْ « هشام « من أحبَّ الحياة عاشَ ذليلاً » ! وهو « الامام » الّذي أفتى « الامام » أبو حنيفة بمناصرته ، وقاتل معه علماء « الاعتزال . . » هذا الامام زيد بن علي عندما جاءه « المتطرّفون » والغلاة من أنصاره يريدون نصْرته والقتال معه ، شريطة ان يتبرأ مِنَ « الصديقين » الخليفتين « أبي بكر » و « عُمر بن الخطاب » رضي الله عنهما كانَ موقفه موقف الصّدْق الّذي لا يُحابي ولا يُماري ، كما ذكر كلّ المؤرخين ؛ وسأفضّل أن أنْقُل رواية القاضي العلامة نشوان بن سعيد الحميري في كتابه « رسالة الحورُ العين » قال ص (١٨٤) : « وروى عوانة بن الحكم قال : لمّا استَتَبَّ الأمْرُ لزيد بنْ عليّ عليه السلام جمعَ أصحابه فخطَبَهم وأمرهُم بسيرة علي بن أبي طالب في الحرب . فقالوا : ـ أي البعضُ منهم ـ قد سمعنا مقالتك ؛ فما تقولُ في أبي بكر وعمر ؟ فقال : وما عسيتُ أن أقول فيهما ؟ صَحبا رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلم بأحْسن الصُّحبة وهاجرا معه ، وجاهدا في الله حقَّ جهاده ، ما سمعتُ أحداً مِن أهل بيْتي تَبرَّأ منهما . . ولا يقول فيهما إلاّ خيراً . . قالوا : فلم تَطْلُبُ بدمِ أهْلِ بَيْتِك وردّ مظالِمهم إذاً ؟ أليسَ قد وثبا على سُلطانهم ، فنزعاه من أيديكم ، وحَمَلا النّاس على أكتافِكم يَقْتلونُكم إلى يومكم هذا ؟ » .

قال لهم « زيد » : إنّما ولّيا علَيْنا وعَلَى النّاس ، فلمْ يألُوا العَمَلَ بكتابِ الله وسُنّةِ رسوله . قالوا : فلم يظلمك بنو « أُمَيَّة » إذاً ، إن كَانَ أبو بكر وعمر لمْ يَظْلماكْ ! فَلِمَ تَدْعُونا إلى قتالِ بني أمية وهم ليسوا لكم ظالمين ، لأنَّ هؤلاء إنما اتّبعوا في ذلك سُنَّة أبي بكر وعُمر ؟ فقال لهم زيد : إنَّ أبا بكرٍ وعُمر ليْسَا

كهؤلاء ، هؤلاء ظالمون لكُم ، ولأنفسِهم ، ولأهل بيتِ نبيِّهم ، وإنما أدعوكم إلى كتابِ الله ليُعمل به ، وإلى السُنَّة أنْ يُعمَل بها ، وإلى البدَع أن تُطفأ وإلى الظّلمةِ من « بني أميّة » أن تخْلَع ، وتُنْفى ، فان أجبتُم سعدتـم ، وان أبيتُـم خسرتم ، ولسْتُ عليكُمْ بوكيل .

قالوا : إن برئْتَ منهما . وإلاّ رفضْناك؟ قال زيد : الله أكبر ، حدّثني أبي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم قال لِعليّ عليه السلام : إنّه سيكونُ قوم يدَّعون حُبَّنا لهُم نبَزٌ [أي لَقب] يُعْرفُونَ به ؛ فإذا لقيتموهم فاقْتُلوهُمْ فانهـم مشركون اذهبوا فإنّكم الرَّافضَة ففارقوا « زيداً » يومئذٍ « فسمّاهم » « الرافضة » فجرى عليهم هذا الأسم .

ثم قال « نشوان » في « الحور العين » أيضاً ص(١٨٥ - ١٨٦)عن الامام زيد : « اجتمع طوائفُ النّاسِ على اختلاف آرائهم ، على مبايعتـه ، فلـم يكن « الزَّيدي » أحرص عليها من « المعتزلي » ، ولا « المعتزلـي » أسـرع إليها مِن « الْمرجـي » ولا « المرْجـي » من « الخارجـي » فكانَـتْ بيعتـه عليه السلام مُشتملة على فرق الأمة مع اختلافها ولم يشـذّ عن بيعتِه إلاّ هذِه الطّائفة العليلة التّوقيف » الخ

إلى أن يقول ص (١٨٧) « ومما يدلّ على صحّةِ ما رواه السيّد أبو طالب من إجماع فِرق الأُمّة علـى « زيد بن علـي » لِمـا كانَ من فضلِـه ، قولُ شاعـر « الخـوارج » حبيب بن جدرة الهلالـي ؟ يرثـي زيداً عليه السَّـلام ويقـرّع « الزيدية » :

« يَابَا حُسينٍ » والأُمـور إلـى مَدَى	أولادُ «درْزة» أسْـلمـوكَ وطـاروا »
« يَابَـا حُسينٍ » لـو شُراةُ عصابـةٍ	عَلَقَتْكَ كـانَ لِوردِهـم إصْدارُ!

وقال أيضاً :

« أولاد دَرزةَ أسْـلمـوك مبلّـلاً	يومَ الخميس لغير ورد الصَّادرِ
تركوا ابـن فاطمـة الـكِرام تقُـودُهُ	بمـكان مَسْـخلـةٍ لعَيْـن النّاظرِ

والّذي ذكره « الامام زيد » هو رأي أتْباعه وأئمة أهْل البيت ؛ وأرجحُ ما رُويَ

عن الإمام الهادي يحيى بن الحُسَين. . ولا أنكر أنّ هنـاك غُلاة ومُتَطـرّفين ؛ ولكنّه شأن البشر في كلّ المذاهب ، والعقائد ، وفي كلِّ زمانٍ ومكان ، ولعلّهُ من المناسب أنْ أذكر هنا ما رواه « التّوحيدي » في « البصائر » والذخائر السِّفر الثّاني ص (٤٣٦) :

قال يحيى بن زيد رضي الله عنهما: نحن من أمّتِنا بين أرْبعةِ أصناف : ظالم لَنا حقّنا ، وبالغٍ بنا فوق قدرِنا ، ومْعطٍ ما يجبُ لَنا ، وحامِـل علينـا ذَنْـبَ غيرِنا » .

ومن المعلوم طبعاً ـ أن الشهيد يحيى بن الامام زيد بن علي رحمهُ الله إنّما أرادَ بالحقّ هُنَـا . حقّ الانسـان المُسْلِـم في الحياةِ والحـريّة ، والتّفـكير ، والتَّعبير ، إلى آخر ما يُسمَّى بحقوقِ الانسان في هذا الزمان . .

مِنْ أيّ صِنْف يكونُ القاضي ؟

ولا أدري من أي صِنْفٍ يكونُ الأُستاذ القاضي محمد الأكوع . . ولعلّه كانَ من الصّنْفِ الرَّابع حين جزم بأنّ « العلويّين » هم الذين أثاروا فِتنة التعصُّب العُنصـري والطّائفـي ؛ فحمّلهـم بذلِك ذُنـوبَ غيرِهـم ؛ وقـد حكم بذلك مُسْتشهداً بروايتي «المسعـودي» و « الأصفهانـي » رغْـمَ تناقضهمـا وقـال في صفحة (٥١) : « إن أوّلَ منْ فتَح بابَ السّباب والشّتائم وإثارة العصبيّة هُو الكُميت بن زيد بايعازٍ من الطّالبيّين « فالبادىء أظلم » . وادّعى أنّه أستقـى ذلك من كلام أبي الفـرج الأصفهاني في « الأغاني » ؛ وهو ادّعاء باطلٌ يُناقض ما نَقَلهُ « الأكوع » نفسهُ عن أبي الفرجَ إذ قال في صفحة (٤٩) ناقلاً عن الجزء السَّابع عشر من الأغاني ما نصّه :

« ورُوِي أنّه كان حكيم بن عيَّاش الكلبي وَلِعاً بهجاء مضر ، ويهجو عليَّ بن أبي طالب عليه السَّلام وبني هاشم جميعاً ؛ وكانَ مُنْقطعـاً إلـى بنـي أمية ؛ وكانَت شعراء مُضَر تهجوه ويجيبُهم ، وكانَ الكميتُ يقول : هو واللهِ أشْعَرُ مِنكُم . قالوا فأجِبِ الرَّجل ؛ قال : خالد بن عبد الله القسْري مُحْسِنٌ إليّ ، فلا أقدر عليه ؛ قالوا : فاسمعْ باذنِك ما يقول في بنات عمتِك ، وبنات خالك من الهجاء ، فأنشدوه ذلك .

ثم قال القاضي محمد الأكوع : « ولم يورد صاحب الأغاني شيئاً ممّا أنشدوه مِن شعر « الكلبي » وأورد من شعر الكُميت ثم واصل النّقل عن الأغاني قائلاً : « فَحَمِيَ الكميتُ لعشيرته » وألحّ بيْنهُما الهجاء فقال قصيدَتـه المذهبـة : « ألا حيّيت عنّا يا مدينا » إلى آخر القصّة .

وإذاً ؛ فليس « الطّالبيّون » و « العلويّون » سبباً في تلكَ الفِتنة ـ كما زعـمَ القاضي سامحـه الله وقولـه : أن صاحـب الأغانـي لم يورد شيئـاً من شعـر « الكلبي » يريدُ في هجْوِ أمير المؤمنين عليّ » فلعلّ ذلك كان تسامياً من أبي الفرج ولكيْ نُرفّه علَى القاضي نقول أنّ صاحبَ « البصائر والذّخائر » قد أورد شيئاً من ذلك فقال في السِّفر الثاني ص (٣٠٦) :

« قال الحكيمُ بن عيّاش الكلبي » :

« صَلَبْنـا لكمْ زيداً علـى جذع نخْلةٍ ولم أرَ مَهديّاً علـى الجِذْعِ يُصْلَبُ »
« وقِسْتُمْ بعُثمـانٍ عليّاً سفاهـةً وعُثمـانُ خيرٌ مـن علـيٍّ وأطيبُ »

وحين بلغ قولُه جعفر الصّادق رضي الله عنه رفعَ يده إلى السماء .

(وفي معجم الأدباء بزيادة وهُما يَنتفِضان رعدة)فقال : اللّهُمّ إن كانَ عبدُك كاذباً فَسَلّط عليه كلْبَكَ ؛ فبعثه بنو أمية إلى الكُوفة ، فَبَيْنما يدورُ في سِككها إذ افترسه الأسد ، واتّصل خبره بجَعْفر فخرّ للهِ ساجداً وقال : الحمد لله الذي أنْجزنا ما وعدنا » . أهـ . هذا أوّلاً .

ثانياً : أهَمّية الأنساب عند العرب :

لَعَلّ القاضي الأكوع وفّقهُ اللهُ وإيانّا ـ لا يُنكر ما كان للأنساب مِنْ أهميّة عندَ العرب قبل الإسلام ، وأنها كانت مِنْ أسْباب الألْفـةِ والتّنافـر ، ودعامـةً من دعائم النّظام السّياسي ، وانّهم كانوا يتفاخـرون بهـا قبِيلـةً قبيلـةً ، وجِذْمـاً جِذْماً ، بل وبيْتاً بَيْتاً . وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك حتى أنّهُ حينَ صوَّر لهم هوْلَ يوم القيامة قال : « فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فَلاَ أنْسابَ بيْنَهُم » وقد فسّر بعض الحكماء قوله تعالى « ألْهاكُمُ التّكاثُر حتّى زُرتُم المقابر » أنّهُ التّكاثر بالأنساب والعشائر حتّى بمن قد ماتوا ، وحَوَتْهُـمُ الأجداث ، وقد ندَّدَ الإسلام

بتلك المفاخرات والنعرات العرقية ، وجعل الأخوَّة في الدين أقوى من إخوّة الدم . . وفضَّل روابط الحرية والعدالة والمحبة على روابط النَّسَب ومع ذلِكَ فقد كان ما كانَ عند وفاةِ الرسول العظيم ﷺ وقال الأنصارُ : مِنّا أميرٌ ومنكم أمير ، وتمرَّد مَنْ تمرَّد مِن العرب ؛ وكان ذلك قبل الكميت بن زيد ، وقبل بن عياش الكلبي ، ولم يكن لِلْعلويّين فيه لا ناقةٌ ولا جَمَلٌ وقد أشرتُ إلى ذلك في كتابي « قصّة الأدب في اليمن » وكتابي « شرح دامِغة الدوامغ » وفي إمكان القاضي الرجوع إليهما إن أراد ، هذا ثانياً .

ثالثاً : المفاخرات والعلويّون :

وأودّ أن أسأل القاضي : هل « العَلويّون » في اليمن هم الذين أوعزوا إلى « تُبّع » الَّذي حَكَمَ قبل أن يُخْلق « عليّ » بمئات السنين أنْ يقول حَسَب رِواية « الهمداني » :

« فهل النّاس غير أبناء « قحطان » . . إذا ما ذكرتُ غير عبيدي ؟

وأنْ يقول :

« كلُّ مَنْ يَحْتـذي النّعـالَ ومَـنْ لاَ يحْتـذيها من البـريّـة عبدي ؟

وهل هُم الّذين حرّضوا امرء القيس على أن يقول :

لا يُنـكرُ النّـاسُ مِنّـا يَوْمَ نَملكُهـم كانُوا عبيداً ، وكنّـا نحـنُ أرْبابا ؟؟

وهـل هُم الـذين أثـاروا غير هؤلاء من « قحطـانيين وعدنـانيّين » علـى « التفاخـر » . . وكتـب الأدب والسّير تزْخـر بآثارهـم ولا سيمـا كتـب « الهمداني » ؟

وما « دخلُ » أوْ شأنُ العلويّين وقصة « وائل » بن حُجر الحضرمي المتوفى سنة خمسين هـ ـ مع معاوية » وقد ذكرها صاحب « البصائر والذّخائر » ص (٣٧٨ ـ ٣٧٩) السِّفر الأول قال : « أتى وائل بن حُجْـر النّبـي ﷺ فأقْطعَـهُ أرضاً ، وكانَ مُعَاويةُ يَكتبُ للنبيّ ﷺ فخرجَ مَعَ وائِل في هاجرةٍ شاويةٍ ومَشَى في ظلّ ناقةِ وائل فقال له : أردِفْني على عُجزِ ناقتك ، فقال له : لسْـتَ من أرْدافِ الملوك ، قال : فأعطني نعْليْك ، فقال : مَا بُخْلٌ يمنعني يابْـنَ أبـي سفيان ، ولكنْ أكره أن يَبْلغ أقيال اليمن إنّك لَبستَ نعْلي ، ولكنْ امشِ في

ظلّ الرَّاحلة فحَسْبُكَ بهاشرفاً»، ثُمّ أنّه لَحِقَ زمانَ مُعاوية ودخَل عليه فأجْلسَهُ مَعَهُ على سريره وتحَّدث بهذا « الحديث » وقد ذكر هذه القصّة الهمداني في الدّامغة شعراً فقال :

« وقدْ طَلَبَ ابنُ صخْرٍ يومَ قيظٍ إلى عبْدِ الكلال بأنْ يكُونا لَهُ ردْفاً الخ الأبيات : ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - من كتاب قصيدة الدَّامغة » ص (٣٣٩) وشرحها ؛ وقال القاضي الأكوع معقّباً في الحاشية رقم (١) ص (٣٤٠ إنّ الهمداني قد خلط بين وفاة الحارث بن عبد كلال ، وبين وفادة وائل بن حُجْر الحضرمي بينما فصَّل ذلك في الاكليل وسردَ القِصّة بزيادات ، وقالَ أخيراً . انظر « طبقات بن سعد» ، «واليَمَن حامل لواء الاسلام » والوثائق السّياسية متفاخراً متعالياً . ؟

الأخْطلُ والأنْصارُ ويزيدُ .

ألَمْ يقرأ« القاضي» قِصّة يزيد بن معاوية حينَ هيَّج الأخطَل الشّاعر النَّصْراني المِلّة على هجاء « الأنْصار » وهُمْ مُسْلِمون ينتمون إلى « قحطان » نَسَباً فقالَ :

« وإذا نَسَبْتَ بنَ الفُريعةِ خلْتَهُ كالجحْشِ بين حِمارةٍ وحِمارِ
خلّوا المكارِمَ لسْتُمُ مِنْ أهْلها وخُذُوا مسَاحيكُم بني النجَّار
« ذَهَبتْ قريشٌ بالمكارِمِ كلّها واللّؤم تَحْتَ عمائِمِ الأنصارِ ؟

وكيف غضب الأنصارُ ،حتّى هَدّأهم « معاوية » بحزمه ودهائه ؟ فَهلْ يعتقد « القاضي » أن « للْعلويين » اليمنيّين يدٌ في ذلك ؟؟

وابْنُ الزُّبير ومعاوية : !!

أولَمْ يَطّلع« القاضي »على ما رواه « الجاحِظ »في البيان والتَّبيين « السِّفر الرَّابع ص (٩١) : « قال إبنُ الزُّبير لِمعاوية حين أراد أن يُبايع لابنه يزيد ؛ تُقدم إبنك على مَنْ هو خيرٌمنه؟ قال : كأنَكَ تريد نفْسَكَ ؟ إنّ بيتَه بمكّة فوقَ بيتِك ؟ قال ابنُ الزّبير : إنّ الله رفَعَ بالإسْلام بيوتاً ، فبَيْتي مِمّا رفع . . قال معاوية : صدقْتُ وبيت حاطِب ابن أبي بلْتَعة » ؟؟

رابعاً : مَنْ أثارَ فتنة الأنساب في الإسلام ؟

لقد أعرضَ الأخ القاضي الأكوع صَفْحاًعمَّا رواه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني وهو يُعلّل أسْبابَ فتنة التفاخر بالأنساب ، واخْتِلاقِ المثالب فقال ص (٢٢) ج (٢٠) ثقافة . « إنّ أصْل المثالب زياد لعنهُ الله فإنّه لمَّا ادَّعى إلى أبي سفيان ، وعلم أنّ العرب لا تُقرُّ له بذلك مَعَ عِلمها بنَسبه ، ومعَ سوء آثاره فيهم ؛ عَمل كِتاب « المثالب » فألْصَقَ بالعَرب كلّها . . كلَّ عيْبٍ وعَار ، وحقٍّ وباطل ، ثم بنى على ذلك الهيْثم بن عَدي ، وكان دعيّاً ؛ فأراد أن يعرَّ أهلَ البيوتات تشفّياً منهمْ ، وفَعَلَ ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنّى كانَ أصلُه يهودياً : أسْلَم جدّهُ على يد بعض آل أبي بكر الصّديق (رض) فانْتمى إلى ولاءِ بني تميم ؛ فجدّد كِتاب زياد ، وزاد فيه ، ثم نشأ غَيلانُ الشّعوبي لَعَنَهُ الله وكان زِنديقاً ثَنوياً لا يُشكُّ فيه ، عُرِف في حياته بعضُ مَذْهبه ، وكان يورّي عنه في عداوته للإسلام بالتشعُّب والعَصبيّة . . ثمّ انكشف أمرُه بعدَ وفاته ـ فأبْدَع كِتاباً عمِله لِطاهر بن الحسين ، وكانَ شَديد التشعّب والعصبيّة خارجاً على الإسلام بأفاعيله ؛ فبدأ فيهِ بمثالب بَني هاشم وذكر مَناكِحهُم ، وأُمّهاتِهم ، ورَضائِعهم ، وبدأ بالطيب الطَّاهر ﷺ فَغَمصَهُ وذكرَهُ ثم والى بينَ أهْل بَيْتِه الأذكياء النّجبآء عليهم السّلام ، ثم بِبطونِ قُريش ، ثم بسائِر العَرب فألْصَق بهم كُلَّ كذب وزُورٍ ، ووضع عليهم كلَّ حقٍّ وباطل » .

فلِماذا تَهرَّب القاضي محمد الأكوع عن نَقْلِ هذه الرّواية الصَّريحة وهيَ تُبيّنُ أنَّ الّذين أثاروا فتنة الشّعوبيّة والمثالب وحرّكوا مشاعر العَصبيّات العرقية إنّما هم أعداء الإسلام ، وأنّ بني هاشم كانوا مِن ضحايا إفتراءاتهم ـ ولجأ إلى الرواية المضْطربة الّتي بيَّنا أنّها عَلَيهِ لاَ لَهُ ولَوْ فكّر مليّاً لعرَفَ أنّه لم يكن في حاجةٍ إلى إثارة الفِتْنة مِن جديد ؟؟

خامساً : واضربْ لَهُمْ مثلاً :

إنّ المنافرات ، والمفاخرات ، والمنابزات ، والتّعصُّب للأحْساب والأنساب والأمم «والشّعوب» كثيرة في الأدب العربي قديماً وحديثاً ، وفي

الجاهليّة وبعد الإسلام ؛ وأشعارُها وأخبارُها تملأ الأسْفارِ ؛ وكانَ أبعد النّاس عنها الرّسول الكريم ﷺ ، والطّيبون من أهل بيتِهِ ، والأخيار مِن صحابته الرّاشدين والتّابعون باحْسان .

وأنا على يقين أنّ ما جَرى بينَ الفرزْدق و « جرير » من مُهاترات ومفاخرات « ونقائض » لم تكُنْ بتحريضٍ من « العلويّين » !!

كما أنّ الأستاذ الأكوع لا يَستطيع أن يدَّعي أنّ ثورةَ اليمنيّين في مصر على القاضي العُمَري حين أرادَ أن يُلحِق بنَسبهم جماعةً من بلدة « الحرس » بمصر سنة ١٩٣ هـ وقول الشّاعر « الخولاني » :

ومِـن أعجـب الأشياء أنَّ عِصابةً ... من القِبْطِ فينـا أصبَحوا قَد تَعرَّبوا ؟
وقالُـوا أبونـا يَعْـربُ ، وأبوهُـم ... مِن « القبط » علجٌ حبْلُـهُ يَتَذَبْذبُ »
ألا لَعَـنَ الرَّحْمـنُ من كانَ راضيـاً ... بهـمْ عرباً مـا دامتِ الشَّمسُ تغربُ

إلى آخرِ القُصّة ـ قد كانَتْ بإثـارة الطّالبيّين ؟؟ (وانظر قصة الأدب)

نعم لا يَستطيعُ « الأكوع » أن يزعم ذلك ؟ ولا أنْ يقـول أنَّ « النجاشـي » شاعر عليّ (رض) يومَ « صفّين » قد هجا « قُريشاً » باذن « عليّ » ؟ ولا أنّ العلَويّين همْ الّذين هيّجوا شعراء اليمن على « الثورة » حين أراد معاوية بن أبي سفيان أن يُلحقْ نسَبَ « قُضاعة » بنسـب « معد بن عدنان » فقال عديُّ بن الرّقاع لُزهير العذري :

« أزُهير ؛ إنّـي إن أطعْـتُ كَسوتني ... فـي النّـاس ضاحيةً رِداء صغارِ
قحطـانُ والـدُنـا الّـذي نُدْعـى له ... وأبـو خُزيمـة مُدركُ بنُ نـزارِ
أنَبيعُ والـدنـا الَّـذي نُدعَـى لَه ... بأبـي مَعَاشِـر غائـبٍ مُتواري ؟

وقال شاعر « معاوية » والأمويين الَّـذي كان يهجـو « العلـويين » حكيم بن عيّاش الكلْبي في ذلك :

برئنـا إلـى اللهِ مـن أن يكونَ ... أبُونـا نزارٌ فَنَـرضَـى نَـزَارا
ولـكنّنـا نحْـنُ نجـلُ الملوك ... يمانـونَ أصْـلاً ، يمـانُـون دارا

أجلْ ؛ لا يَسْتطيع أنْ يدّعي « الأكوع » أنّ أبْناء «علي» أثاروا تِلك الحـرب الكَلاميّة !ولاَ أنّهم أيْضاً قد أوعزُوا لِشاعرِ الأمويّين « جَـرير » أنْ يردَّ علـى « تقَحْطُنِ » عديّ بن الرّقاع فيقول مُتشامخاً :

أقصـــرْ ؛ فإنّ نَـزاراً لَـنْ يُفاضِلها   فَرعٌ لئيمٌ ، وأصْـلٌ غير مغْـروس »
وابْـــنُ اللّبـــونِ إذا ما لُزَّ في قَرنٍ   لَمْ يسْتطع صَوْلَةَ البُـزْلِ القَناعيس »

ولقد كانتْ فتنةٌ ابتلي بها المسلمُون ، وبذرها المنافقون ، ومن أشارَ إليهمْ صاحبُ الأغاني «ليتَوَهُوا» بالمسلمين في صَحارى الضَّـلال ، وقدْ وُضِعَـتْ في ذلِكَ الأشعـار مِن « نقـائض » إلـى « مُذْهبـات » إلـى « دَوامـغ » واخْتُلقـت الرّوايات والأخبارُ ، وقد فَرَغ مِن تحقيق ذلِكَ أهلُ العِلْم وأساطينُ الأدب ، وعلماء التّاريخ ؛ وما كان لي أن أخوضَ فيه . . لولا أنَّ القاضـي « محمـد الأكوع » قد ظَلّ خمسة عشر عاماً وهو ظُلْماً يهْذي بذلك . . ثُمّ جاء في مقدّمةِ كتاب قصيدةِ الدَّامغة » وقالَ «إلى مَا ذكرنا مِن أقواله : « إن أوّل مَنْ فَتَحَ بابَ السّباب والشّتائم وإثارة العَصَبيّة هُوَ الكُميت بنْ زَيد بإثارةِ مِنَ الطّالبيّين » . . فكانَلا بدَّ ؛غيرةً علَى الشّاعرِ الكُميت وتبْييناً للْحقيقة ؛ أنْ نُورِدَ بعضَ الأمْثلة الَّتي تنْقُض قولَ القاضي ؛ وهُناك مِئات الأمثال مبْثُوثةٌ في كُتُبِ التَّـاريخ ، وأسْفار أصولِ الأدب .

سادساً : هَفَوات يمنيّة :

لقد كانَ يَظْهرُنزقُ القاضي محمد الأكوع « الحوالـي » في تعـابير الرّضـى والتَّقدير الَّتي يُضْفِيها عَلَى شُعراء يُرْضُونَ أو يُدلّلون تعَصُّبه « وحواليته » كما يبدو في نفَثات تحامُلِه عندما يتحدَّث عنْ الشّعراء الّذين يَتعصَّبون « لِعَدْنان » أو يُحاولون مُعارضَةَ زملائهـم المتَعَصّبين لِقحطان : أمَّا مَنْ يذْكُرُ أو يَمْـدحُ أحداً من « أهْل بيتِ الرَّسول » فيا لِلْويل والثّبـور! ! والقاضـي يَعْمَـلُ ذَلكَ بطريقةٍ لا تُراعي أُصولَ النَّقد الأدبي ، ولا مَقَاييسه الفَنّية ؛ بل وَلاَ حَتّى أبْسَط قواعـد الـذَّوق لدُن المـؤرّخين ذوي الأهـواءِ والميولِ الخاصّـة ؛ وسَنُـورِد أمْثَالاً . . مهما كانَت تافهةً ومُضْحكة لكِنّها تُصورُ ما أشَرنا إليه :

أ ـ إبنُ أبي عُيَيْنة وأبو الذّلفاء :

عندما ذكر إبن أبي عيينة ص (٥٢) مقدّمة قال: «فإنّـه هَجا نزاراً »« وفـرى جِلدتها » ولكنَّه عندما ذكر « أبا الذّلفاء » الّذي ناقَضَ قصيدة « ابن أبي عيينة » قال : « إنّما كلّفَهُ بِذلك إسحق بن عبّاس العبّاسي » ثم قال :« وهذا العبّاسـي الحاقد هو الّذي ولاّه المأمون اليمن سنة ٢٠٩ هـ فأساء السّيرة ، وتعدّى وظلم الخ . . اثم يقول بعد كلامٍ غريب عن : « نَوْمةِ العصبيّة نَومة أهلِ الكهْف » « واستَيقظت باليمن الّذي أصْحاها العلَويّون »أوّلاً ؛وباليمن أخيراً « هـكذا » وتفوّه بما لا يليق عن الامام الهادي يحيى بن الحسين!

ب ـ الهمداني وشعراء عصره :

وعندما تحـدّث عنْ الشّعراء « اليمنيّين » الّـذين عارضُوا أو عاصروا « الهمداني » قال : « حَسَدَهُ زعانِفةُ الشّعـراء ، وأوبـاشُ الجهْـل » وأمـراض الحِقد » إلى آخر ما قاله من التّعابير البذيئة ص (٥٥) .

جـ ـ العلَويّون وضيافة القـاضي!!؟

وقال في ص (٥٦) : «وهكذا تَبْتَدىء العَصبيّة من العلويّين الّذين أنْزلْناهُم عِنْدنا ـ هكذا ـ ضيوفاً ؛ فراراً من اضْطهاد بني عمومتهم العبّـاسيّين . فكان جزاءُنا كُفْرانَ النّعم ـ هكذا ـ والبذاءة والشّتم والأنتقاص الخ » وتركُ الجوابِ عليهِ جوابُ!! والمجاثات يومَ الدّين .

د ـ القاضي والشّاعر العَدوي .

ومن نفثاتِـه الّتي تفْضَحُ تحيّزه وعُنصريّته قولُه عَن« العَدويّ » حفيد الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وكانَ مِن شُعراء اليمـن وعُلمائها ؛ قال « الأكوع » « ومِمَّن دَسَّ أنفَه » في المناقضات زيدُ بن محمّد العَدَوي . فقد تصدّى لِمناقَضة لِسان اليمن « الهمداني » ؛ثم يقول« فناقضه علاّمةُ اليمن في عصْرِه المؤرّخ الكبير محمد بن الحسن الكلاعي الحميري المتوفـى بقلْعـة كُحْلان سنة ٤٠٤ هـ الخ »!فذلك « دسَّ أنفهُ » وهَذَا علاَّمَة اليمـن المـؤرّخ الكبير » ص (٥٦) مقدمة .

هـ ـ نشوان الحميري وأحمد بن سُليمان .

ومن تَفَاهاتِه هداهُ الله وإيّانا قوله :ص (٥٧) «ومن المناقضات ما جَرى بين « الإمام » نشْوان الحميري ؛ أحد أعْلام العرب ومِـنْ أشْـرف بَيْتٍ باليمـن ، طُموح النَّفْسِ ، عالي الهمّة ، شَريف المقاصد حُرّ الفكرِ ، مُسْتقلّ الرأْي ، عالماً بالكِتاب والسُّنّة وأيَّام العرَب ولغاتها ، واسع الأفق الخ » . . وبَيْن الامام أحمد بنْ سُليمان الَّذي يَنْتهي نسبه إلـى يحيى بن الحسين السَّـالف الـذِّكر ؟ [يقصد الامام الهادي] ، وهو أيّ ابن سُليمان من أئمةِ الزَّيدية الَّذي لَهُ أفكارٌ نادِرة مَمْجُوجة وسخيفة وتعصُّب ممقوت ، وهو الّذي شرَّع للزّيدية تحريمَ زواجَة « العَلويّة » بالقحطاني وغيره ، وصارَ مذْهباً لهُمْ مُعتمداً» الخ ! ؟ !

وهُنا أعتقدأنّ القارىءالمنْصِفَ لا بدّ أن يَسْمحَ لي إنْ لَمْ يُناشدْني بأن أترك لِقلمي حُريّة الدّفاع عن الحقيقة المضْطّهدة في التخرُّصات والهَفوات السَّالفة الذكر ؛ المنافية لآداب المؤرخين والعُلماء والنّقاد .

فالامام أحمدبن سليمان ؛ وبالرّغم من أنّه كانَ يُمثّل فِئةً غاليةًّفي تَشَبّثها بما تَعتقده حقّاً وشَرْعاً وصَواباً ؛ شأنُـهُ شأن سائِـر الغُـلاة في كلِّ فرقـةٍ وطائفـة ونحْلةٍ ، وحِزب ، وبالرغم من أنّي شخصيّاً وأنَّ كثيراً من القُدماء والمحدثين في اليمن . لا يُوافِقُونهُ ولا أمْثالَه في بَعْضِ وجهات النّظر سواء كانَتْ أصوليّة أو فروعيّة أو أدبيّة ؛ أو سياسيّة ؛ مثلما لا نُوافِق نشوان الحميريّ في بعْض وجهات نظرهِ . . الَّتي تجَاهَل في إحداها رُكناً من أركان الإسلام وهيَ قولُه : أنّ آلَ النَّبيّ هُمْ أتْباعُ مِلّتـه! فَلَمْ يُبْقِ لِلزّكاةِ ومَصَارِفها مَعْنى . . ! لأنها مُحَرّمةٌ عند جمهور المسْلمين على « أهل البَيْت » . وإنْ اخْتلفوا في تحديدهم ، نعم بالرّغم من ذلك ـ فلا يُمكن أن نُجيزما قاله القاضي الأكوع عن الامام أحمد ابن سُليمان وان كنا نجيزُ له كلَّ ما قالَهُ أو كالَـهُ من مدائـح لِلعلاَّمـة نشـوان الحميريّ رحمهما الله ؛ ولا يَسْتطيع أحدٌ أن يُنكر أنّ الإمام أحمد بن سليمان كان عالماً كبيراً وشاعراً وأديباً ، ومن أشـرف بَيْت في اليمـن حَسَـب التَّعبير « الأكوعي » ونسْتغفر الله ، لأن الشّرف والكرامة ليْسَت في « البيوتات » كما قال ابنُ الزُّبير لمعاوية ! ولعلّه من الانصاف للرَّجلين وقد كانا زَميلين بيْنهما

علاقة صهرٍ وأدَب أنْ أذكر ما قالَه نشوان الحميريّ في أحمد بن سليمان من قصيدةٍ طويلة :

يابْـنَ الأئمّــةِ مِنْ بنـي الزَّهراءِ	وابْـنَ الهُـداةِ الصَّفْـوة النّجباءِ
وإمـام أهْـل العصـر ، والنّـور الذي	هُـدِيَ الولـيُّ به منَ الظلماءِ
كم رامـتِ الـكفّـارُ إطفـاءاً لـهُ	عَمْــداً فمــا قدروا علــى إطفاء
يا خيـرَ من تَمْشــي بهِ قـدمٌ على	وجْــهِ البسيطـةِ من بنـي حوّاءِ

وقد كان « نشوان » مِمّن حرّض الامام أحمد بن سليمان على ضرورةِ القيام بالدّعوة لِما رأى منَ الفوضى العارمة التي كانتْ تجتاح اليمن حينذاك ؛ وقدأشارَ إلى ذلك المؤرّخون؛ وانظر صفحة (٢٩٥) من كتاب « غاية الأماني » السّفر الأول أحداث عام ٥٣١ هـ - ١١٣٧ م .

« تكافـؤ الزواج » :

هذامن جهة ؛ومن أخرى كيفَ يجرؤ القاضي محمد الأكوع أن يقـولَ : « أنَّ الإمـام أحمـد بن سُليمـان هو الّـذي شرَّع تحْـريم زواج « العلــويّة » بالقحطانـي وغيره وصـار مذهبـاً لهُـمْ معْتمـداً » وهــو يعلــم أن ذلك غير صحيح . . ؟ وإذا كان قد رأى ذلك الامام احمد بن سليمان ؛ فلم يكُنْ أوَّل من ابتدعه ، ولن يكون الأخير ؛ ونحنُ نعرف أنّ المذهب « الزّيدي » يعتبرُ الكفاءة في الدين مثل سائر المذاهب الاسلامية ؛ ولو أردتُ أن أعدّد أسماء من تزوجوا من أبناء اليمن وبنات اليمن قبل الثّورة وبعدها ومن أتباع المذهب الزيدي والمذهب الشافعي خلافَ ما ذكره القاضي لأطلـتُ وأسهبـت ؛ ولا أنكر بهذا أنّ هناكَ ؛ قديماًوحديّثاً ؛ وفي الجاهلية وبعد الاسلام ، وفي اليمـن وغيرها من كانوا ولا يزالون يشْترطون في المصاهرة والتّزاوج شروطاً ليسَتْ من الإسلام في شيء . . . !

وكثيراً ما قرأنـافي تاريخ العـرب عن إغـراق قبيلـةٍ ما ، أو جذمٍ ما ، في إعتزازهم بأصولهم ، وتعصّبهم لأعْراقهم ؛ حتى أنّهم يأنفـونَ من الاصْهـار إلى مَنْ ليس منهم ؛ ولا يرتضون لكَريمتهم إلاّ احد قومهم وقد روى صاحبُ

« الاكليل » « الهمداني » أقاصيص كثيرة في هذا الباب ؛ ومن ذلك ما ورد في الجزء العاشر منه ؛ وهو أنّ الفنيق بن مالك قصد بابْنِ أخٍ له في جماعةٍ من بني ربيعة إلى محمّد بن عبد الرحمن « آل أبي الدّنيا » وهو نازلٌ«بيناعة»فضافوه ليلاً ؛ فلمَّا قامَ بضيافتهم ؛ سأله الفنيق أن يُزوّج ابنَ أخيه بابنتِه ؛ فَدافَعَهُ فَلَمْ يَنْدَفِعْ لا هُوَ وَلاَ مَن مَعَه ، وحايرُوهُ ولم يكن عنده جماعة يحتمي بها . . فزوَّج ؛ فلماَّ عقد النّكاح قالوا ائْتِهِ بها السَّاعة . فتلوَّح مِن ذلك ، وعرَّفهم انه لا يمكن فلم يقبلوا له عُذراً . . فناشدهم ؛ فلم ينشدوه ؛ فقال : فاني أفعل ؛ فلْتبعد الجماعةُ من المنزل ؛ فيدْخُل معي العَروس فأخلّيه وأهلَه ، فابتعدوا وأخذ بيدِه فأدخلَهُ ثمّ اتّكأ على حلْقِه فذَبحهُ وقطَع ذكره فَجعله في فيه ! وثقب المنزلَ من دبره وخرج « بحرمته » تحت اللّيل ؛ فلحق « بضياف » فمنعوه قال شاعرهم :

« مَنعنا «بنَ ذي المُشعار» فالنّجمُ دونَه ... فمن رامُه فلْيلمِس النّجم باليَدِ
فقُل لِرجالٍ أوعدوهُ تزاجروا ... فللنَّجْمُ أدْنا مَلْمساً مِن « محمد »

وحتّى العلويّ كان غير كفوءٍ عند المعيدّيين !

وقال« الهمداني »عند كلامه عن« المعيدّيين »: وهذا البيت لا يرونَ لهمْ كفوءاً من حاشد ؛ وقد طمع مُحمد بن يحيى بن الحسين [الامام الهادي جد الامام أحمد بن سليمان] بالصّهر اليهم فأعجزوه .

وقل مثل ذلك في خبر مالك بن العجلان الخزرجي مع « القيطون » وإبائه أن يزوّجه ابنته وقوله : « إنّا عَرب لا نُزوّجُ مَنْ ليسَ منا ؛ ولك في « قريش » متّسع ؛ ثم لمّا لم يجدْ من الأمر مناصاً احتال فقتل « القيطون » ليلة زفاف ابنته اليه .

الغسَّاني وزرارة بن عدس

وذكر « الهمداني »أن رجلاً من « غسَّان » جنى على بعض بني عمّه ؛ ثم هَرَب وحالَف « زُرارة بن عدس التّميمي » فخطب « زُرارةُ » ابنةَ « الغسّاني » على بعضِ بنيه ؛ فكره الغسّاني ذلك ودافعهُ ؛ فلمَّا مات « زُرارة » أقبل على أهله فقال : إنَّ حليم القوم قد هلك وهؤلاء شباب ، ولَسْتُ آمنُ أنْ يحملوني

على ما أكره من إنكاحهم ؛ ثم احتمل في أوَّل اللّيل بأهلِه فما عَرَّس حتّى خرج من ديار تميم وقال :

رغبتُ بها عن « حاجبٍ » وابن أمّهِ « لقيط » وعنْ تِلكَ الرجال الركائِك
ولو كنتُ في « غسّان » أبرَزْتُ وَجْهَهَا وأنكحْتُها بعضَ الرِّجالِ الصّعالِكِ

وقد أشار إلى ذلك « الهمداني » في « دامغتِه » الّتي حقّقها « الأكوع » وقدَّم لها بما تُفنِّده الآن ؛ قال الهمداني ص (٤٢٤) :

وقد طلبَتْ تميمٌ صهر جارٍ لهمْ مِنّا فأضْحوا مُبْعدينا
وما كانوا لِغسّانٍ بكفوءٍ لربّات الحجال مُقدّمينا

ذاكراً في شرحها أقاصيص أخرى من قبيل ما ذكرناه ثم قال في ص (٤٢٦) « طبعة الأكوع » عند شرحه لقوله مفتخراً :

ونحنُ النّاكحون إلى « عدي » كرائمه ونِعْمَ المنكحونا
فأمهرنا الَّذي جعلوه فيهم رِضىً لجميعهمْ . . مِسكاً دهينا

لمّا هرَب « مُهَلهل » بن ربيعة ، واسمه « عدي » وإنما سُمّي مُهلهلاً لأنّه أوَّل من هَلْهَل الشِّعر وطوّله ، ولِلْهَلْهَلةِ في ثيابه إلى ديار « جَنْب » من « مذْحج » خَطبَ إليه معاوية بن عمر بن معاوية بن معاوية بن الحارث بن مُنَبّه إبنته فزوّجها وكان صداقها أدماً فقال :

أصْبحتُ لا مَنْصِباً أفدْتُ وَلاَ بِتُّ سَليماً خلْواً مِنَ النَّدمِ !
أنكَحَهَا فقْدُها الأراقِم في « جنْبٍ » وكانَ الحباءُ من أدَم ؟
لو « بأبانين » جاءَ يخْطبها ضرّج ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ
ليسوا بأكفائنا الكِرام ، ولا يغْنون ؛ من فاقةٍ ومن عدم ؟
عزّ على تغْلب بما لَقيتْ أختُ بني المالكين من « جُشم »

إلى آخر ما قاله « الهمداني » مما نسيهُ أو تناساه صاحبنا القاضي الأكوع في مقدّمته ؛ ونسَبَ إبتداع التّشدّد في المصاهرة إلى الامام أحمد بن سُليمان ؛ وليس ذلك فحسب بل قال أنّها أصبحتْ شرعةً متّبعة في المذهب « الزَّيدي » ولا بد أنْ أكرّر القول أنَّ أحمد بن سليمان إذا كان قد رأى ذلك الرأي فهو من

قبيل ما تباهى به « الهمداني » في كتبه ، ولا شأن للأمر بزيدي ، ولا « شافعي » ولا « حنبليّ » ولا « مالكي » . وكان الأحرى بالقاضي الأكوع أن يقول : إن كل ما كان في الجاهلية قد شطبه الإسلام،وكل ما جاء بعد الإسلام من تعصّبٍ لعرق أو نسب ، أو حميّة لهما فليس من الإسلام في شيء! مُستشهداً بما أخرجه « التّرمذي » عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خطَب يوم فتح « مكة » فقال : « أيّها النّاس إن الله قد أذْهَب عنكم عصبيّة الجاهليّة ، وتعاظُمَها بآبائها؛ الناسُ رجلان : برٌّ تقيّ كريمٌ على الله ، وفاجرٌ شقيّ هيّنٌ على الله ، النّاسُ كلّهم بنو آدم ؛ وخلَق اللهُ آدمَ مِن تراب» .

سابعاً : أما كان أحرى بالقاضي ؟

أما كانَ ذلِكَ هُو الأولى والأخلقْ والأجدى ؟؟ أما كان أحرى بهِ أن يُشيدَ بما نَدَبَ إليهِ الرّسول ﷺ وأن يهدِم ويُحارِب ما حَارَبُه الإسلام ؟

ثم . إذاأرادأن يؤرّخ ، أو يُحقّق أو يُصحّح ما قاله « الهمداني » أو « نُشوان » ، أو « الهادي » أو « ابن سليمان » أو « جرير » أو « الأخطل » ، أو « الشّامي » أو « الارياني » . . أو فُلان ، أو « فُلان الفُلاني » . . فلا بأس أن يحقّقهُ ويشرح غوامضه ، ويضبْط ما فيهِ من لُغةٍ ، أو مَكانٍ أو وادٍ ، أو جبل ، دونَ إسهابٍ وفضول ، ولا غرض أو هوى ؟

أما كان ذلك أولى به ؟

أما كانَ هُو الأحرى ؟

وهي سنّة المحقّقين ، وطريقة العُلماء . . ولا سيما في هذا العصر الهائج المائج : عصر الفضاء . . لا عصر « النّقائض » و « الدّوامغ » والتّفاخر بالآباء والتّكاثر بالأجداث . . . ولكن : « ولكن مَنْ يقرأ لِعريج خطّها » كما يقولون في صنعاء ، وعفوا . .

وثامناً : ما هو موقفُ نشْوان الحميري ؟

نعمْ . . وثامِناً؛ والواوُ ، « واوٌ » « الثمانية » وعليهِ فلن أقول وتاسِعاً وعَاشِراً . . وإن كانَ مجالُ القولِ ذا سعة . وبعد أن كان الحديثُ عن « نشوان

ابن سعيد الحميري » مؤلّف « شمس العلوم » وصاحب « الحور العين » ، والشاعر ، الكاتب الفيلسوف ألاّ يشعر صديقنا القاضي الأكوع أنّه قد تجنّى - أيضاً على سُمعة علاّمتنا « نشوان » وظلم تاريخَه حين لم يذكر ما ذكره عنه المؤرخ العلاّمة « الزّحيف » من إطمئنانه إلى المصالحة بينَهُ وبين من تخَاصم معهُم من الأشراف ، واعتِذاراتِهم إليه ، واعترافهم بفضله ، واعتِذاراته إليهم ، واعترافِه بما لهم من فضل ؟ وقوله في القصيدة « الدالية » التي أوّلها :

أعَلَى الكآبةِ مِنكما لي مُسْعِدُ؟ فالْخِلُّ يأسى لِلْخليل ، ويكْمَدُ
إن طابَ عيشُكما وطابَ كراكُما فأخوكما ؛ مُرُّ المعاشِ مُسهَّدُ ،
في قلْبِهِ من عَتْبِ أبنا «قاسمٍ» حُرَقٌ تأجّجُ نارُها تَتوقَّدُ
حتّى سَعَتْ بيْني الوشاةُ وبيْنَهم فأمالَ عبد الله منّي الحُسّدُ
وأطاع أمرهُمُ وصدَّق قولهم فأتى بقافيةٍ ؛ تُقيم ، وتُقعدُ
فيها مَقَالٌ ليس منه بجيّدٍ ما بالُ عبد الله ؟ وهو الجيّدُ
وغدوتُ مظْلوماً كأنّي ظالماً إنّي على ما نابني مُتجلّدُ . .

وهو يشير إلى قصيدة الأمير الشاعر عبد الله بن القاسم الدالية التي تجنّى فيها على « نشوان » ومِنها يُخاطِبُه : أما الصَّحيحُ فإن أصْلَكَ فاسدُ« . . . والّتي أغضَبَت » « نشوان » وردّ عليها بقصيدة طويلة منها البيت المشهور :

إن كانَ موتي من حُسامِكَ إنّني لقرير عينٍ بالبقاء مُخلَّدُ

وهذا البيتُ - في نظري - يُسامق لطفاً وسخريّةً وبياناً قولَ الأوّل :

زعَمَ الفرزدقُ أن سيَقْتلُ مربعاً فابْشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مربعُ

ومن دالية « نَشْوان » الثّائرة قولُه :

مَهْلاً « قريش» ؛ لا أبَ لأبيكُم مهْلاً . . فهل منكم إلهٌ يُعبدُ ؟
مِنكم نبيٌّ قدْ مَضَى لسبيلِه أظَنَنْتُمُ ؛ أنّ « النبوة » سرمَدُ ؟

وهي وثبة شِعريّة لا يَنْبض بها إلاّ قلب شاعرٍ جبّارٍ ثائر . . وقد أراد « نشوان » بعد أن تصالحَ مع الأشراف واعتذروا إليه من قصيدة صاحِبهم عبد الله . . أن

ينقُض قصيدته بأخرى ؛ على نفس الرويّ والقافية فقال القصيدة التي ذكرنا أولها ومنها :

« وذكرتُ آلَ محمدٍ ووِدادُهم فرضٌ علينا في الكتاب مؤكّدُ
وذكرتُ « زيداً » و « الحسين» و مولداً لهم زكيّ الأصل نعمَ المولدُ
بأبي وأمي من ذكرت ومن بِهمْ يُهدى الجهول، ويرشد المسْترشِدُ

ثم يصرخ صرخة «الزيدي» المسْتيقن :

لا أستعيضُ بدين « زيدٍ » غيرَهُ لَيْسَ النّحاسُ بِهِ يُقاسُ العسْجدُ

وقدذكرذلك«الزّحيف » و « أبو الرجال » مؤلّف « مطْلع البدور » وأورَد له « الزّحيف » رسالة يقول فيها عن تلك النقائض الشعرية البديعة ما يلي :

إنْقَضَتْ«النّقائض » بيني وبينَ الشرُّفاء « القاسميّين » وذلك قبل طرور الشّارب وبلوغ المآرب ، وأمّا اليوم فقد زِدْتُ على الأشدّ ، وصرتُ من الهزلِ إلى الجدّ ، وأتاني نذيرُ الشيب ، وزايلني كلُّ ريب ، إلى آخرها . . وقد ذكرها في مقدمةِ رسالة « الحور العين » الأستاذ كمال مُصْطفى ص (١٩) .

أفما كان من واجب القاضي محمد الأكوع ـ وهو يدقّ أبواب الثمانين ـ أن يشير إلى ذلك ؛ ليؤدّي واجب الأمانة التّاريخية من جهةٍ ومن أُخرى ليَضرب للأدباء مثلاً عالياً من أخلاق العلاّمة القاضي « نشوان الحميري » ؛ وأترابه الّذين ناقضوه وناقضهم ، وفاخروه وفاخرهم شِعراً ونثراً ، ولكنّهم جميعاً رجعوا إلى صوابهم ، وإلى حضيرة دينهم ولسان الحال ينشد :

إذا احْترَبَت يوماً فسالتْ دماؤها تذكّرتِ « القُربى » فَسَالَتْ دموعُها . .

وتِلك هي طريقةُ الأخيار والأبرار وطُلاّب الحقيقة في كلّ زمانٍ ومكان . .

« القاسمية » وتعصّب القاضي الأكوع

أمَا كانَ ما قلناه ؛ هو الأجدرُ والأصوبُ والأخلق به ؛ وهو يُحقّق كتابَ أدبٍ ولغةٍ وتفاخر ؛ أن يُحارب العصبيّة والمتعصّبين بدلاً من التّطاول على مَن قال فيهم « نشوان » ما قال ؛ فيَتهجّم عليهم بقوله في ص (٥٨) مقدمة :

القاسميّة من أحفاد الامام القاسِم بن علي العِياني المتوفى سنة ٣٩٣ هـ « ١٠٠٣ » م أحد مَن لَفَظتْهم الأرض الى أرض اليمن! والشّظايا المتطاير شررها في سنامِ « همدان » فأثخنته بالجِراح الدّامية ، وكبَّلتْهُ بالعقائد اللاّهـوتيّة ، وهُم في حِماه » . . إلى آخر الكلام الّذي لنْ يُثيرني فأتذكر ما كان في الامكان سرده ؛ مما قد يضيقُ به صدر القاضي . ! وأخرج به عن نُصْح الصَّديق الّذي ذكّرني بالحديث الشّريف « من اتّقى الله لم يشفِ غيظه »[1] وسوفَ اجلّ يراعي عن الردّ على ما تهجّم به على أحفاد القاسم العياني ظلماً وعدواناً .

ومع الشّاعرين الحمزي وبن عدوان

إن تفاهات « قاضينا » لا تنتهي، فعندما تحدّث عن الشاعر محمد بن الامام عبد الله بن حمزة قال ص (٥٩) : « يُدعى : بالأمير محمّد الّذي تحدثنا عن إجرام أبيه فقد تحرّكتْ فيه خُنْزوانـة » العُقـد النفسيّة وأفـرز من ذلك الوبـاء المتأصل فيهم «قصيدة » سماها «ذات الفروع »فنازل اليمنيّين بالذّم في عُقْرِ دارهم بدون حياء ولا خجل الخ ثم قال : « وقد تصدّى للدّفاع عن أحساب قوْمه الأديب علي بن أحمـد بن عدوان الهمدانـي الوادعـي بقصيدة سماهـا « ذات الأُصول » إلى آخر ما قاله مِن هذيان ؛ فشاعرٌ يماني لا يوافق هواه ينزِعُ عنهُ الجِنسيّة الوطنيّة وهو «إبن مُجرم » و «أفـرزُ الوباء المتأصّـل » ، وشاعـرٌ يماني آخر يتعصَّب له ، ويسردُ نَسَبَهُ وقد تصدّى للدفاع عن أحساب قومه وهو « العلاّمة والأديب » !! فهَل هذا هو أسلوب المحقّقين ؟ .

وثالثةُ الأثافي : ابن العليف والأسلمي

وترفيهـاً عن القـراء نزيدُهـم من هذه التّفاهـات ما يصـوّر ضعف المزاج البشري ، وتخاذل الأعصاب عند المتعصّبين ، وكيف تُعْمِـي الحميّةُ بصيرة الانسان ، وذلك في قول « قاضينا » ص (٦٠) وهو يتحدّث عن الشاعر «ابـن العليف » قال :

«من تيارات وباء العصبيّة الّذي حَمَلَهُ العلويّون المشرّدُون إلى جبـال اليمـن

---

(١) هو القاضي العلاّمة الجليل عبد الرحمن بن يحيى الأرياني .

الشماء » إلى قوله « وفي ظروفٍ غامضة عمقت النّفْسية في تلك النفوس الشّريرة فلم تُفْرِز الوباء ، ووجدتْ طريقها العَدَويّ إلى تهامة وحنَ قدح ليسَ منها هو المختار بن الحسن بن زيد العليف العدناني وكأنّه نِكرة مجهولة ، ولعلّه من سافلة علكّ فأنشأ قصيدة أسماها « الدّامغة » وهي على غرار القصائد السالفات الذكر وزْناً ورويّاً وقدحاً ومدحاً » الخ .

ولا أريد أن أناقش الأستاذ القاضي الأكوع عن اسم الشاعر إذ قدْ سميتُه في كتابي « قصة الأدب في اليمن » ص (٣٩) مسلم بن العليف وكذلك سمّاه البحّاثة السّيد عبد الله الحبشي في كتابه « دراسات في التراث اليمني » ص (١٢٢) وقال أنه « من أدباء القرن السابع ، وكان قد عاصر الشاعر اليمني محمد بن حمير المتوفىّ سنة ٦٥١هـ ثم قال خلافاً لما ذكره « القاضي » مستنداً إلى « الضّوء اللامع » للسّخاوي عن ابن العليف : « انّه من المنتسبين إلى قبائل اليمن ، فهو مُسلم بن يحيى بن العليف بن هيس الشراحيلي الحكمي العكي وأوّل « دامغته » :

ما عِبتُ مُذ كنتُ للأحْباب مظْنونا ولا بَثَثْتُ من الأسرار مكنونا

أقول: لا أريد ان اناقش « قاضينا » الأكوع في التّسمية فقد قال أنّ يحيى بن الحُسين قد ترجَمَ له في «طبقات الزّيدية» وهي ليسَت بينَ يديّ الآن . . ولكنّي أريد أن أُنبّه إلى أنّه قد وهم حين قال « وهي على غرار القصائد السّالفة الذكر وزناً ورويًّا لأنّ «وزن» القصائد التي أشار إليها ؛ ومنها « مُذْهبة الكُميت » و « دامغة » الهمداني وكل الدّوامغ القديمة مِن «الوافر » مُفَاعَلَتُنْ مفاعَلَتُنْ، فعُولُن » أما وزن « قصيدة بن العليف » و « الدوامغ المتأخرة » الّتي عارضَتْهُ فهو مِنَ « البسيط » .

ولْنَعُدْ إلى ما كنّا بصددِه من التّوافه إذ يقول القاضي بعد ذلك ص (٦١) وهو ما قصدتُ التّنْبيه إليه : فتصدّى لِلْجواب عليه عليّ بن سليمان الأسلمي الحجوري الهمداني القحطاني بقصيدةٍ عامرة المعاني ؛ جزلة الألفاظ والمباني وأسماها « دامغة الدّامغة » ! ثم قال مُتهافتاً : لولا أنّه أسف منها في بيت ؛ ونزل بِنَفْسِهِ إلى الحضيض ، وهدم ما بنَاهُ من الصّرح الشّامخ إلى

الأساس ، مما يدل على ضعفِ نفْسِه وعزوفها عن مَعالي الأمور » الخ .

هنا يصمتُ الحادي ،وتسْتريح القافلة قليلاً لنراجع هذا الكلام الغريب ؛ فالقاضي بعد أن شتم « الوباء العلوي و « النفوس الشرّيرة » ، والشّاعر « ابن العليف » النكرة من«سافلة عك»لأنه تعصّب«لعدنان»قد أشاد أولا بالشاعر علي ابن سليمان « الأسلمي الحجوري الهمداني القحطاني » لأنّه افتخر بقحطان . . . ولكنّه سرعان ما انْقلَبَ يكيلُ لهُ الشتائم بلا حساب، من أجل بيتٍ ورد في قصيدته . . . فما هُو هذا البيت ؟ لم يجرؤ « قاضينا على إيراده وفي ذلك ما فيه مِن غبْنٍ للأمانة التاريخيّة! فما هو هذا البيت الذي أزعج « قاضينا » الفاضل ؟؟

إنّ المؤرّخ الحافظ الأستاذ عبد الله الحبشي قد ذكره وهو يتحدّث حديث العارفين والنقّاد المصلحين عن « الدوامغ »في كتابه : « دراسات في التراث اليمني » الذي نشرته « دار العودة » ضمن سلسلة كتاب « الكلمة » في شهر يناير عام ١٩٧٧ م حيث قال وهو يتحدَّث عن دامغة علي بن سليمان ص (١٢٣) ويشيد بحُب « قحطان » لبني « هاشم » فيقول :

أما بنو هاشم طُرّا فنَحنُ لهُمْ ذاكَ العبيدُ وهُمْ حقّاً موالينا الخ

ومن دامغة الفضلي ـ علي بن سليمان ـ توجد نسخة مخطوطة بمكتب « المتحف البريطاني برقم : ٢٠٩٢ » اهـ .

آل الرَّسول والمفخارات العرقيّة

أجل. .ستَسْتريح القافلة؛ وأخلو بفِكري كمواطن يمني يحبّ بلادَه كسائر اليمنّيين ؛ وقد قرأتُ آثار وتراجمَ ومعاركَ ومُناقضات كلّ من تكلّم عنهم في مقدمتِه ، وسأناقش الأخ القاضي العلاّمة محمد بن علي الأكوع اليُعفري « الحوالي » القحطاني نقاشاً أدبيّاً هادئاً لعلّه يكون مفيداً ؛

ابن العليف والأسلمي كانا « زيديّين »

أولاً ؛ لو أنَّه أمعَنَ النظرَ وهو يتحدّث عن الشاعر علي بن سليمان الأسلمي

لوَجَد أنّ أولئكَ الذين ترجموا له ومنهم صاحب طبقات « الزيديّة » الّذي وصفه « القاضي »بالانصاف ـ قد قالوا انّه كان « زيديّاً » شاعراً عالماً ـ مثلما كانَ « ابن العليف» ولو تأمّل قصيدته لما أفزعه البيت المذكور فيصبّ عليه جامَ غضبه لأنّ الشاعر قد التزم بمذهبه « الزَّيدي » في قصيدتِهِ الّتي فاخَرَ فيها بقومِهِ « قحطان » وبوطنِه اليمن ، ولم يُخْفِ تَشيّعَه ومحبَّته لأهل البيت ؛ لأنّه كان يفرّق بين تعَصّبه لِنسَبِه وقحطانيّتِه ، وبين تشيّعه لآل الرسول ؛ شأنُه شأن مُعْظم الشعراء الذين ساهموا في مَعْركة التفاخر ، والمطاولة بين « القحطانية » و « العدنانية » فقد كانوا يسْتَثْنون « آل الرسول » ويسْتلونهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين حسب تعبير الشاعر «حسان بن ثابت» (رض) للّرسول الكريم ﷺ حين هاجَمَ « قُريشاً » وهم قومه[1] ، وهكذا كان شأن «دعبل بن علي الخزاعي » الّذي ناقضَ « الكميت » وتعصّب لقحطان مع أن تشيّعه معروف ، وقصائده في « أهْل البيت » تُسامق «هاشميات» « الكُميت » ! بل لقد كان هؤلاء الشّعراء الشيعة من « آل قحطان » يتّخذون من قضية أهل البيت ومآسيهم ذريعة لشتمِ العدنانيين كما فعلَ صاحبنا الذي نتحدث عنه وقال فيه الأخ الأكوع ما قاله : مدحاً كان فيه مصيباً وقدحاً حاد به عن الصواب ؛ فعليٌّ ابن سليمان هذا لم ينْسَ وهو يفاخر بقحطان في قصيدته المشار إليها أن يخاطب « العدنانيين » بقوله :

وحين ماتَ رسول الله سيّدنا	أظهرتُم كلّما قد كان تخفونا . .
وبالبتول وسبطيها ووالدهم	مكَرْتُمُوا وبكل الفاطميينا
مَنَعْتموهُمْ ورُودَ الماء ولو وردوا	ما ضرَّ ذلكَ « سيْحونا وجيحونا »
صلَّبْتُموهم وأحرقْتُم جسومَهُم	وصرتموا لهُمُ طرّاً مُعادِينا

إلى أن قال في « العثمانية » وبني « أمية » ما قال حتى اختتم قصيدته بالبيتِ

(١) حدّثني الأخ العلاّمة ابراهيم بن علي الوزير ، انه التقى ذات سحر بأحد علماء وفقهاء اليمن في الحرم الشريف ؛ وأثناء حديث أخوي هامس ، قال الرجل : « وأهل البيتِ هُمُ المسلمون في كل مكان وزمان» ! فقال ابراهيم : من يقول بهذا يهدم ركناً من أركان الاسلام ! قال الرجل وما هو ؟ قال إبراهيم « الزكاة » لانّها واجبة ومصارفها محدّدة ، وهي محرّمة على « أهل بيت الرسول » ﷺ فلو كانوا كل المسلمين كما تزعم لحُرّمت عليهم جميعاً ! ولم يبق لوجوبها معنى . ! وانْصرف كلّ يطوفُ حَولَ البيت العتيق ـ المؤلف .

الذي أغضب « القاضي » ولا شك انه قد أغرق فيه : ولكنّه لا يستحق الشتم ؛ أو لمْ يتذكّر القاضي الأكوع أشعار الشّاعر الغالي«السّيد الحميري» وهو قبل « الأسلمي » بقرون : وقوله المشهور :

إن تسأليني بقومي تَسألي رجُلاً — في ذروةِ العِزِ منْ أحياءِ ذي يمن
ثُمّ الولاء الّذي أرجو النجاةَ به — مِن كبّة النارِ للْهادي«أبي الحسن »

والشّاعرُ « الهَبَل »

وهناك عشراتٍ بل مئاتٍ من شعراء اليمن قدامَى ومُحدثينَ قد سلكوا نَفْسَ السَّبيل ؛ ويتفاوَتُون غلوّاً ، واعتدالاً ؛ وان أنْس فلن أنس أكبر شعراء اليمن بعد القرن السابع الهجري وأعظم شعراء عصره كما قال الشوكاني في « البدر الطالع ـ الشاعر الغالي « الزيديّ » وان كان جاروديّاً؛ الحسن بن علي بن جابر الهَبَل المتوفّى سنة ١٠٧٩ هـ « ١٦٦٩ م » الذي قال على نفس وزْن ورويّ دامغتي«ابن العليف » و« الأسلمي » مفاخراً بقومه ، قال :

رُمْنا الفخار فنلنا منه ماشينا — لمَّا مَشَى في طريق المجدِ ماشينا !
نحنُ الكرامُ وأبناءُ الكِرامِ فان — تجْهَلْ مكارمَنا فاسأل أعادينا
ماذا يعيب العِدى منّا سوى حَسَبٍ — ضخْم به ساد قاصينا ودانينا
وأنّنا لو دعونا الدّهر نأمُرُه — لَقامَ طوعاً يُلبْي صوتَ داعينا

إلى أن يقول :

يا من يسائل عن قومي رويدك ما — جَهلتَ إلاّ العُلَى والمجد والدّينا
قومي الأُولى ما انتضوا أسْيافهم لوغىً — إلاّ وعادوا لآي النّصْر تالينا
قومٌ إذا لَبسوا ثَوبَ القتام غدتْ — أعداؤهم عن ثياب النصر عَارينا

ثم يقول في مناصرتهم للأئمة ضد « الأتراك » :

قاموا مع القاسمِ المنْصورِ واجْتهدوا — وجرَّعوا « التّرك » زقّوماً وغسلينا
و « للْمؤيّد » قد أذكتْ صوارمُنا — وقائعاً أذكرتْ « بدراً » و « صفّينا »
وحُبّ آل رسول الله شيمتُنا — وفخْرُ حاضرنا ـ يوماً ـ وبادينا

مَضَتْ على حُبّ أهلِ البيتِ أسْرتُنا ونحنُ نمشي على آثار ماضينا
فَمن يُفاخرنا ؟ أمْ مَن يُساجلنا أمْ مَنْ يطاولنا ؟ أم مَنْ يُدانينا
يكفيك أنَّ لنا الفخر الطّويل على كل الورى ما عدا الآل الميامينا

وقال في نفس المعنى من قصيدةٍ تدلّ على أنّ « أمّهُ » كانت من « أهل البيت » وأباه قحطانيّ النّسب ، وأنّ «الهاشميّين» كانوا له أخوالا ؛ وذلك في « مفهومه » ينْفي ما ادّعاه الأخ الأكوع عن المذهب « الزّيدي » و « التّزاوج » ؛ ويؤكّد « منطوقه » ما نحن بصدده قال :

أيّها السائل عنّي جاهلاً أنا من قدْ علمَ النّاسُ مكاني
قسماً ؛ لو لمْ يكُنْ لي مفخرٌ غير حُبّي لعليّ .. لكفاني
مع أنّي في أعالي ذروةٍ كَلَّ عنْ غاياتِها مَرْمَى العيان
أنا مَنْ أخوالُه مِنْ هاشمٍ ضُمّر الحلْبة في يومِ الرّهانِ
أنجَبتْه « سادةٌ » من « حمير » يَنْثني عَن فخرِهم كلُّ مداني
أهل بيت « المصطفي » ودّي لكم دون أهل الأرض منْ قاصٍ ودانـي

وهذا الشعر بنغمته وانسجامه ، وقوّة حبكه ، وحُجّته ، يذكّرني بشعر قديم للشّاعر الفارسي الشّيعي « مهيار الدّيلمي » حين حاور تلك الّتي سألتْه عن دينِه ونسبِه فقال : أنا من يُرضيك عند النسب

قد أخَذْتُ المجدَ من أطرافِه سُؤْدَد « الفرس » ودين « العرب »
وأبي « كسْرى » علاً « إيوانُه » أينَ في النّاسِ أبٌ مثل أبي ؟

صرخةٌ من أجل الهَبَل :

هذا الشاعر العظيم «الهبل» المولود بصنعاء سنة ١٠٤٨ هـ - ١٦٣٩ م المتوفّ عام ١٠٧٩ هـ - ١٦٦٩ م - وهو في « الثلاثين » قد أهمله مؤرخو الأدب وتصرّف المغرضون، في ديوانه « المخطوط » لنوازع طائفيّة وعُنصريّة كما صنعوا معَ الهمداني ؛ هذا الشّاعر العبقريّ كان من آخر ما قاله ووجدوه في فراشِ موتِه قصيدة يخاطب بها صديقه الأديب الشاعر احمد محمد الآنسي ومنها هذه الأبيات :

إذنُ النّدى عنْ نِداء الشّعرِ صمّاء فلَيْسَ يُجديك إنشادٌ وانشاء

إنّـا لفِي زمَنٍ ودَّ الفصيحُ به . . لو أنّـه ألـكنٌ في القـولِ فأفاء
ما لِلْقوافـي إذ أقـوتُ معاهِدُها أفـي زمانِـكَ يُوهـي الشّعـر إقـواءُ
من ذا الّذي من عثارِ الذلِّ يُنْهضُها ؟ إن نالَها بنِعالِ الذلّ « إيطاءُ » ؟ !

متَى متى يهتمّ شعراء اليمن بأمير شعرائهم الحسن بن علي بن جابر الهبـل رحمه الله ؟

الفصل الخامس

الهمداني وأهل البيت

وثانياً ـ ولن أذهبَ بعيداً إذا قلت : أن القاضي محمد الأكوع لم يدْرسْ قصيدة الهمداني « الدّامغة » وشرحها دراسة تحقيق ودراية ـ وإن كان قد زعم أنّه قام بتحقيقها وعلّق حواشيها وقدّم لها بالمقدمة الّتي نتحدث عنها . إذ أنّه لو فعل ذلك ودُونَ سابق رغبةٍ في التّعصُّب لِلْهوى والمزاج والألم الشّخصي ؛ لما وَقَع فيما وقعَ فيه من أغلاط لغويَّة وبيانيّة ، ولعَرف أنّ الهمداني لم يردّ بقصيدتِهِ على « العلويّين » وشعرائهم في « صعدة » كما زعمَ في مقدّمته ص (٥٥) ولكنّه أجاب بها على « الكميت ابن زيد» وقد صرَّح بذلك في « الدّامغة » حين قال ص (٥٠) الطبعة الأكوعية . مخاطباً « العدنانيين »

وكلّفْتُمْ « كميْتكُمُ » هجاءاً	ليَعربَ بالقصائِد مُعْتدِينا
فباح بما تمنّى إذ توارى	« طِرمّاحُ » بملحده دفينا
وكان يعزُّ وهو أخُو حياةٍ	عليه الذمّ لِلْمتقحْطنينا
وسوف نجيبُه بسوى جوابٍ	أجَابَ به « بن ذُرٍّ» موجزينا
وغير جواب «أعْور كلب» ؛ إنا	مِن المجْدِ المؤثل موسعونا ؟
فقد قصرا ، ولمّا يبْلُغا ما	أرادا من جواب الفاضلينا !
وكثرُ حشو ما ذكرا ولمّا	يُصيبا مَقْتلاً للآفِكينا

هذا من جهة، وسنعودُ إلى هذا الموضوع مرةً أخرى ، ومن جهةٍ ثانية ، وذلك ما سيُنْصف « لِسان اليمن » وينفُضُ عن اسمِه غبارَ الدَّعاوى الّتي ظلّ يُراكمُها عليه مَنْ لمْ يعرفوا تاريخ ذلِكَ العلاّمة النّحرير ، ولا تعمّقوا في دراسة أشعاره وأخباره وكتبه وقبل أن يأتي « الأخ الأكوع » فيزيد الطّين بلّة كما يقولون .

لقد كان أبو محمّد الهمداني ـ ورغم إعتزازه باليمن وطنه ، وقبائلها وتاريخها المجيد ، وأنسابها العريقة ـ كان من « الشّيعة » الّذين يعتزّون بمحبّة عليّ وبنيه ؛ ولن أذهب بالقاضي الأكوع . . ولا بالقراء بعيداً ؛ بل سأبرهن على

قولي هذا مِن « الدّامغة » وشرحِها وبتحقيق القاضي نفسه ؟ وهـذا البُرهـان يَنْطق بما لا يحْتمل الشكّ والمرآء أنّه قد سلك في مناقضته للْكميت مسْلك « دعبل » القحْطاني الشيعي ، والسَّيد الحميري « القحطاني الشيعي ، من قبْل الهمداني « القحطاني » « الشيعي » ، ومَسْلك « الأسلمي » و « بن العليف » و « الهبل » من بعد « الهمداني » ومسلك الكثير من شعراء اليمن قديماً وحديثاً[1] . . . ! يقول « الهمداني » في « الدّامغة » ص (٣٠٧) تحقيق القاضي محمد الأكوع « الحوالي » :

وكان المصْطفى بأبي وأمّي بأفخر مَفْخر للآدَمينا
ولمْ يَكُ في « معد » لهُ نظيرٌ ولا « قحْطان » غير مُجمجحينا

وبعدالشرح يقول: صفحات(٣٠٩ - ٣١١ - ٣١٢)الخ .

وآويناه إذ أخْرجْتُموه وكُنّا فيهِ مِنكم ثائرينا
وأسلمتم بحدّ سيوف قومي على جذْع المعاطِس صاغرينا
وكنتُم حينَ أُرْمس في ثراهُ لهُ في « الأهل » بئس الخالفونا !
غَدرتم « بابْنه » فقتَلْتُموهُ وفتياناً مِنَ « المتهشّمينا !
وأعْليتُم بجثّته سناناً إلى الآفاق ما إنْ ترعوونا
وكُنْتُم لابنِه كي تنْظروهُ أأنْبتَ تقتلُوه كاشفينا

قالَ « الهمداني » في الشرح بتحقيق « القاضي » :

يُريدُ كشفتُم عن « عانة » عليّ بن الحُسين صلوات الله عليهما وسلامه هكذا لتنْظروه أأنْبتَ فتقتلوه أمْ لا فتتركُوهُ و « بنو أمية » أوّل من مثّل بالإسلام بقتيل ، وحملَ رأسَه من بلدٍ إلى بلد ؛ وذلك رأس عمرو بن الحمق الخزاعي » ثم قال رحمه الله متابعاً : ص ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٨ .

وأشخصتم كرائمَهُ اعْتداءاً على الأقْتاب غيرَ مُساترينا

---

(١) مِمّن اعرفهم ؛ القاضي العلامة الرّاوية الفقيه صالح الجمالي . والقاضي العالم الشاعر الراوية فريد زمانه أحمد الحضراني والد الشاعر الكبير ابراهيم بن احمد الحضراني .

المؤلف

أَكَلْتُم كبْدَ « حَمزة » يوم « أُحُدٍ » وكنتُم باجْتِداعِه .. مَاثلينا ؟؟
وهـا أنتمْ إلـى ذَا اليوم عَمَّا يسـوءُ المصْطفـى ما تُقْلِعونـا
فَطـوراً تطبخـون « بنيه » طبخاً بزيتٍ ؛ ثُمّ طَوراً تسْمرونا ؟
فهُـمْ في النَّجـلِ للأخْيار دأباً وأنتـم غير شَكٍّ تحصدونا »
كأنّ الله صيّرهُـم هَـدَايا لِمَنْسِـككم وأنتم تنسكونـا

وقد شرح « الهمداني » بتفصيل ؛ مبيّناً ما قاساه « الطّالبيّون على أيدي « الأمويّين » و « العبّاسيين »؛ حتى يومه الّذي ألّفَ فيه « الدّامغة » بأسلوب مؤثّر لا يَقوله إلاّ الشّيعة المخلصون !! وليسَ ذلك فحسب ، بل إنّه يعود فيجعل من مؤازرة « اليمنيين » لأمير المؤمنين علي كرَّم الله وجْهَهُ شِعار فخرٍ ، ويسْتعمل عبارات « الشيعة » عمّن خرجَ علىَ عليٍّ أيّام « الجَمل » و « صفّين » و « النهروان » ويسميّهم « الناكثين » ، و « المارقين » فيقول ص - عليٌّ ٣٧٧ - وما بعدها :

وَوَازرْنـا أبَـا حسـنٍ « علياً » عَلـى « المرّاق » بعـد « النّاكثينا
وسـارَ إلـى « العـراق » بِنا فسِرْنا كمِثْـلِ السَّيل نحطِـمُ ما لقينا
عَلينـا الـلاّمُ لَيس يَبينُ مِنّا بهـا غيرَ العيونِ لِناظرينـا !
فأرخصْنـا الجماجـم يوم ذاكُمْ ومَـا كُنّا لَهُـنّ مُثمّنينا ..
وأجْحَفْنَا « بضَبة» يومَ صُلْنا فصاروا مِنْ أقلّ « الخندفينا »
وطايَرْنـا الأكُفَّ على خُطامٍ فمـا شبّهتُهـا إلاّ القُلينا !

وقـد شرح الهمدانيهذا الشعر القصَصي البديع الّذي صوّرَ به مَعْركة « الجمل » شرْحاً شافياً ثم انتقل إلى معركة « صِفّين » فقال ص (٣٨١) .

وعنّـانا الخيـولَ إلـى « بـن هِنْـدٍ » نُطالـبُ نفسَـهُ أو أن يدينَا ؟
وظلْنا نفْتِـل الزّنْـدين حتّـى أطـارا ضرْمَـةً لِلْمضْرمينا
ونادينـا « مُعـاوِيةَ » اقْتربْنـا بجمعِـك إنّنـا لَكَ مُوفَدونا
فصَـدَّ بوجْهِـهِ عنّـا كأنّا سألنـاهُ شهـادةَ مُزْورينا
وحامَـتْ دونَـه جمـراتُ قومي ومـن دون « الوصـيّ » مُحافظينا

وهذه الأبيات صارخة بتشيّع « الهمداني » وفيها يُثبتُ الوصاية لعليٍّ كرم الله وجهه ؛ وهي مسألةٌ خلافيّة وعندما شرح هذهِ الأبيات ذكر أشعاراً منها قول

الشاعر « قيس بن ربيعة » الأنصاري رحمه الله في عليّ (رض) :

ما ضرّ مَنْ كانتِ الأنصار عيْبَته ... أن لا يكونُ لَهُ من غيرهم أحَدُ ؟
أهلُ اللّواء الّذي كنّا نقومُ به ... مَعَ « النّبيّ » و« جبريلُ » لنا مَدَدُ
أهل « الصّلاة » قتَلْناهُم « بنكثِهِمُ » ... و«المشركين »قتلناهُمْ بما جَحدوا
حتّى تطيعوا « عليّاً » إنَّ طاعته ... دينٌ يُثيبُ عليهِ الواحدُ الصَّمدُ
مَنْ ذالهُ منْ « قُريش » مثل حالتِه ... ما شدَّ ما انْقطعوا عنْهُ وما بعدوا
لَو عدّدَ النّاسُ ما فيهِ لما برحوا ... تُثْني الخَناصِرَ حتّى يذْهَبُ العَددُ

وقدغلط القاضي « الأكوع »في ضبطِ أبيات « الهمداني » وحرّفها . ثم قال « الهمداني » ص ـ٣٨٨ .

ويوم « النّهروان » فأيّ يومٍ ... فَلُلْنا فيه نابَ « المارقينا »
وقوّمْنا « أميّة » فاسْتقامَتْ ... وكانوا قبلها متأوّدِينا
وقُلنا « الهاشِمون » أحقّ منكم ... ونَحنُ لهمْ عليكُمْ ما يلونا
فقامَ بنصْرِهم مِنّا جُذَيعٌ ... وكانَ لحِزبهم حِصناً حَصينا

ولَعلّ في ماأوردناهُ من كلام « لسان اليمن الهمداني » ما يُبرز شخصيته في إطارها التّاريخي الصَّحيح . ومن هنا نَستطيع أن نَنتقل إلى تحقيق واقعةٍ تاريخيّةٍ طالما تحدّث عنها القاضي « الأكوع » في كتبه دونما رويّة أو اعتدال .

مَن الّذي سجَن الهمداني ؟

لا أظنّ أنّي كنتُ مُبالغاً أو مُتجنّياً عندما قلتُ ما قلتُ عن القاضي محمد بن علي الأكوع في كتابي « قصّة الأدب في اليمن » ص- ٣٥- طبعة بيروت « المكتب التجاري للطّباعة عام ١٩٦٥ م ـ ١٣٨٥ هـ ـ وقبل أن يكتُب مقدّمته لِكتاب قصيدة الدّامغة بأثنتَي عشر عاماً . . لأنّ « القاضي » بها ؛ قد أثْبَتَ صِدقَ ذلكَ القول . . ولكنّه لا يَسعني إلاّ أن أعترف أنّي قد أخْطأتُ في حق الأُستاذ العالم الأديب « حمزة لُقمان » حينَ قَرنْتُ إسمه مُتجنّياً ؛ إلى إسم القاضي واستميحُ الأستاذ الصّديق حمزة لقمان العذر . . كما أني اعترف ـ

والحقّ أحقّ أن يُتّبع ـ بأني كُنْتُ قدْ تأثّرتُ « بتضْـليلات » من حرّفـوا كتـب الهمداني المخطوطة ، أو أشرفوا على طبْع بَعْضِها فحذفوا منها أو علَى الأصحّ حرّفُوا فيها وأضافوا ما سوَّلَتْ بهِ لهُمْ أنفُسُهم ؛ وقد نشَأتُ ـ شأن أيّ طالبِ معْرِفةٍ في صنعاء قبلَ أربعين عاماً ـ من عامِنا ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م) ـ على شيء من الاعجاب والاكبارِ لصاحبِ كتاب «الاكليل» الّذي كانوا يقولون أنّ فيه أخبار مجد «التّبابعة» وكنوز وآثار اليمن وكنتُ أحضر مجلس الوالد العَلاّمة السيّد عبد الرحمن بن حسين الشامي رحمـه الله ،وهـو مَعَ القاضـي العلاّمـة المؤرّخ الكبير محمد بن احمد الحجري رحمةُ اللهِ تغْشـاه ، يقْـرآن نسْخـةً مخْطوطة مِن كتاب « صفةِ جزيرة العرب » لِلهمداني لكيّ يبْعثا بها ضِيمنَ كُتُب أُخرى مِنها أسْفارُ « النّبلاء » للذّهبي إلى الشيخ محمد نصيف المشهور بعِلمه وفضله ومكتبتِه « بجدّة » وكان ذلك قبْـل أوْ فِي أوائـلِ إرهاصـات الحـرب العالميّة الثّانية . . وكانَ ذلكَ أيضاً . . هُو أوَّل اطّلاعي على كتب الهمداني ؛ وكنتُ لا أزال أطرق أبواب العلم ، وأحضر مجالس المعرفة في « مقـايل » بيوتِ العِلم في صنعاء ؛ وسمعتُ وقرأت عن الهمداني الـكثير ، ووجَـدْتُ بعضهم يقول أنّ الهمداني كانَ يتحاملُ على الإمام الهادي وأولاده ، وأنهـم أنفسهم قد آذوهُ وسجنوهُ ، ووجدتُ ذلك مكتوباً ؛ يزعمُه ويؤكّده بَعضُ من أشرفوا على طبع بعضِ أجزاءِ « الاكليل » .

وكنتُ أيضاً مُنْفعلاً بتُـراثٍ مُعيّن وثقافـةٍ مُعيّنـة ولكنّـي كنـتُ أكْبـرُ وأُجِـلُّ « الهمداني » وأتمنّى أنّ شيئاً من ذلك لم يَحدث ! وكنتُ أتَتَبّعُ النّصوصَ ، وكُتـبَ التّـاريخ ، فأجـدُ إضطرابـاً يثير الشـكّ ، والحَيرة والتـردّد ؛ فلـم أستطع . . وأنا أتحدّث عن « الهمداني » في كتابي « قِصة الأدب في اليمن » إلاّ أن أعربَ عن تلك المشاعر وفـي سياقِ تمجيدي لِصاحـب « الاكليل » و « صِفةِ جزيرة العرب » « لسان اليمـن » « الهمدانـي » فقلـتُ : ٣٥ ـ ٣٦ « قِصّـه » .

كماأني لا بدّ أن أشير إلى أنّ خيراً كثيراً قد حُجِب عنّا عمداً وعدوانا فكثيرٌ من المؤرّخين قد أعماهُم التّعصّبُ ، أو التحيّز لفئةٍ ما ، أو مذهبٍ ما ولجُّـوا

فيه ، وأغْرقوا ، ولذلك ؛ فعلى مَن يريدُ أن يدرسَ تاريخ اليمن وآدابها ، أن لا يقْتصر على كتبِ فئةٍ من الفِئات ، أو مؤرّخي دولةٍ من الدّول ، بل عليه ان يتحرى ويتبّع آثار كلِّ فئةٍ مِن كُتُب مؤرخيها وأدبائِها وإنّه لمِنْ دواعي الأسف الشّـديد أن نذكر أنّ أغلبيّة مُؤرّخينا ـ قدامى ومحدثين ـ هُم مِن المتَعَصّـبين والمتحيّزين ، ومعظمهم تأثّروا بما يُحيط بهم ، وتضـجّ به مجتمعاتهـم من تعصّبات مذهبيّة ، أو دعوات سُلاليّة ؛ وقلّ من يستطيع أن يتحـرّر من قيود بيئتِه ، أو يُنصف غيرَ أبنـاءِ طائفتـه ؛ ويَتفاوتـون ؛ بين مُغـرقٍ مُتعسّف ؛ وخائفٍ يتعثّر ، وعالـمٍ يتّجاهـل ، وجاهـلٍ يَتعالـم ، وقـد يَبلـغُ بالبعضِ التطـاولُ إلـى التّفسيق والتّكْفـير؛ وبآخـرين الهبـوط إلـى مستـوى التّضـليل والدّجل ، وبقوم الإنسياق وراء الخرافات والسُّخافـات ؛ ويستـوي في ذلك المحدثون والأقدمون . ونحـنُ لا نعبـأ بالتّـافهين الّـذين « يخادعـون الله والّذين آمنوا وما يخْدعون إلاّ أنفسَهُم وما يشعرون » . . كالمهرّج محمد علي الأكوع ، والمفتـري حمـزة علـي لقمـان[1] من المتأخـرين وانّمـا نقصـد المؤرّخين ، وأصحاب السّير ، ونخصّ أفذاذاً من أعلام الأدب أفادوا وأجادوا ولْنضربْ لذلك مثلاً :

فالهمداني صاحب « الاكليل » نراهُ عندما يتعرَّض لذِكر الامـام « الهـادي » يشير إليه عرضاً وبإِسْم « العلوي »[1] وإذا تعرّض للّذين عارضُوهُ وقاتلوه أطْنَبَ في مدْحِهم . . . نعم « الهمداني ذلك العَلَم » الشّامخ من أعلام الفِكر العربي والأدب اليمني ، شاعراً ومؤرّخاً وفيلسوفاً كانَ أيضاً يمثّلُ عصْـرَه المتنـاقض المضطرب الخاوي المتعطّش إلى عقيدة متينة تجمع شمل أبنائِه ؛ التوّاق إلى رابطةٍ اجتماعيّة تضم كيانه المبعثـر ، الحائـر بين ذكريات مجـدٍ ناهـب ، وحقائِق واقعٍ مرير ، وتيّارات أطمـاع سياسيّة ، وروافـد مَذاهِـب فِكريّة ،

---

(١) مرّة اخرى أرى من واجبي الاعتذار إلى الأستاذ العالم الأديب الصديق حمزة علي لقمان ، وفضله ، وفضل أخيه الأستاذ محمد علي لقمان صاحب « فتاة الجزيرة » وفضل ابنه الشاعر الكبير علي محمد لقمان على اليمن لا يمكن ان يجحده احد ؛ مؤكداً تهريج قاضينا الفاضل سامحه الله . المؤلف .

(١) تبينّ لديّ انّ ذلك من تحريف النسّاخ ، والذين شوّهوا كتب « الهمداني » من المتقدمين امثال محمد بن نشوان ، والمتاخرين كالقاضي محمد بن علي الأكواع . المؤلف .

وعوامل فناءٍ طبيعيّة ، تزْحَفُ صمّاء وتطْوي تحْتَ أقدامها ، وبينَ مخالِبها وأنْيابها بقايا الماضي العتيقِ وتحَفُزات الحاضر المجهود ، والطّاقة العقْلية الكُبرى الّتي وهبهُ الله إيّاها تطرحُ أمّته بين يديهِ في رقعةٍ صغيرة ؛ عاريةً مشاكلها ، واضحةً مخاوفها ، مكشرّةً عن دواهيها ، ولكنّ أطماعه الكبيرة تُزيّنُ له إفتراع المشاكل ، واعْتناق المخاوف ، ومُقارعة الدّواهي ويُعادي ، ويجادل ، ويبْحث عن الطريق . . ولكنْ دون جدْوى ، فسُنّةُ الطّبيعة أقوى من مواهبه ، وإرادة الله فوق مطامحه .

قد يكونُ من الغريب حقّاً أن ذلك العالم الشّاعر الفيلسوف لم يعرف زمنه وما ينوء به من تركةٍ ثقيلةٍ أعباؤها، لا يطيق شعبُه الموهونُ لها حملاً ؛ أو أنّ هواهُ قد أفسد رأيه ، وطمعُه قد حدّ من معرفته ؛ فلم يكنْ حين يكتب أو ينظم ، أو حتى يفكّر في أيّ موضوعٍ يتعلّقُ « بالامام الهادي » وأولاده ، أو العلويّين عامةً ؛ مُخْلصاً لِلْكتابة والشعر والتفكير[1] ؛ ولم يكن الأوّل ولن يكون الأخير ؛ ولكنّه على كلّ أحواله ؛ مُنْصفاً كان أم مُتحيّزاً ، مُخْلصاً أم مُغرضاً ؛ كانَ يُمثّل العبقريّة والكمال ؛ أحبّ بلده وقومه ، وتعمّق في دراسةِ تاريخ وطنِهِ وأهلهِ وورث علومهم وآدابهم،وأعطى من نفسه كثيراً باحثاً متجوّلاً ، وكاتباً ساهراً ، ومجادلاً وصائلاً ، ومناوياً وثائراً ، ولا تزال كتُبُه مصدراً كريماً لِلْباحثين والعلماء وينْبوعاً ثرّاً يسْتقي منه روّاد المعْرفة والمؤرّخون والنّقاد » .

هذا البيان الّذي كتبتُه قبل حوالي سبعة عشر عاماً ، وأنا منفعلٌ ومتأثّر بما ذكرتُ في مطلعْ هذا « الاعتراف » سيلمس القارىءُ فيه الاعجابَ الممزوج بالأسف ، والتّقدير يُشوّشُهُ الاستغراب! ولكن دون ما إسراف أو تحقير أو تجنّي كما فعلَ صاحبنا القاضي الأكوع مع أعلامٍ أفذاذٍ من شعراء وعلماء اليمن لأنّهم ليسوا من بني « حِوال » أو من محبّي آل الرسول ، أو ينتسبون ـ بالولادة التي لا خيار لهم فيها ـ إلى « عليّ » كرم الله وجهه . . غير أنّي وبعد دراسة

---

(١) تبيّن أن ذلك لم يكنْ وما كَتَبته آنفاً ، وما سيأتي يدلّ على أن الهمداني كان شيعياً مُعْتدلاً احبّ اليمن وآدابها وعلومها حبّاً مفرطاً مغالياً والحبّ احياناً يُعمي ويصمّ ! وهذا هو كل ما أخذه عليه النقاد والمؤرّخون المنصفون . المؤلف .

وبحث وتأمل في كتُب التاريخ اليمني ،وفي كُتب الهمداني نفسه ، ومِنْها كتاب قصيدة الدّامغة الذي نتحدّث عنه ؛ تأكّدتُ أنّي قد قلتُ في الهمدانـي ما ليس فيه ؛ وانّه لم يتعرّض للامام الهادي بسوء لا شِعْراً ولا نثراً ، ولا أيّد من قاتلهم أو قاتلـوه ؛وأن هواه لم يُفْسد رأيه ، ولا حدَّثْ مطامُحه مِن معرفته؛ وان كان قد أغرق وغالى في مفاخرتـه بقحطـان ولـكن ذلك كان وهـو يعـارض ويناقض من يغالون في مفاخراتهم بعدنان ، وكلّ ما قيل فيه أو رُويَ عنه غير ذلك فهو من دس ذوي الأهـواء ،وتخرّصات الشـّراح والنّسـاخ ؛ وعرفـتُ من كتاب « الدّامغة » شعراً ونثراً أنّه من مُحبّـي « أهـل البيت » وأنّـه لم يتجـنّ عليهم ، بل فضَّل مُعاشرتهم والبقاء معهم في « صعدة » على المعاشرة . . أو البقاء في ظل « علي بن الفضل » أو « مَنْصور بن حسن » ، أو « آل يُعفِر » « الحِـواليّين » ، أو غيرهـم من « سـلاطين » ذلك العصـر الـرهيب ؛ وأن « العلـويّين » حسـب تعبير القاضـي الأكوع لم يحاولـوا الاسـاءَة إليه ؛ بل بالعكْس كانت منزلته لديهم كبيرة ، ولم يجدْ له وَزَراً في الفترة الأولـى مِن حياتهِ وهيَ مِنْ أرهب الفترات في تاريخ اليمن ، ولا عثر على مستُقرٍ له يطمئن فيه إلى عِلْمه وكُتُبه إلاّ قاعدتهم « صعدة » حيث ألّف فيها أهمّ كتبه ومنها شرح قصيدته « الدَّامغة » الّتي قالهـا في « صعـدة » «أواخر ايام الامـام الهـادي » وشرحها سنة ٣١٦ هـ أيّام الامام الناصر ابن الامام الهادي والّذي تولّى سنة ٣٠١ هـ وتوفّي سنة ٣٢٢ هـ وقد أكد ذلك القاضي الأكوع نفسُه في مقدّمته ص ـ ٧٢ ـ وذكر ذلك أو أشار إليه الهمداني نفسُه في كتابه ص ـ ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ـ وقرأنا في الكتاب ؛ شعراً ونثراً ما سبق ذكرهُ من تمجيدٍ لأهلِ البيت ، ومما يدلُّ على أنّه كان « شيعيّاً » أو على الأصحّ « زيديّاً » ؛ وفيه من الآراء ما قد لا يوافقُهُ عليه ، إلاّ بعض « المعتزلة » أو المنصفون من المقلدين لأئمة الكثيرِ من المذاهب والمِلل والنّحل المُتصارعة في المسائل العقليّة والتّاريخيّة ؛ ولا شكّ عندي ـ أنّ النّاصر وسائر إخوانه وعلماء وشعراء « صعدة » قد اطّلعـوا على القصيدة وعلى شرحها ، وفيها ما فيها من تمجيد وَولاء ومدح للرّسول ﷺ ، وللامام عليّ وبنيه رضي الله عنهم ؛ وأنّ ذلك قد أرضاهم كلّ الرّضى ؛ فهل يُعْقل بعد كلّ ذلك أن يأمر « النّاصر » بحبسه ؟ أو أن يصـدّق الوشـاية

المزعومة والّتي ذكرها الأخ القاضي الأكوع في مقدمته ص-٨٢ أنّه قد « هجا النبيَّ ﷺ » وأن الناصر توعّده فخرج من « صعدة » إلى « صنعاء » وصاحبها الخطّاب بن عبد الرحيم اليعفري « الحوالي » فكتب النّاصر إلى الأمير أسعد الحِوالي بتلك الوشاية فأمر أسعد ابن أخيه بسجنه في صنعاء ؛ هل يُعقل هذا ؟ إنّني استبعد ذلك ، وأرى التّلفيق ظاهراً في القِصّةِ لما ذكرنا من تشيّع الهمداني ؛ ولأنه كان تحتَ سيطرة « الناصر » في صعدة عندما بلّغوه تلكَ الوشاية المزعومة ! وكيف يقومُ منافسٌ « النّاصر » مِنْ بني « يُعفر » بامْتثالِ أمره فيعتقلُ « لِسانَ اليمن » المنافح عن قَحطان وأمجادها ؟؟ والأقرب إلى المنطق والعَقل والصَّواب أن سَبَب خروجه منْ « صعدة » كانَ لأسباب أُخرى ، مِنها أنّه كانَ قدْ ضاق ذرعاً بمنافسةِ أولئكَ الّذين لا شكّ أنّهم كانوا ينْفسون عليه مكانتَه لدى « الناصر » ومواهبَه الأدبيّة والعلميّة ؛ الّتي يتمتّع بها - كما ضاقَ قبلَه « المتنبي » ببلاط سيف الدّولة ، والدسائس التي كانت تُحاكُ له ، فهاجر إلى « كافور » والتّحاسدُ والتّنافسُ والتّهاجي بين شعراء العصْرِ الواحد معروف ؛ وقد تنافسَ « البُحتري » « وابن الرومي » وكلاهما شاعرٌ عظيم ، وكان بين « الفرزدق » و « جرير » ما كان ، إلى أقاصيص كثيرة يعرفها الأدباء .

أمّا المنافسون لِلهمداني فقد كان منهم أيضاً من يتعصَّبُ لعدنانَ على « قحطان » وآخرون يتعصّبون « لفارس » كما كانَ هو يتعصّب لِقومه ، وتلك شِنْشنةٌ يتوارثها الشّعراء في كل زمان ومكان . . ولقد ضاقَ « الهمداني » بذلك ذرعاً - في نظري - ولا سيما وهُو هُو العبقري الّذي يمثّل عصرَهُ المتَناقض المضْطَرب ، المتَعَطّش إلى عقيدة متينة تجمع شمل أبنائه ؛ ولا شكَّ - عندي - أنّه كان قد لمسَ بحسّهِ التّاريخي ، وفِطرته الشّاعرة ، تسرُّب وتسَلّل الصّراعات الشخْصية بين أولاد « الناصر » ، وكاد يرى ببصره الثّاقب تطلّع الفِتن من جُحُورِها ، والّتي وقَعَتْ فعلاً بعد وفاة « الناصر » وسبّبَتْ خراب « صعدة » والتناحر بين قبائلها ! بلْ انّها بدأت أواخر أيامه !

إنّ قصّة حبس الهمداني وأينَ ؟ وكيف ؟ والدّعوى الّتي أكّدها القاضي الأكوع من أن « لِسان اليمن » استَوطنَ صعدة عشرين سنة ؛ علاَ صيتُهُ فيها ،

وفي باديتها ونَفَذَتْ كلمتُه ، وطغَتْ شخصيته على كلّ مَنْ بصَعْدة الأمر الّذي حسده عليه زعانفة الشّعراء وأوباش الجهل وأمراض الحقد الخ ص ـ ٥٥ ـ «فظلّوا يكيدون للْهمداني ويسبون أباءَهُ وأجداده » الخ إلى أن يقول في ص ـ ـ ٨٢ ـ « فلما تفاقم الأمر بينه وبين الشعراء المذكورين وأفحمهم جميعاً وفرادى دخلوا على الامام الناصر لدين الله وقالوا له : إنّ بنَ يعقوب هجا النبي ﷺ فتوعَّده النّاصر فخرج من « صعدة » وكانَ صاحب صنعاء الأمير أبو الفتوح الخطّاب بن عبد الرّحيم بن أبي يُعفر ، فكتب الناصر إلى الأمير أسعد وكانت بَيْنَهما مودّة شديدة يشكو إليه إبن يعقوب ويقول له : إنَّه هجا النبيّ ﷺ فأمر أسعد علَى إبن أخيه أنْ يسجنه فسجنه ، وكان له في السجن أشعارٌ كثيرة من التّحريض والتّوبيخ وغيرذلك» .هذا ما أثبته القاضي الأكوع في مقدمته وكأنّه ينقل عن « الخزرجي » عن « الكلاعي » ثم قال ـ ص ـ ٨٣ ـ « وكانَ سجنه سبباً لزوال ملك الناصر » « وقتل أخيه الحسن بن يحيى الهادي » وقال في الحاشية رقم ـ ١ـ انظر « الاكليل » جزء ـ ١ .ـ ص ـ ٣٢٩ ـ أقول ـ ولا يخامرني شك أن هذه القصّة مُفْتَعلة ولا يقبلها ذو فهْمٍ سليم ولا ناقدٌ ذو دِراية ؛ فما عُرِفَ عن الهمداني وقوّة إيمانه ؛ لا يمكن أن يرقى إليه الشك ، وكل من يدرس كتبه يعرف أنّه كان مُسْلِماً حنيفاً حسن السّلوك من الأبرار الأخْيار ؛ وقد هاجر إلى « مكة » وجاور بها سنوات كما أثبتَ ذلك الأخ الأكوع فقال « انّ مولده بصنعاء اليمن سنة ٢٨٠هـ ٨٩٤ م » وانّه ارتحل في سنة (٣٠٦ هـ) الى مكة فجاور فيها زمناً وكتبَ صدراً من الحديث والفقه ثم رجع الى اليمن فنزل « صعدة من أرض خولان وكان صاحب أمرها الامام الناصر أحمد إبن الامام الهادي يحيى بن الحسين ـ ص ـ ٨١ ـ مقدّمة . . هذا من جهة ومن أُخرى فان شعر الهمداني في « الدّامغة » واضحٌ بأنه كان من « الشّيعة » وقد أقرّ بالوصاية للامام عليّ رضي الله عنه ووصفَ الخارجين عليه « «بالنّاكثين » و « المارقين » يوم « صفين » و « الجمَل » و « النهروان » وتحدَّث عن مآسي آل الرّسول حديث المخلص الأمين وعرَّض بالأمويين والعباسيّين (وبنو يُعفر كانوا مِن عُمّالهم وولاتِهم في اليَمن) وما كانوا يذيقون

« العلويين » من بلاء حتى يومه الذي يعيش فيه ، وكثيراً ما يقول إذا ذكر علياً في الدّامغة أو في سائر كتبه « عليهِ الصّلاة والسّلام » وتلك عادة شيعيّة ؛ ولذلك فقد يكون سببُ حَبْس الهمداني بعَكْس ما تدّعي تلك الاشاعة الغريبة الملفّقة في نظري ؛ ولماذا لا يكونُ بعض أولئك المنافسين له على مكانتِه لدى الامام « الزّيدي » وبينَ قبائله وأتْباعه كما قال الأخ الأكوع كانوا ينقلون عنه إلى « اليعافرة » والسّلاطين « الحِوالّيين » أنْباء تمتّع « الهمداني » بذلكَ الجاه ونُصوصاً مِن الدّامغة ؛ وذلك ولا شكّ لَنْ يُريح « أسعد بن أبي يُعفر الحِوالي » ولا ابنَ أخيه ، فما ان ضاق ذرعاً بمقامه بينَ تلك الدّسائس ، وفي محيط ذلك الجوّ ؛ إلى جانب حسّه التّاريخي ، وتوقّعاته المشار إليها سلفاً ، وغادر « صعدة » إلى « صنعا » وحاكِمها « يُعفري » كان يعمل للعباسيين مع ابن عمة أسعد الّذي يدل تاريخه ، أنه كان قُلّباً حُوّلاً تارة مع صاحب زبيد إبن زياد وطوراً ضدّه ؛ واخرى يُحاربُ عمّال ووُلاة العبّاسيين ، وحينا يكون لهم والياً ؛ ومرةً يثورُ ضد عليّ بن الفضْل ؛ وبقدرة قادر يكون له حليفاً ووالياً ويلبس البَياض . . نعمْ لِماذا لا يكون الأمر بالعكس وأن « الهمداني » ما كادَ يحطّ رحالهُ في « صنعاء » مسْقط رأسه ؛ حتّى تألّبَ عليه بنُو يُعفر ـ وكانوا ـ قد اطلعوا على « دامغته » وفيها ما فيها من مفاخرتِه بالنّبي وعلي وبني الحسن والحسين والتّنديد بمن يُنابذونهم ويعادونهم ، فلم يمهلوه حتى حبسوه ، ثمَّ لفّقوا تلك الاشاعات ؛ ويُؤكد هذا . . . بل ويجعله في نظري أشبه باليقين ما نقلَه القاضي محمد الأكوع نفسه في حاشيته رقم (١) ص ٨٢ ـ ٨٣ عن الهمداني أنه قال في كتابه « سرائر الحكمة » وهو يتحدّث عن سجنه « أنّه غضب عليه « السّلطان » في شعبان سنة ٣١٩ هـ واطلاقه في سنة ٣٢١ هـ » فقد استعمل الهمداني لفظة « السّلطان » ولم تكن هذه اللّفظة بحال من الأحوال تُطلق على « الإمام الناصر » بل على « أمراء آل يعفر » واضرابهم من الحكام غير الأئمة . . وهذا دليل قاطع قائم بذاته لا يحتمل نِقاشاً عِندَ مَن يدري لُغةَ الأدباء والمؤرخين ! وفي نظري أن من أسباب حرص « الهمداني » على أن يكتم اسمه عندما شرح قصيدته « الدّامغة » وتفضيله بأن تنْسَب إلى

ابنه ، أو أحد تلاميذه ، هو أنّه كان يحسّ بأنّ « الحواليّين » و « الشّعوبيّين من أبْناء فارس » وأولئك الذين لا يزالون يدعُونَ باسم « العبَّاسيين » ، و « عليّ بن الفضل » ومن تعاون معه . . وقد كان « أسعد بن أبي يُعْفر » عاملاً له على صنعاء في إحدى الفترات ولبس البياض وضرب « العُملة » باسمه ؛ وغير هؤلاء كانوا له من المتربّصين ؛ وقد تحقّق حدسُهُ فسجنهُ « الحِواليّون » وما كاد يُطلق سراحُهُ حتَّى توفّي « الامام الناصر » في ١٨/ جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ هـ ونشب الخلاف المرير بين أولاده ونشبَتْ الفتن في عموم اليمن ؛ وأخْربَتْ صعده كما فصّل مؤلف « غاية الأماني » .

إنّ كُتب « الهمداني » يجبُ أنْ تُحقّق من جديد ، وإنَّ حياتَه التي يحيطُ بها الغموض يجبُ أن تُدرسَ من جديد أيضاً ؛ فقد عبثتْ الأغراض والأهواء ؛ والتّعصّبات العُنْصريّة والطّائفيّة ، ونعراتُ الجَهْل وتَشَبّثات التّقليد والجمود ـ وما أكثرها ـ بآثار وترجمة « لِسان اليمن الهمداني » وحرّفَ بعضَ نصوصها جَهَلةُ النّساخ وتصرّف في أحداثِها الكثير من المتعصّبين والمغرضين .

وبعدُ :

وبعدُ فَلَنْ يكونُ من الفضول ، ولا مِن باب التّفاخر بالأنساب ؛ أو التعصُّب لطائِفةٍ ما ، أو الاعتزاز بقبيلة أو مذهبٍ أو عرق أو بيتٍ من البيوت ، ولَن أكونَ مُتَحيّزاً لَعلاّن أو فلتان ؛ أو « قحطان » أو « عدنان » . . إذا ما عبّرتُ عمَّا يختلج الآن في قرارة نفسي ، وهو ما أعتقدُ أنّه حصيلة قِراءة مُسْتبصرة لِمعظم ما كَتبه الكثيرُ من المؤرخين والأدباء والشعراء على مُخْتلفِ ميولهم ، وشتّى أهوائهم ، وتَفَاوُتِ ثَقَافاتهم ، ودرجاتهم طيلة خَمْسَةٍ وأربعينَ عاماً حول المواضيع الّتي تحدَّث عنها « الهمداني » في كتابه « الدَّامغة » وقدَّم لها وتعرضَ لها بطريقتِهِ القاضي محمد الأكوع . . أو « الحِوالي » كما يحلوله أن يُسمّي نفْسَه ؟

أقول : لن أكون فضوليّاً ؛ ولن أثيرَ فتنةً إذا قلتُ :

إن أعظمَ مَن تعرّض لِلأذى ، والبلاءِ الشّديد ، والهَجْر المضْني ،

والشتم والحَرْب مِن « قُريش » وقاسى مِنها المتاعب . . حتَّى حاولوا قَتْلَه : تجْويعاً ، وغِيْلةً وعمْداً . . هو سيّد الخلق محمد بن عبد الله بن عبدِ المطّلب القرشي الهاشمي ؛ صلوات الله عليه .

وان أكْثَر أصحاب محمّد ﷺ مُعَاناةً لويلاتِ « قُريش » وعداوتها وغَدرِها ومكْرِها ، وهضمها ومُؤامراتها ، وحربها وشتائمها : هُو الامام عليّ إبن أبي طالب بن عبدِ المطَّلب « القرشي » « الهاشمي » كرم الله وجهه ؛ ولذلك ـ لم يكنْ من فضولِ القول ـ حين تنبّأ وأحس اخوه « طالب بن أبي طالب » لمَّا بلغْته أخبارُ وقعةِ « بدر » الكُبْرى ، وتصارع أبطال قريش بسيفِ ذلِكَ الشّاب المغوار « علي » فقال : « ويلٌ لِقُريش منْ علي » وويلٌ لِعَليّ من قريش » !

ولذلك أيضاً فلنْ نستغرب حين نسمعُ « الامامَ علياً » يقول بِنغْمة حزينة واقعية :

تِلـكُمْ قريش تمنَّـانـي لِتقْتلني ... فلا وربّـكَ ما برّوا ولا ظفـروا
فإن قُتلْـتُ فرهْـنٌ ذمّتـي لهُمُ ... بِذات وَدْقَيْن لا يعْفـو لهـا أثـرُ

وقد قال « أبو حيان » حِين ذكر هذين البيتين في « البصائـر والذخائـر » ص ـ ٢٦٠ ـ السّفر الثالث : زَعموا أنّ « ذات ودقين » في الضبّة يقالُ لها جران . فكأنّه كنّى عن الحقدِ بصفةٍ دَالّةٍ كِناية مُسْتتره . وفي كتبِ اللّغة انّ ذات ودقين تعني : الدَّاهية والحرب .

وأخيراً لعلَّ أفضل ما أختتم به حديثي هو ما رواه أيضاً « التّوحيدي » في « البصائر والذّخائر » ـ ص ـ ـ ٥٩٣ ٨ السفر الثالث :

قال محمّد بن سلام : حدثنا يونس النحويّ قال : قلتُ للخليل : ما بالُ أصحاب رسول الله ﷺ كأنّهم تُؤام واحدة « وعليٌ » كأنّه ابنُ علّة « بنو علّة : بنو أمّهات شتّى من رَجُلٍ واحدٍ » ؟ فقال الخليل ـ ابن احمد الفراهيدي ـ : مِنْ أينَ لكَ هذا السُّؤال ؟ فقلتُ : أريد أن تُخْبرني ، قال على أن تكتم عنّي ما دُمتُ حيّا . قلتُ أجل . قال لي : تقدَّمَهُم إسْلاماً ، وبذَّهم شرفاً ، وفاقهم علماً ، ورجحَهم حلماً ، وكبرهُم زُهْداً ، « فحسدوه ، » و النّاس إلى أمثالهم وأشْكالِهم أميل » وهذا ما عرفه الهمداني رحمه الله ومن أجله كتم إسمَهُ !

الأستاذ حَمَد الجاسر والهمداني

لَقد ترجَمَ الأُستاذ البحّاثة الشيخ حَمَد الجاسر تَرجمةً قيّمة لِلْهمداني في مقدّمتِه لِكتابِ « صفة جزيرة العرب » الَّذي حقّقه القاضي محمد الأكوع « الحِوالي » وصحَّحَهُ وهذّب حواشيه الأستاذ حَمَد الجاسر ؛ وفي هذه الترجمة الّتي حاوَل « الأستاذ » فيها الإحاطة والاتقان جُهدَه قد تأثّر بما سبَقَ أن تأثّرتُ به مِن قبلُ عن الاشاعة الّتي تقول أنّ « الهمداني » سجنُ بأمر « الامام الناصر » والّتي سبق أنْ فندتها . . غير أنّ الأُستاذ الجاسر لم يُلْقِ الكلام جِزَافاً ، بل اسْتَندَ إلى ما قاله بعضُ المؤرّخين قبله ؛ والّذي لا شكَّ لدَيَّ أنّهمْ ؛ إمَّا مِنَ المغْرضين الوَضّاعين ، أو أنّهم قد وقعوا تحْتَ تأثير مزاعم المغْرضين الّذين حرّفوا وبدّلوا الشيء الكثيرَ من كُتُبِ الهمداني وأشعارِهِ ! بلْ ونسبوا إليه ، ووضعُوا على لِسانِه ، وأضافوا إلى كُتبِهِ ما لم يقُلْهُ أثْناء حيَاته وبَعْدَ موته كما فَعل غيرهم بكُتب وأشعار « أبي العلاء المعرّي » و « الكميت » وكثيرٍ مِن المتقدّمين والمتأخّرين ، وقد قال الهمداني نفسُه في كتابه « صِفة جزيرة العرب » ما يلي - ص - **٢٣٥** - وهو يتحدَّثُ عن ارجوزة الحجّ للشَّاعر « أحمد بن عيسى الرّداعي » رحمهُ الله (طبعة محمّد بن بليهد **١٩٥٣** م) :

وكان كثيرٌ من أهل صَنعاء لا سيما الأبناء قد غيّروا في قصيدةِ الرَّداعي أشياءَ نفاسةً عليهِ ، وحَسَداً ، فلمْ يكُنْ بِصنعاء لها نُسْخةٌ على الإستواء ؛ فلمْ أزَلْ ألتمس صِحَّتها حتّى سمعتها مِن أحمد بن محمد بن « عبيد » من بني ليف مِن « الفرس » وكانَ لا يدْخُل في عصبيّة ولا « يلِتُّ أحداً حقّه » إلى آخر كلامِه»! . ومِنَ المعلومِ أنّ « صفةِ الجزيرة » مِن آخرِ تَصْنيفاتِ الهمداني ، وأنَّ ارجوزة « الرَّداعي المذكورة فيه ؛ فيها مَدْحٌ لأهلِ البيْت » وفي مقدمتهم « الامام علي كرم الله وجهه » واشاده بقريش وبعض بيوتاتها في « مكة » المكرّمة .

والتّزيّدُ في الأخْبار والأشعار والأحداث ، والوضع ، والاختلاق ؛ أمورٌ معروفةٌ ، ولها شواهدُ وأمثلةٌ في تاريخ العرب الأدبي والسّياسي والدّيني ، وقد وضعتْ أحاديث جمّة ونُسِبتْ إلى الرّسول الكريم ﷺ ، وفنّدها الرُّواة ذُوو الدّراية ، وأُلّفت فيها الكتب الكثيرة . ولا يزال هناك المئات من الأحاديث تفْتقر إلى دراية المخلصين .

ولأنّ صدِيقنا العالم الكبير الأستاذ « حَمَد الجاسر » قد بذل جهداً مشكوراً في إخراج كتاب « صفة جزيرة العرب » كما ذكرنا آنفاً ، ولأنّ له قيمته الأدبيّة ، ولِكلمته وزنها التّاريخي لم نكتفِ بما سبق ؛ وسمَحْتُ لنَفْسي بمناقشته ، وإن كان ما قد أدليتُ بهِ من البراهين العقْلية بأنّ الّذين تآمروا على سجن الهمداني ، وآذوهُ وعذّبوه هُم الأمراء « الحِواليّون » مِن بني « يُعفر » ولا دخل للنّاصر في ذلك .

ولد الحسنُ بن أحمد بن يعقوب الهمداني في صفر سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٤ م) وهي من الفترات الرَّهيبة في تاريخ اليمن والإسلام ؛ ظهر فيها « القرامطة » وبَدأ الحكم العبّاسي يَتَضعْضَع وتشَعّبتِ المِلل والنّحل ، ويصادف خروج الامام الهادي يحيى بن الحُسين إلى اليمن في السَّنةِ نفْسِها وهي « خرجتُه » الأولى باسْتدعاء رجالات اليمن ، ولكنّه لم يلبث إلاّ فترة وجيزة ثم ظهر له من بعض اليمنيّين الخلافُ فانقلب راجعاً إلى الحجاز - ص - ١٦٦ - « غاية الأماني » ، واكتسحت الفِتنُ اليمن من جديد ؛ فذهب وفدٌ آخر يطلبون منه العودة وكانَ والي العبَّاسيين قد غادر « صنعاء » واسْتولى عليها الدُّعام بن ابراهيم سنة ٢٨٢ -هـ ثم خرج منها وملكها أسعد بن أبي يُعْفر ، وفي سنة ٢٨٤ هـ عادَ الامام الهادي من جديد ، وحَصَلَتْ بينَه وبين سائر الفئات المتغلّبة وقائع وحروب حتى سنة ٢٨٦ هـ حين كتب صاحبُ صنعاء « أبو العتاهية » إلى « الهادي » يستَقْدمه إليها ؛ ولكنّه لم يَدْخل صنعاء إلاّ سنة ٢٨٨ هـ وأخلص أبو العتاهية « لِلْهادي » وظلّ معهُ حتى مات شهيداً بعد عام في إحدى المعارك الّتي استمرت دائرةً بينَ الامام الهادي وسائر الفئات « والسَّلطنات » المتنازعة على حكمِ اليمن حتّى تُوفي بصعدة سنة ٢٩٨ هـ

و « الهمداني » في عنفوان شبابه ، لمَّا يتجاوز التّاسعة عشْرة من سنّي الحياة ، ولا شك أنّه قد تأثّر بكُلّ تلْكَ الأحداث ؛ وعرف بذكائِهِ الخارق ، وإدراكه الشّاعر ، منْ هُم المُضلّون المخادعون ، ومَنْ هُم المخلصون المؤمنون ، وميّز بينَ الخيرِ والشرّ ، إنْ لم يكُنْ قَدْ ساهم في تِلك الحروب بجانب ، الامام الهادي » ويذكر صاحب « غاية الأماني » ـ ص ـ ١٩٠ ـ عن أحداث سنة ٢٩٠ هـ والهمداني حينذاك في العاشرة ما يدُلّ على أن « الهمداني » كان ينْفعل بكلّ مايجري مِن المآسي قال :

وفي هذه السنة اشتَدّ القحط في اليمن ، حتّى أكل النّاسُ بعضهم بعضاً ومات خلقٌ كبير ، وخربت عِدّة قرى . قال الهمداني أن آل أبي جيش فنُوا في حُطَمةِ التّسعين ومأتين في اليمن بعْدَ أنْ نفدت أموالهم ، وبذلوا وجوههم للْمسألة (لعلّها ولَمْ يبْذلوا) فقعدوا في بيوتهم وأغلقوا أبوابهم حتّى ماتوا ولم يبق منهم غير طفلة صغيرة أخذها بعض بني الأزهر بن عبد الرحمن وتَزوَّجت فيهم ؛ فسُبحان القاهر بالموت » .

وبعد وفاة الامام الهادي بايع الناس بعده الامام المرتضى محمَّد بن الهادي ؛ وكان كما قال في « غاية الأماني » « ورعاً زاهداً مُتَقلّلاً ، كثير العبادة ، مُؤْثراً لِلْعلم » ـ ص ـ ٢٠٢هـ جزء (١) كانت بيعته في المحرم سنة ٢٩٩ واستمر إلى شهر ذي القعدة سنة ٣٠٠ هـ ثم عزم على التخلّي والاعتزال ولزمَ بيتَه حتّى وصل أخوه أحمد « الناصر » بن الهادي سنة ٣٠١ هـ وكان حين ماتَ والده بالحجاز ؛ فتنازَلَ لهُ المرتضى وبايعَهُ النّاس ، وفي تلك الفترة كان « علي بن الفضل » قد احتل صنعاء ، وتحارب مَعَ أسْعد بْن أبي يُعفر ، ! واختلف مع زميله « منصور بن حسن » صاحب « مسور » وفعل « بزبيد » وأهلها الأفاعيل . . ثم اصْطلَح مع « أسعد بن أبي يُعفر « الحوالي » « الخرّاج الولاّح » فولاّه علي بن الفضْل صنعاء فخَطَب له وقطع ذكر بني العباس ، قالوا : « وكان الامام الناصر نشيطاً هماماً عالماً » وقد أشار الهمداني في « صفة الجزيرة » وغيرها من كتبه إلى مدائح الشاعر بن الجدوية فيه وفي أبيه ، وذكر أشعارَ غيره في الموضوع ؛ مما يدل على أن علاقة ودٍّ أكيد كانَتْ ترْبط

بيْنهما ، وهي الّتي جعَلت الهمداني يُفضّل البقاءَ في صعدة ؛ كما أنّها تجْحد تخَرُّصات الوضّاعين ، وتُلفِتُ نظر المؤرّخين المنصفين الّذين تأثّـروا بتلك التخرُّصات والاختلاقات .

يقول الأُستاذ حَمَد الجاسر ـ بعد أن قرَّر أنّ الهمداني ولد في سنة ٢٨٠ هـ ولا نعرف شيئاً عن أوّل حياته ، ويظْهر أنّه شارك أهله في عملِهم ؛ وهْوَ « الجِمالة » . حمْل الحجّاج والتّجار إلى « مـكّة » مِن « صعـدة » . ! فَهـل يَعْني هذا أنّه قد أمضى فترة حياته الأولى في صعدة قاعدة الإمام « الهادي » ؟؟ كما أنّ الأُستاذ الجاسر أشار إلى أن الباحث الرّوسـي « كراتشوفسكي » قد لاحظ أن بينَ أسماءِ آباءِ « الهمداني » أسماء لمْ يعْتَد « البَدو » إستعمالها : مثل « يوسف » و « يعقوب » ، ويرْبـط بينَ ذلك وبين ما ذكره « الهمدانـي » عن اسْرتـه ؛ وأنَّ أبـاه كانَ يُتاجـر « بالذّهـب » وكان « رحّالـة » دخـل الكوفـة والبصرة ، وبغداد ، وعُمان ، ومصر ، وأن خالَ أبيه ابن « معطِي » كان ممّن وليّ عيار « صنعاء » وقال : إن عناية آلهِ بالصّناعات كالتّعدين وغيره أمورٌ تلفت النظر » . !

ولا أدري ما هو مَغْزى كلام البحّاثة « الرّوسي » عن أسماء آباء « الهمداني » واسْتغرابه أن يكونوا « يُوسُف » و « يَعقوب » ؟ وهـل ظنَّ أنهـا غير « يمنيّة » واستغرابهِ أيضاً أنّه كان يُتاجر بالذّهب وعناية أهلـهِ بالصناعـات ؟ وأنّ ذلك يُلْفِتُ النظر ؟ هل أراد أن يشكك في « يمنيّة » « لسان اليمن » أم ماذا ؟

ثم نقل الأستاذ « الجاسر » عن « القفطي » « إنَّ الهمداني راسـل وكاتـب علماء العراق مثل أبو بكر بن القاسم بن بشار الأنباري ، وكان يختلفُ بين « صنعاء » و « بغداد » وكذلك أبوه « القاسم » وكان يكاتب أبا عمرو النّحوي صاحب ثعلب ، وأبا عبـد الله الحسين بن خالـويه ، وسـار إلـى العـراق ، واجتمع بالعلماء واجتمعوا به » ؟ ولا ندري هل تلك الرحلات كانـت قبـل سجنه أو بعد خروجه من السجن واستقـراره « بـريدة » . . غير ان الأستـاذ « الجاسر يقول : ان الهمداني لما عادَ إلى « اليمن » استقـر في « صعـدة » قاعدة « أئمة الزيديّة » وأنَّ اليمن كانت تتنازعها تيارات سياسية ؛ فاليُعفريّون

كانَتْ قاعدتهم صنعاء يميلون مَعَ هؤلاءِ آونةً ومَعَ أولئك أخرى ؛ وينْضمُّون إلى غير الفِئتين أحياناً كما فعلوا مع القرامطة » الخ وهذا البيانُ الرّصين الّذي يصوّر بصدْق واقِعَ بني « يُعْفر » الحِواليّين ، يؤكد ما ذَهبتُ إليه من أنّ الهمداني العالم الفيلسوف لا يمكن أن يطْمئن قَلبُه ولا يميل هَواهُ ، إلى أمثالِهم . ولذلك اختارَ المُقام « بصعدة » في تلك الفترة ؛ لأن أمثال « الامام الهادي » و « المرتضى الزّاهد » ، « والنّاصر » الشّهم الهمام » أقرب إلى روحهِ وطبيعتِه اليمنيّة الخالِصة ، وإلى مَذْهبِه « الزَّيدي » . . ثم يقول أستاذُنا حَمَد الجاسر » حَفِظَهُ الله : « وكان » الخلافُ بين أصحاب هذِهِ التّيارات يَتجاوز حدَّ المقارعة بالسِّنان إلى المجادلةِ باللّسان ، فكانَ أنْ اشْتَعلَتْ نارُ العصبيّة بين القحطانيّة و « العدنانيّة » ، وكانَ بعضُ الأنباء « يُلاحظُ هنا أن الهمداني قال أنّهم حرَّفوا وغيَّروا قصيدة الرّداعي » « مِن الفُرس يُذكى أوارها » وليس بعيداً أن يُوجد مِن وراء هؤلاء من ذوي النّفوذ في بغداد (أصْحاب الحواليّين) مَنْ لهُ أثرٌ في ذلك الخ وهَذا كلامٌ حصيفٌ يؤيّدُ مَفْهومُه ما أوضحناه تحت عنوان « مَن الّذي سجَنَ الهمداني » ؟ . . ثم يقول الأُستاذ « الجاسر » والَّذي يُعْنينا مِن الأمر ماله صِلةٌ بالهمداني ؛ لقدْ خاض المعمعة بل لعلّه الوحيدُ الّذي نسْتطيعُ أنْ نتبَيّن أثاره فيها ، فيما وصَل الينا من كتبه « الاكليل » و « الدّامغة » وشرحها ، وكان من أثر ذلك أن أوذي وسُجن » . . وإلى هُنا لا نَخْتلفُ مع الأستاذ في شيء ؛ ولكنه يُتابعُ القولَ مشيراً إلى المصدر الذي استَنَد إليه بما يلي : « وفي الدرّ الكمين ورقة «١٠٢» [مؤلّفه بن فهد المكّي] وكان صاحب أمرها - يعني صعدة - في ذلك الوقت الامام النّاصر لدين الله وكان في « صعدة » عِدّة من الشعراء المنتسبين إلى « عَدنان » منهم الشّريف الحسين بن علي بن الحسن بن القاسم الرسّي ، وأبو الحسن ابن أبي الأسد السّلمي ، وأبو أيّوب بن محمد اليَرسُمي ، وأبو أيّوب يُنْسَبُ إلى « الفرس » فبلغ « الهمداني » أيّامَ إقامتِه في صعدة أن هؤلاء يَتعصَّبون على قبائل اليمن ، ويتناولون أعراضهم بالأذى ؛ فكتب لكلّ واحدٍ من الثلاثة قصيدة فلمَّا بلغَهم قولُه اشتدّ ذلك عليهم ، ونَصبُوا له ، ووبّخُوه بالكلام وتألَّبُوا عليه ، فقال فيهم

أبياتاً ؛ فلَمّا تَفَاقمَ الأمرُ بينَهُ وبين الشعراء المـذكورين ، وأفحمَهـم جَمعـاً وفرادى دَخلوا إلى الإمام النّاصر لدين الله ، وقالوا له انّ بن يعقوب هَجا النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ؛ فتوَعّده « النّاصـر » فخـرج مِن « صعـدة » إلـى « صنْعاء » وكانت يومئذٍ للأمير أبي الفتوح الخطّاب بن عبد الرحيم بن يُعفر الحوالي من قبل عمّهِ الأمير أسعد بن أبي يُعْفر ، وكتب « النّاصر» إلى الأمير أسعد وكانَتْ بينهما مَودّة شديدة ـ يشكو إليه « ابن يعْقوب » ويقول : انّه هجا النبيّ ﷺ فأمر « أسعد » ابن أخيه بِسجْنِه فسَجَنَهُ . . وكانـت له في السّجْـن أشعارٌ كثيرة مِن التحريض والتّوبيخ وغير ذلك ، وكان سجنُه سَبَباً لِزوال مُلكِ النّاصر ، وقتْل أخيه الحسن ابن يحيى الهـادي » . . هذِهِ هيَ قصّـة سجـن الهمداني كما رواها الأستاذ حَمَد الجاسرُ عن كتاب « الدر الكمين » وهـي الّتي اعْتمد عليها القاضي محمد الأكوع في « مُقدمتـه » ؛ غيرَ أنَّ صاحـبَ « الدرّ الكمين » المكّي قد أوردَها كما سمعها دونَ تحامل أو إقذاع ؛ بينما أطلق صاحبنا « القاضي الأكوع » لقلمِه العِنان شَتْماً وسبّاً كما ذكرت سابقاً :

ولا أريد أن يفهم القرّاء أنّي أنكرُ أنَّهُ قد كان هناك من يتعصّب « لِعدنـان » ويتحامل ويُزري بقبائل « قحطان » أو بالعَكْسِ ؛ وأنّ « الهمداني » أو غيره من الشعراء قد خاضوا شتّى « المعامع » في ذلك الميدان ، كما قال صاحب « الـدرّ الـكمين » ، و « الأُستـاذ الجاسـر » ، وغيرهمـا من المـؤرّخين . . كلاّ . . كلاّ ولكن الّذي أريد إثباته هو ما سبق أن أشرتُ إليه مِن أنّ . . أهلَ البيت . . كانوا بمعزلٍ عن تلك المعامع ؛ حتّى ولو شارك فيها بعضُ من يُدْلي إليهم بنسب وقرابة مِن الشعراء ! وأعني أنَّ أحداً من المتعصّبين لِقحطان ضد « عدنان » لم يتعرَّض للرّسول ﷺ ولاَ لأهلِ بيتِه بشيء مِن الهَجْو والتَّحقير ، والإسْتِصْغار والسّباب ؛ اللّهُمّ أولئـك الـذين باعـوا نُفوسهـم لِلشَّيطـان مِن المارقين ، والنّاكثين « والخارجين » على الاسلام وجميع مذاهبه ؛ وقد سبق أنْ استَشْهدنا بِبَعْض كلام وشِعْر الهمداني في الدّامغة ، وبِشعْـرِ غيره مِمَّـن يفتخرون « بقحطان » ويُعلِنون في نفسِ الوقت الولاء والمحبّة للإمام علي وبنيه . وقد أشاد المؤرخون بغضب الشّاعر « دعبـل » الـذي ناقض قصيدة

« الكميت العدنانية » حين قرأ عليه « البيت » التّالي أحدُ أصحابه :

مِن أيّ ثنيّةٍ طَلَعـتْ قريشٌ وكانـوا مَعْشـراً مُتنبطينا ؟؟

وكأنّه مِن قصيدة « دعبل » قالوا : فغَضِب « دِعبل » وقال : معاذَ الله أن يكون هذا البيت لي » ثم قال : « لَعَنَهُ الله وانتقم عنْهُ يعني أبا سعيد المخزومي ، دسَّهُ واللهِ في هَذا الشّعر وضرب بيدِهِ إلـى سِكّين كانَـتْ معـه فجـردَ البيتَ بحدّها » .

هذا من جهةٍ، ومن أُخرى ؛ لماذا تَشدَّد الحواليّون في تعذيبِ « الهمداني » كما ذكر هو نفسُه في المقالةِ العاشِرة من « سرائر الحِكْمة » لو كان حَبْسه فقط مجاملةً لِعَدوهمْ القـديم الَّـذي أصبـح ـ كمـا زعمـوا ـ صديقـاً ؟؟ « الإمـام الناصر » ! . . إنّني لا أستطيع أن أسْتسيغ تلك المعاملة الرّهيبة ، والإيذاء الوَحشيّ من قِبل « أبناء يُعفر » نحو « لِسان اليمن » ؛ ولا يمكن أن يقوم بها إلاّ ذو حقدٍ شخْصي نحـو عدوٍّ لدود ؛ وهـو ما أظُنّـه قد كان بينَ « الهمدانـي » و « سلاطين » و « امراء » آل « يُعفر » لأنّه كان من شيعَةِ أهـل البيت وأشـاد بهم ، ومِن علماء « الزّيديّة » عِلماً بأني لا أسْتبعدُ أنّ الشعراء الّذين نافسوا الهمداني قد حاولوا المؤاذاة والكيد لَهُ بشتّى الوَسائل والحِيَل عند « الناصر » وغيره حتى ضاق بهم ذرعاً ؛ وقـد كانَـتْ أواخِـر أيّامِ « الناصـر » كمـا ذكر المؤرخون ومِنهم صاحب « غاية الأماني » مُفعمةً بالضّنـك والاضطـراب ؛ وبدأتِ الخلافات بين ذَويه وأبنائِه تَبرزُ بقُرونها كما أنّ الأحْقاد القديمة بدأت عقاربُها تدبّ بين قبائل «صعدة» حتى كان ما كان غير أنّي ومع ذلك لا أستطيع أن أهضم أن يكون أولئك الشعراء والمنافسون مِن الغفولِ والسّذاجة بحيثُ لا يجدون سبباً من الأسباب ، ولاوسيلـةً من وسائل الدسّ والكيد إلاّ الزّعم بأنّ الهمداني المشهور بعلمه وفضله ومُجاورتِه لبيتِ الله الكريم قد هجا محمداً صلّى الله عليه وسلم . . وأن مثل هذه الوسيلة الرخيصة السَّخيفة تَلْقى قبولاً أو تؤثّر على « الإمام النّاصر » وهو هو علماً وفضلاً وهمّةً وذكاءاً ؟ وكان قد اطّلع على « الدّامغة » التي ألّفها الهمداني في « صعدة » كما أثْبـتَ ذلك الأستـاذ الجاسر والقاضي الأكوع وفيها ما سبقَ ذكره من إشادة بالرسول الكريم ﷺ

وبفضائل ومآسي أهل البيت . . إنّ ذلك في نظري بعيد ؛ ومن التخرّصات الّتي ابتدعها من أرادوا أن يشوّهوا تاريخ « الهمداني » فعبثوا بكتبه وشعره شطْباً وتحريفاً ، وفي نفس الوقت لا أستبعد أيْضاً أنَّ « أمراء آل يُعفر » الّذين حبسوا الهمداني وعذّبُوهُ وأساءُوا إليه قد حاولوا عندما أطلقوه أن يقولوا له أنّهم عملوا ذلك بأمْر ، أو عَنْ طلب « الإمام النّاصر »[1] . . لأنَّ وسائلهم في المكر والكذب والدسّ والكيدِ مْعروفةٌ مشهورة كما قال المؤرّخون وأشار إليه بلطف النّاقد الحصيف أستاذنا حَمَد الجاسر في مقدمته لِصفة جزيرة العرب .

ثم يقول الأستاذ الجاسر: « وفي سنة ٣١٦ هـ أثناء إقامته بصعدة ، وأثناء ما وقَعَ بينَه وبين شعراءِها ألّف شرحَ « الدّامغة » (الورقة ١٦٨) ويظهر أن إبنَه كانَ في منأى عمّا جرى على أبيه هذه الأيّام من الأذى[2] ولهذا نَسَب إليه ذلك الشَّرح وهي نسبة غير صحيحة ؛ وقد تكون متأخّرة عن هذا العَهْد إذ انّ عُمر الهمداني سنة ٣١٦ هـ لم يتجاوز ٣٧ - وليس من المعقول أن يبلغ ابنه محمد من العُمر ما يؤهّله لتأليف مثل ذلك الكتاب الخ .

وأقول: انّ في عبارة الأستاذ الجليل تناقضاً تاريخيّاً إذ أنّ الهمداني - كما يعلم الأستاذ - لم يسْجنه « اليعفريّون » إلاّ سنة ٣١٩ هـ ؟ فكيفَ أمكن للأستاذ أن يقول : « إنَّ ابنه كان في مَنْأى عمّا جرى لأبيه هذه الأيّام » ؛ أيّ حين ألّف « الهمداني » « شرح الدّامغة » سنة ٣١٦ هـ بينما لم يَحدُث ما جَرَى له من قِبَلِ « الحواليّين » إلاّ بعد ثلاث سنوات ؟؟ . ولكنّه - عافاه الله - قد استدرك ذلِكَ بحِسّ المؤرّخ النّاقد فقال : « وقد تكون تلك النّسبة متأخّرة عن هذا العهْد » . . . وذلك هُو الصّواب إنْ كانَ الهمداني نفسُهُ قَد نسَبَ الشّرحَ إلى « إبنه » على أنّي أشِكُ في ذلك ؛ لأنّ ما كانَ يَخافُه على نفْسِه من بَطْش وَحِقْد

---

(١) بلغَ ان الرئيس جمال عبد الناصر أشعَرَ الزعماء اليمنيين الذين سجنهم في القاهرة ومنهم الفريق العمري ، والأستاذ نعمان ، ويحيى المتوكل ، وابراهيم الحمدي ، وزملاءهم . . بأنّه لم يكنْ يعرف أنهم في السجن مُلمّحاً أنّهم كانوا في سجن البعض من زملائه ؛ قال ذلك بعد إطلاق سراحهم ليبرىء نفسه !

(٢) في هذا الكلام نظر إذ لم يكن الهمداني سنة ١٣١٦ قد حُبس وأوذي وهو يؤيدُ ويؤكد ما سبق وما سيأتي وذهبت اليه : ان كتمان اسمه كان من السلاطين والحواليين والشعوبيين . المؤلف .

« الأبناء » و « الشعوبيّين » و « سلاطين » بني « يُعفر » وهو يعرفُهم حقّ المعرفة ؛ ويعرف ما صنعَ « أميرهم » « بالتّراخم » من أجل قتْل غُلامِه لا بُدّ أن يشْعر بهِ نحو إبنه محمد وفي نفس الوقت فأنا لا أعلم أنَّ « الهمداني » نفسَهُ قد نَسَبَ وبالنّصِ ذلكَ « الشّرح » إلى ابنه « محمّد » بَلْ ترَك إسم المؤلّف مجْهولاً ، وأعلمُ أنّ المتأخّرين مِن المؤرّخين هُمُ الّذين اختلفوا في « نِسْبَتِهِ » ؟ فَمِنْهُم من قَالَ أنّه لابن الهمداني ، ومنهم من زَعَمَ أنّه لأحدِ تلاميذه ، حتّى جاء الأُستاذ حَمَد الجاسِر فأكّد بالبرهان القائِم على نصّ الهمداني أثناء الشّرح ؛ وعلى حُجَجٍ اخرى ذَكرها في مُقَدمته لِصفَة الجزيرة ! وكُنتُ نفسي قد توصّلتُ إليها وأنا أحقّق كتاب « الدّامغة » وشرحها . . ثم قال الأستاذ الجاسر ص ١٥ ـ لا شكّ أن « الدّامغة » هيَ الّتي فتحَتْ على « الهمداني » أبْواب الطّعْن ، وسيل الاتّهام ؛ ولهذا وصفَهُ « الزيديّون » بأنّه كان سَبّاباً لأهل البيت وطعنوا في خُلُقِه ، ورموهُ بالكذِبَ ، كما في « طبقات » الزيديّة « مخطوط دار الكتب المصريّة ٢٨ ـ ٦١ » .

هذا ما حكاهُ الأُستاذ ؛ و « طبقات الزَيديّة » ليست تحت يدي الآن ، ومن المعلوم أن مؤلفها لو كان قد قالَ ذلك فانّما عنى في نظري أنَّ « الهمداني » كان يَتعصّب « لِقحطان » ضِدّ « عدنان » وهو ما لا غُبار عليه ، وقد نهجَ نهجُه الكثيرُ من اليمنيّين « زيوداً » و « شوافع » وأما أنّه قد ثَلَبَ أحداً من « أهلِ البيت » فذلك ما لم يكن ؛ وأُنزّه « الهمداني » « الزّيدي » عنه وقد أوردْتُ بعضَ أشعاره في النبيّ ﷺ وآلِهِ ؛ وكُتُبه مُفعَمة بها له ، ولِغيرِهِ من الشعراء ؛ ولِذلك ترَجمَ لهُ ـ كما قَالَ الأستاذ الجاسر في « طبقات الزيديّة » . . . « إن كان قد فعل ذلك » وربما ذكره عرضاً .

ثم قال الأستاذ الجاسر أنّ صاحب الطّبقات قال عن الهمداني : « أكثر تصانيفه لا يُخليها من التعَصُّب لِقحطان عَلَى عَدنان حتّى خرج إلى الكذب في الأنساب مَعَ معرفتِه بها ؛ ومِن كذبِه أنّه ذكر في بعض مصنّفاته في فضائل قحطان : إنكاره دخول الحبَشة اليمن وصنْعاء ؟ وقال : إنّ العرب أرفَعَ شأناً ، وأقوى مكاناً من أن يدخلهم الحبشة . . وإنّما دخلوا مِن ساحل جدّة إلى

مكة[1]» . . ثم عقّب «الاستاذ الجاسر» بقوله : «ومؤلّف الطّبقات هذا يحي ابن الحسين من علماء « الزّيديّة » ومعروفٌ ما يكونَ بين أصحاب المذاهب والنحل من الاختلاف الّذي تنعدمُ معهُ معاييرُ الحقّ والإنصاف » .

وأناوبعدتأمّل كلام الأستاذ حَمَد لا أستطيع أن أطمئن إلى أن صاحب الطّبقات السيّد يحيى بن الحسين «الزيدي» قد قال عن « الهمداني » انّه كان سبَّاباً لأهل البيت » إلاّ إذا كانت العِبارة قد دُسّتْ عليهِ أو انّه قد تأثّر وهو من المتأخرين بكلام من سبقَ مِن الدسَّاسين لأن ذلك لم يحدث قط . . وأمَّا ما قاله في « طبقاته » والأستاذ الجاسر يعني « الطبقات الصّغرى » تأليف السيد يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ ـ ١٦٨٨ م ـ والّذي هو صاحب أنباء الزمن » «غاية الأماني » في تاريخ اليمن ؛ وكان عالماً مشهوراً بالاعتدال والانصاف . أما « طبقات الزيديّة الكُبْرى » فهي لصارم الدين ابراهيم بن القاسم بن محمد المولود في شهارة ؛ وكانَ عالماً مشتغلاً بالتّاريخ وكُتب الرجال ؛ وكتابه « طبقات الزيديّة ، ورُواة الفِقه والآثار ويَقَعُ في عدّة مُجلّدات جمع فيه واستوفى جميعَ طبقاتهم إلى أنْ أكمل تأليفه في صنعاء سنة ١١٣٤ هـ ـ ١٧٢٢ م ـ وقد تُوفي « بتعز » سنة ١١٥٣ هـ ولا أدري هل ذكر الهمداني فيه أم لا . . نعم إنّ إعتراض الأستاذ حَمَد على قول صاحب « الطّبقات الصّغرى » أن الهمداني كان كثير التعصّب لِقبائل قحطان على قبائل عدنان إعتراضٌ في غير محلّه ، فذلك ما لا يُنكرهُ أحدٌ حتَّى الأستاذ الجاسر نفسه فقد رماهُ بالتّعصب حين قالَ في مقدّمته « لِصفةِ جزيرة العرب » : « ويُؤْخَذُ على الهمداني أمورٌ ؛ مِنها شِدّة تعصّبه شِدّةً قد تحيدُ به في بعض الأحيان عن جادة الصَّواب ، وكتابُ شرح الدّامغة أوضحُ دليل على ذلك والأستاذ محبّ الدين الخطيب على حقّ حين قال عن الهمداني : « يُثبتُ

---

[1] تأمل الحجّة الواهية التي لا يمكن أن تخطر على بال مثل « لسان اليمن » الهمداني ؟ كأنَّ سكان بيت الله الحرام من قريش لم يكونوا عرباً ! فقط ؛ لأن العرب ارفع شأناً ؛ لم يدخل الأحباش « صنعاء » لكن دخلوا من جده إلى « مكة » لأن العرب فيها ليسوا « عرباً » هل يجوز أنْ يجوزُ هذا على أي ناقد . . لا . . أنّهُ موضوع سواء على الهمداني أو على صاحب الطبقات . المؤلف

حقائـق العِلـم عَلَـى صِحّتِهـا ما اسْتطـاعَ في كلّ ما لاَ يمسّ « همدانيتــه » و « يمنيّته » فإذا لامَس العِلمُ هذا الجانب الحسّـاس مِن المـؤلّف وجَـد فيه ضعْفا » كما أخذَ الأُستاذ الجاسرُ « الهمداني » أيضاً على اعتقادِه بتأثير النّجوم في تكْوين المعادن ، وفي تصرُّفـه في الشعـر وتحْريفـه ، ولا أُريد مناقشـة الأستاذ في ذلكَ الآن ؛ لأنّه خارجُ عن الموضوع ؛ بل أريد أن أقول : أنّ صاحب « الطّبقات الصُّغرى » لم يزدْ عَلَى ما قالهُ الأستاذ الجاسر ، والأُستاذ محبّ الدين الخطيب . . الّذي أورده « الجاسِر » مُصوّباً وإن كانـتْ لهجـة الاستاذين البـاحثين الـكريمين ألـطَف وأرقّ وأعمـقَ وأدق ؟؟ وليرْحَـم الله الخطيب » و « صاحب الـطبقات » و « الهمداني » وليَحْفظ الله أستاذنا حَمَد الجاسِر . . الّذي لا يسعني إلاّ أن أذكر ما قاله في ص ١٠ من مقدّمتـه عن « الهمداني » إذ قال :

فهويَرى أنّ « الـكلبيّين » قداختصَـروا أنْسـاب النّـاس وطرحـوا منهـا » ويقول : « إنّ نُسَّاب العِراق والشّام يُقصّرون في أنساب كهـلان ومـالك بن حمير لِيُضاهئوا بها عدّة الآباء من ولد إسماعيل وقـد يُعلّل هذَا بأنَّ بَعضهـم حاولَ إفساد النّسب في أيّام « العصبيّة » في دَولةِ « معـاوية » لتقـرّب نَسَـبَ قُضاعة و « كهلان » على نحو ما أرادت « النّزاريّة » من إدخال هذه القبائل في ولدِ إبراهيم عليه السَّلام . . ولا يهمّنـي ما يريد « أُستاذنا! « الجاسـر » أن يُثبته ، أو يدينُ به لِسانَ اليمن الهمداني »بكلامِهِ! هَذا بلْ الّذي لَفتَ نظري وأكّد تشيّع « الهمداني » أنّه وصفَ « دولة مُعاوية بن أبي سفيان » بأنّها كانَتْ « أيّام العَصَبيّة » . . وقد تحدث « الجاسر » عن سجن الهمداني قائلاً : وقد أشار الهمداني في المقالةِ العاشرة مِن سرائر الحكمـة إلـى سجنـه إشـارات مُلخّصها : أنّه غَضِبَ عليه الملوك يومَ الاثنين شوال سنـة ٣١٩ هـ وأُدخـل السجن وأجريت الايمان والعهود بالله أنْ لا يخرج إلاّ على لوحِهِ ميّتـاً ، ثم فسـح له في ابتنـاء مَسْـكن يتّسـع فيه وسُمِـحَ لَهُ بزيارة الأخـوان ، وقضـاء الحوائج ، في سَبْعةِ أشهر و ٢٤ يوماً ، وعندهـا أبـدِلَ بالقيود الثّقـال قيداً خفيفاً ، ولم يزل الأمر على ذلك تِسعة أشهر وأربعة أيّام ونِصف ، وانْهـدم

جانبٌ من حائط السجن فحوّل إلى سجن القاصرين ، وأصْحاب الدّيون . . فصارَ كأنّه في منزلٍ مُنْعزِل ، وبعد أربعة وعشرين يوماً أُطلق مِن القيد الخفيف وزادَتْ الحال به فرجة ، فنُقل من السجن العظيم إلى ما هو في عداد المنزل ، ثم نُقل من بلدٍ إلى بلد ، وطيفَ بهِ مُصفّداً إلى موضع غُربة فلقي من ذلك الأمرين ، وذلك من مدخله السجن صعب الأمر [في العبارة اضطراب] وتأرّبت عُقدةُ السّجن ، وَوَقع في اليأس ، وتأكّد الملوك في تعميره في السّجن اوعلى سبعة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً وجّهت أموره . .! ! وذلك على ٢١ شهراً وستّة أيّام فنفذَتْ فيه الشّفاعة ؛ فلمّا كان يوم الأحد/ ٢٧/ شعبان سنة ٣٢١ هـ إذن باطلاقه فأُطلق ثم رُدّ إلى السجن ثانيةً ؛ فلم يمضِ فيه يوماً ثُمّ أطلق فخيّر (هكذا) ؟؟ ثم أطلق من الموضع وبُعث به مغرّباً مع حفظة أينما وصلوا من قريةٍ سجنوه فأقام على ذلك ثمانية أيّام ؛ ثُمّ فلتَ من النهْج الّذي قصد به نفسه وذلك بعد ستمائة وتسعة وأربعين يوماً تكون شهوراً تامّة ـ٢١ ـشهراً ؛ و١٩ يوماً ، ويُفهم مما تقدّم أنّ « الهمداني » هرب من السجن ، مع أنّه نصَّ في « الاكليل » ١ ـ ٣٣١ ـ أنّ « النّاصر » لما قام آلُ أبي فطيمة مُطالبين باخراج الهمداني من السّجن فتح له ، فرضوا وَوَادَعوه حتّى صحَّ لهمْ أنّ إطلاق الهمداني كان من جهة إبن زياد صاحب « زبيد » فلَعلَّ « ابن زياد » هذا ساعد على هرب الهمداني مِن السجن . وهذا السَّرد المثير ورغم أنّه يسْتندُ إلى ما رُوِيَ عن « الهمداني » نفسِه في « سرائر الحكمة » والجزء الأول من « الاكليل » ففيه شيء من الاضطراب والتشكّك ويتمثّل واضحاً في قولِه « ويُفْهم » ،و«لعـل» والخلط بين « النّاصر »و«ابـنزياد»و«شفاعتــه» ولم يذكر إلى مَنْ ؟! واحْتمال « فراره » ! ثم قال الأستاذ الجاسر : وقد فصَّل « الهمدانـي » في « الاكليل » (١/ ٣٢٩/ ٣٤٣) أثـر سجْنِـهِ في زوال ملك « النّاصر » وقتل أخيه الحسن في وقعة « الباطن »؛ وأنّ قلب النّاصر إنْفلق فأقام أيّاماً يسيرة ثم تُوفيّ ! وأوردَ بعضَ أشعاره ، ويظهر أنّه شارك في بعض الوقْعات الّتي جرت بين « النّاصـر » وبين القبائـل الهمـدانية الّتـي ثارتْ ضدَّه حميّة للْهمداني . . ثم قال مُسْتنداً فقط إلى استنتاجه الخاص . الواقع تحت حبْكِ

الاشاعة الّتي أشرتُ إليها دونما تمحيص أو رجوع ، إلى نصٍّ تاريخي قال :
« ويظْهر أنّ الهمداني منذ أن حلّ بصعده عائِداً مِن « مكة » حتّى سنة ٣٢٢ هـ لم يتمتّع بالراحة ؛ فقد أمضى أوّل الوقت في خِصامِهِ مَعَ الشعراء وما بينَ سنتي ١٩ - و٣٢١ هـ في السّجن ؛ وفي سنة ٣٢٢ هـ في حروب مع القبائل الثّائرة على النّاصر ، وقد أوضح الهمداني انّه أقام في صعدة عشرين عاماً ؛ ونرى أن هذه المدّة كانتْ قبل سجنه سنة ٣١٩هـ! ؟ ثم قال : انّه عاد من مكة بعد سنة ٣٠٧ هـ » وأن مِفْتاح شخْصيته هي تعصّبه لقومِه وللقحطانية عامة كما ذكر « أنَّه اجتمع بالخضر بن داوود سنة ٣٠٧هـ» و« انّه لا يوجد من كتابه سرائر الحكمة إلاّ المقالة العاشرة » التي روى فيها قصّة سِجنِه الحزينة بسبب غضب « السُّلطان » حَسَب تعبير « الأكوع » و« الملوك » حَسَب تعبير « الجاسر » .
وأكّد « الأستاذ » أن الهمداني استقرّ آخر حياته في « رِيْدة » مِن البونَ الأسفل من أرض « همدان » وبها « قبرُهُ » وبقيّة أهلِه حسب قول « القفطي » وانّه عاش إلى ما بعد سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٦ م) .

أماكيف كانَتْ حياته بعد موتِ « النّاصر » وما هو نشاطُه العلمي والأدبيّ ؟ وأينَ عاشَ ؟ فلم يحدّثنا بشيء ، ولكنّه كانَ موفّقاً حين أنكر ما رواه أحدهم من أنّ الهمداني قد رثى أسعد بن أبي يعفر بقوله :

قد استوى النّاسُ ومات الكمال وقال صرفُ الدَّهر أينَ الرجالْ ؟

إلى آخر الأبيات .

قال الأستاذ الجاسر ص ٣٠ - مقدمة :

إن هَذا الشِعرلابْن المعتز »الخ وهو عَلَى حقّ، كما أنّ ذلك يؤكّد أيضاً أنّ ما وُضِع على «لسان اليمن»كان قد أغرقَ فيهِ المغرضون .

مناقشةٌ لِوجه التاريخ ؟

أشَرتُ أثناء نَقْلي لِقصّةِ حبس « الهمداني » الّتي سردها « الأستاذ حَمَد الجاسر » إلى أنّ في ذلك السَّردِ من الاضْطرابِ والتّشكّك ما يُوحي بأنّه لم يَكنْ على يقين مِمّا يقول ؛ وأنّ ذلك قد تمثّل في ترديده لبَعْضِ الألفاظ : مثل

« ويظْهرُ » و« يفهمُ » و« لعلّ » الـخ . وحيثُ أنّ الأُستـاذ الجاسـر قد ذكر إستناداً إلى ما نُسب إلى الهمداني أن « الامام الناصر» ماتَ بعْدَ أنْ انفلقَ قلبُه أسىً على أخيهِ الّذي قُتِل في وقْعة الباطن اوقال ويَظهر أنّه ـ أيّ الهمداني شاركَ في بعض الوقعات الّتي جرَت بينَ « النَّاصر » وبينَ القبائل « الهمدانية » وفي حروب سنة ٣٢٢ هـ الخ فقد رأيتُ العودة إلى التاريخ وإنْ لَمْ يكنْ بينَ يديّ من كُتبه الآن إلاّ « غاية الأماني في أخبار القطْر اليماني » لِصاحب « الطبقات » الصغرى الّتي نَسَبَ إليه الأستاذ لجاسر التحامُلَ على الهمداني ؛ وسأنقلْ منه أحداث سنة ٣٢٢ هـ الّتي زعَمَ الأُستاذ الجاسِر أوْ ظنّ أنّ الهمداني شارك في حروبها ! ولـو كان ذلك قَد حدث لمـا أهملـه المـؤرخ العلاّمـة يحيى بن الحسين . . قالَ : « غاية الأماني » صفحات ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ جزء ـ ١ ـ تحقيق الدكتور عاشور ـ على ما في هذِه الطّبعة من أخْطاء :

وفي يوم الأربعاء الثّامن عشر من جمادى الآخرة مِن هذِه السَّنة ماتَ النّاصر لدين الله أحمد بن الهادي عليهما السلام ؛ وادّعى عقيب موته ولدُه يحيى بن أحمد ، وعارضَه أخواه القَاسم بن أحمد الملقّب « بالمختار » والحسـن بن أحمد ، فجرى في أيّامهم مِن الفِتَن والحُروب ما يطول شرحه وإنّما نشير إلى طرف يسير منه : من ذلك حصول فِتنة وقَعتْ في صعدة قتل فيها الحسن بن الهادي ، والأقرب أنّها كانتْ هذه الفِتنة قبل وفاة النّاصر رحمه الله [ولَعلّهـا وقعة الباطن الّتي أشار إليها الأستاذ نقـلاً عن الإكليل] وتعَقّبهـا ما وقَـع من الاختلاف والشّقاق،وعدم الاتفاق بين أولادِه بعدَ وفاتـه حتّـى قيل أنّ خراب « صعدة » القديمة كانَ في أيّامهم بسبب كثْرةِ الفِتن وتتابع المحَن ؛ وما زالت أحوالهم مُتَقلّبة ، وأمورهـم مُضْطربة من هذا التاريخ الى سنة ٣٣٣ هـ » ثم ذكر قدوم حسّان بن عثمان ابن أبي يُعفر من نجْران » إلى صعدة وخـروج العلويين منها إلى قبائل خولان واسْتِعانتهم بأسْعد بن أبي يُعفـر ، وخـروج حسّان إلى « بـرط » وعـودة « العلـويّين » ومُبايعتهـم لِلْحسـن بن النّاصـر ، وخروج أخيه « المختار » عليه . . والحروب الّتي نجَمت بَيْنَهما ، ووقـوع الخلاف بين « المختار » وأحمد بن الضحّاكَ صاحـب « رَيدة » ومـا نشَـب

بينَهم من وقائع ، والْتفاف الأكثريّة حول « المختار » وتصالحه مع أخيه ؛ ثم اختلافهما مِن جديد وخروج الحسن إلى « بني سعد » ومكاتبته إلى ابن الضحّاك ، واتّفاقهما على محاربة « المختار » حتى قال : « وتمكّن القومُ مِن « صعدة » فنهبوها نَهباً شديداً وقتلوا مِن أهلها وسَبَوا وفعلوا بهم أعظم مِنَ القرامطة » ، وخرجَ أكثر أهل « صعدة » عنها إلى آخر ما قال . . وأنا أسْتبعد أنْ يكون « الهمداني » العالم العظيم قد شاركَ في مِثل تِلك الحروب الّتي سبّبت الدّمار والهلاك لصعدة وأهلها وهي مسرح شبابِه وحيث ألفَ فيها الكثير من كتبه ونَظَمَ الجميلِ من أشعارِهِ وكانَ لهُ بينَ ذويها جاهٌ وصَوتٌ جهير . .!وأنّه كَانَ مِن الورعِ والتّقوى بمكانةٍ لا يُمكن معها التورّط فيما تورط فيهِ الطّامعون ومُثيرُو الفِتنْ مِن كلّ الفِئات ، وبهذا يتلاشى في نظري ـ تشكّكُ الأستاذ « الجاسر » وعباراته العائمة « يُفهمُ » و « يَظْهرُ » و « ولَعلّ » . . الّتي لا تفيد يقينا .

هُناك صِراعٌ عاطفيّ بينَ « المؤرخ » و « الشاعر » ويأتي ذُو الهوى والتَعَصُّب فينفث ألفاظاً تُعمِق ذَلكَ الصّراع ؟ وربّما كانَ من سُوء حظّي أنْ أكونَ مُؤرخاً » و « شاعراً » في وقتٍ معا ؛ ولا يدري إلاّ الله ما أعانيه وبأسى وعنفي حينَ أُحاول « التمييز » بين ما أتمنّاه كشاعر وبين ما أظنّه كمؤرخ : واقِعٌ . . وحُلُمٌ . . رغبةٌ . . وحَدَثٌ . . ثم دَسٌ وكيدٌ ؟! إنها عملية صَعبة ؛ لا يتوفق فيها إلاّ المخلصون والمخلصون على خطرٍ عظيم . . !

الفصل السادس

مَنْ هُم بنو يُعفر، أو الحواليّون ؟

وردتْ لفظة « الحواليّين » كثيراً في الصفحات السَّابقة ، والقاضي محمد الأكوع نفسُه حريصٌ - دائماً - على أن يُلزق لفظة « الحِوالي » إلى إسمه في كلّ مؤلّفاته ، أوْ ما ينشرهُ من كُتُبِ الهمداني مُتباهياً بانتسابِهِ إليهم ؛ وكثيراً ما مجَّد دولتهم ، وأثنى على « سلاطينهم » و « أمراءهم » مِن بني يُعفر « الحواليّين » وكثيراً ما أنْحى باللائمة والتَّجريح على مَنْ سَبقهم ، أو عارضهم ؛ غافراً لأصحابه « اليُعفريّين » كلَّ ذنب ، متجاوزاً عن كل خطأ ، مُلْصِقاً بالآخرين كلّ عيب ، مُنَقّباً عن أيّةِ زلّة ؛ مُتتَبّعاً كلَّ هفوة ، ولا يكاد يجد لمُخْطئِهم عذراً ، ولا على المظلوم رحْمةً وحناناً ؛ مُبالغاً في ذلك إلى حدِّ تجْريم جدودهم وأسْلافِهم وان بعدوا ؟ وتحقير أحفادهم وذرّياتهم على مَدَى الزّمان . ! ولكيْ لا أترك القرّاء في حيرةٍ سأحاولُ أنْ أعرّفهم « بآل يُعفر » أو « الحِواليين » الذين لعبوا دوراً سياسيّاً في فترةٍ من فترات التَّاريخ اليمني ، ولَن آتي بشيء جديد بل سأنقُلُ بأمانةٍ ما قاله عنهم المؤرّخون اليمنيون وغيرهم . . ومن المعلوم أنّ « الحواليين » ينْتَسبون الى ملك مِنْ ملُوك حمير قبلَ الإسلام كانَ يُدْعى « ذو حوال »

١ - مع علي بن الفضل :

قال نشوان الحميري في « الحور العين » ص ٢٠٠ - فلمّا مات عليّ بن فضل ، قام ابنه « بالمذيخرة » من بعده ، وفرّق الأموال في أصحابه فخرج الأمير أسعد بن أبي يُعفر بن ابراهيم بن محمد بن يُعفر بن عبد الرحيم بن كريب « الحِوالي » من « صنعاء » في رجب سنة ٣٠٣ هـ (٩١٦ م) ومَعَه قوّاد اليمن ، فلم يزلْ يُحارب القرامطة حتّى استفْتح بلدانهم ، ودخَل « المذَيخرة » في جمادى الأولى سنة ٣٠٤ هـ - فحاصرهمْ حتّى نزلوا على حكمه ، وظفر بهم في رجب من هذه السّنة فقتل منهم خَلْقاً كثيراً ، وأخَذَ

أمْوالاً عظيمة ، يقصرُ عنها الوَصْفُ ، وسبى نساء « ابن فضل » فوهب بنْتَـه لابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبي يُعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن ؛ وبيع من القرامطة ناسٌ كثير ، وأخذ ولدين لِعلي بن فضْل ، وجماعة من رؤساء القرامطة إلى « صنعاء » وأمر بِهِـمْ فذُبحوا جَميعـاً ، وطُرِحَتْ أبدانُهم في بئر الجبّانة ، وأخذتْ رؤوسُهم فبُقِرتْ ، ووجّه بها في أربعة صناديق إلى مكّة فَنُصِبَت هناك أيّام الموسم .

٢ ـ ما قاله المستشرق كايْ عنْهم ؟

يَقول المستشرق كاي H. C. KAY الذي نشر كتاب عُمارة اليمني وعلّق عليه سنة ١٨٨٢ م ـ ص ـ ١٨٩ ـ تاريخ اليمن إخراج الدكتور حسن سليمان محمود سنة ١٩٥٧ م ـ ١٣٧٦ هـ ـ ما يلي: وأسْرة بني « يُعفر » الّتي وطّدت مُلكها كدولة مُسْتقلة في صنعاء كانَتْ من سُلالة التّبابعة ، أو ملوك حمير القدماء كما جاء في كتابِ عُمارة وتاريخ ابن خلدون في الفصْل الذي عقده في أشراف « صعدة » الرَسّيين » ويحذو ابنُ خلدون حذو عُمارة في الكلام عنه باعتبارهم من « التّبابعة » وفي موضع آخر من تاريخه حين يتناول أنساب ملوك اليمن وقبائله يُورد لنا سِلْسِلةَ نسب بني يُعفر ، ومع ذلك يبدو من المتعذّر أن نُتابع نَسَبَهم إلى التّبابعة إلاّ إذا استثنَينا أنهم مِن سُلالة زرعة (حمير الأصغر) بن سبأ الأصغر

ومن أسلافهم إثنان كانا يُسمّيان بإسم ذي حِوال وقد يكون هذا سبب غَلَبة إسم « الحِواليّين » عليهم في كثير من المصادر ومؤسّسُ الدّولة يعفر بن عبد الرحمن [عبد الرحيم] ونَسْمع به لأوّلِ مرّةٍ كما جاء في « الجندي » عندما كانَ يحكم اليمنَ القائد التركي « إيتاخ » الّذي نصبهُ الخليفة « المعتصم » على اليمن في سنة ٢٢٥ هـ برواية ؛ وفي عهد الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) عُزِلَ « إيتاخ » وأُعيد جعفر بن دينار والياً عليها وكان قد وليها من قبل ثم عُزِل بتَعيين « إيتاخ » . يقول إبن الأثير : إن ولاية إبن دينار على اليمن كانتْ سنة ٢٣١ هـ وأنّ هذا الحاكم الجديد دخل صنعاء في أربعة آلاف فارس وألف

راجل، ويقول الجندي ان ابن « دينار » هاجَمَ « يُعفر » بن عبد الرحيم ولكنّهما تهادنا ، ولما بُويع المتوكّل بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ عيّن حِمير بن الحارث حاكماً على اليمن ، ولكن الحاكم الجديد عجز عن مقاومة هَجمات يُعفر حتّى اضطَرّ إلى العودة هارباً إلى العراق ، ثم اغتيل « المتوكل » بعد ذلك في سنة ٢٤٧ هـ وسيطر يُعفر على صنعاء « والجند » ودخلت في حوزته «حضرموت» والجند وتحالف مع «ابن زياد »وكان يدفع لهم الجزية السنويّة؟ وفي سنة ٢٦٢ هـ حجّ بعد أن أناب عنه ولده[1] إبراهيم فلمّا عاد سنة ٢٦٥ هـ شيّد مسجدَ صنعاء على الطراز الّذي احتفظ بطابعه حتى عصر الجندي . وقد قَتل ابراهيم أباه ثم لم يكْفِهِ قتْله - فيما نَقَل «الجندي عن ابن الجوزي - بل قتل عمّه وابن عمّه وزوجة أبيه ؛ قبل إنقضاء ستة أشهر على وفاة المعتمد أي في المحرّم من سنة ٢٧٩ هـ وظلَّ « إبراهيم » مُحالفاً لأمراء بني زياد ولكنّ حكمه لم يدم طويلاً وخَلَفهُ ابنُه أسعد الّذي فتح القَرامطة في عهدِه جُزءاً كبيراً من بلاد اليمن ، ويمضي الجندي في وَصف فتوحات القرامطة وخضوع أسعد لعلي بن الفضل على نحو ما جئنا به في هذا الكتاب ، ومقتل محمد بن يعفر على يد إبنه إبراهيم ، لم يرد فيما ذكره الخزرجي عن تاريخ تلك الحقبة الذي اخْتَلَفَ في روايةِ حوادثها إختلافاً ظاهراً عمارة والجندي . يقُولُ الخزرجي : وظلّ إبراهيم يسوسُ مملكته بعد عودةِ أبيه مِن مكّة ، ثم شبَّتْ نار الثورة في صنعاء بعد سنة ٢٧٠ هـ بقليل ، وعرض الثوّار على جعفر بن أحمد المناخي ان يولّوه عليهم ، وسرعان ما خرجَ بنو « يُعفِر » جميعاً من المدينة ، ثم قُتل مُحمد بن يعفر بعد ذلك بقليل في شبام ولم يخلفه إبراهيم بل ابن أخٍ له ، يُدعى عبد القادر بن أحمد ابن يعفر ؛ والظاهر أن السَّبب في العدول عن تَوْلية ابراهيم هو إتّهامه باغتيال أبيه . وظلّ عبد القادر حاكماً لمدّة أيام قليلة ، ثم جاء من « بغداد » والٍ في صفر سنة ٢٧٩ هـ هو علي بن حسين جُفتم وصل في الشهر التالي لقتل محمّد بن يُعْفر كما جاء في« الجندي » وحكم « جُفتم » إلى سنة ٢٨٢ هـ ثم عاد إلى العراق فخلا الجوّ لابراهيم بن يعفر وأصبحت

---

(١) لعل الصّواب حفيده .

له السّيادة المطلقة لكنّ حكمه لم يطُل، إذ توفي «وخَلَفَهُ ابنه أسعد » وفي سنة ٢٨٨ هـ غَزَا الامام الهادي الرسي « صنعاء » وزجَّ في السّجن برؤساء بني يُعفر ولكنّهم هربوا إلى « شبام » واستردّ فيها « أسعد » نفوذه على أتباعِه ثم تمكّن من إرغام « الإمام » على ترك « صنعاء » . . وأخيراً فتح القرامطة صنعاء سنة ٢٩٩ هـ كما جاء في الجندي والخزرجي : [في الحاشية] انّ علي بن الفضل استولى على صنعاء سنة ٢٩٣ هـ ولكن لم يستقر أمره فيها [الاّ سنة ٢٩٩ هـ]ثم قال « كاي » وعند وفاة علي بن الفضل القرمطي سنة ٣٠٣ هـ بادر أسْعَد إلى توطيد سلطانه في اليمن وظل مُسيطراً عليها حتّى وفاته سنة ٣٣٢ هـ إلى أن يقول : « ويقول ابن خلدون أن أسعد قد خلفه أخٌ له يُدعى محمّد ولكن بعد وفاة أسعد لم يستطع بنو يُعفِر قطّ أن يستعيدوا شأوهم الّذي بلغوه في عهد أسعد » وقد ذكرَ ناشر الكتاب ومترجم تعليقات « كاي » الدكتور حسن سليمان محمود في الحاشية رقم ـ ٤ ـ ص ـ١٩١ . قِصّة قتل علي بن الفضل فقال : « إن سبب موت بن الفضل أن رجلاً من أهل بغداد يُقال انّه شريف وصل إلى الأمير اسعد بن أبي يعفر « نائب ابن الفضل على صنعاء » وقال للأمير : تُعاهدني وأعاهدك أني إذا قتَلتُ هذا « القرمطي » كنتُ شريكاً فيما يصل إليك « فعاهده » على ذلك ، وتمكّن هذا الشريف مِن تنفيذ خطّته «بالطريقة» التي سبقَ أن شرحها في مطلع الحاشية وذكرها الجندي وهي دعواه بأنّه « طبيب » ففصدَه وسمَّهُ . . . وهرَب ولكن رجال ابن الفضل لحقوا به دون نقيل صيد « يُعرف الآن باسم نقيل سمارة) فقتلوه[1] » .

(١) هذا إذا لم يكن الأميرُ أسعد بن يُعفر شريكهُ في المؤامرة قد أمرَ من يترصّده هناك ليتخلّص من عهْده الذي أعطاه ! وهو المشاركة في « الغنيمة » !؟
المؤلف

٣ ـ مأساةُ أسرة علي بن الفضل :

إنّ ما حدث لأسرة علي بن الفضل على يد حليفِه ونائبه في صنعاء أسعد بن يُعفر « الحِوالي » من أبشع المآسي في تاريخ اليمن ـ مهما قاله المؤرّخون عن علي بن الفضل نفسه ـ إنّها لمأساة تقشعر منْها الأبدان رغم ما يروونَه عن علي ابن الفضل ـ إذ لا تزِرُ وازرة وِزْر أُخْرى ـ وقد تفنّن المؤرّخون في وصفها ؛ وغَير « نَشوان الحميري » الّذي سبق أن نقلنا كلامُه عنها ، وصَفَها باسهاب المؤرّخ الجندي في كتابه « السّلوك » ومما قالَه حَسب نقل الدكتـور حسـن سليمان في كتاب « تاريخ اليمن » ص (١٧٣) : وكان « بن الفضـل » لمَّا طابتْ له « المذيخرة » وجعلها دارِ إقامته اسْتناب على صنعاء أسعد بنَ أبي يُعفر المقدّم ذكره» ؛قال ابن جرير وكان عنوان ابن فضل إلى أسعد بن أبي يُعفر ـ حين يكتب إليه : من باسط الأرض وداحيها ، ومُزلزل الجبال ومُرسيها ؛ علي ابن فضل الى عبْدِهِ أسعد ! وكفى بهذا الـكلام دليلاً علـى كفـرهِ فنسـأل الله العصمة : هكذا قال الجندي وأنا أستبعد أن عليًّ بن الفضل مهْمـا بلـغ به الغرور أن يعمل ذلك وهو ما سَنتحدث عنه في مكانٍ آخر ـ ثم قال الجندي بعد أن ذكر قصة هلاك ابن الفضل بالسّم على يد الطّبيب وحادثة « الفصْـد » ، وموته في ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنـة ٣٠٣ هـ بعـد أن ظلّ في الحكم سبعة عشر عاماً قال : « ولمّا علم أسعد بوفاتِه فرحَ وكذلك جميعُ أهل اليمـن فرحـاً شديداً . ثم كاتبـوا أسعـد على أنـه يغزو « المذيخرة » ويستأصل شأفة « القرامطة » فأجابهم الى ذلك وتجهـزَّ بعسـكرٍ جرّار من صنعاء ونواحيها إلى أن يقول : « ثم نصبَ أسعد على المدينة المنجنيقـات فهـدم غالبَ دورها ودخلها قهْراً ثم قتل ابن علي بن فضل وجميع من ظفر به من خواصه وأهله ، ومن دخل بمذهبه وسبَى بناته وكنّ ثلاثاً ، اصطفـى أسعـد منهنّ واحدة اسمها « معاذة » وهبها لابن أخيه قحطان ؛ ! فولدت له عبد الله الآتي ذكره ، والاثنتان صارتا إلـى « رعيّين » وانقطعـتْ دولـة القرامطـة من مخلاف جعفر ، ولم تزل « المذيخرة » خَرابا إلى عصرنا » أمّا المؤرّخ الكبير

يحيى بن الحسين صاحب « غاية الأماني » فيقول بعد أن ذكر ما يشبه ما ذكره «الجندي» واشتدّ الأمر على أهلها « مُذيْخرة » وعجزوا عن المحاربة فدخلها عليهم قهراً بالسَّيف ؛ وذلك في يوم الخميس لسبْع ليالٍ بقين من رجب من السنة المذكورة(« ٣٠٤ هـ») ؛ ولما دخلها انتهب ما فيها مِن الخزائن العظيمة وأسر جميع أهلِها ، وسبى بنات « علي بن فضل » وكنّ ثلاثاً فأعطى إحداهنّ ابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وبقيّتهنَّ في اثنين من رؤساء أصحابه ، وفي شهر القعدة من هذه السنة أمر أسعد بن أبي يُعفر بضرْب عنق ولد علي بن الفضل ومن معه من الأسرى وبعث بها ـ أي بالرؤوس إلى الخليفة العبّاسي ببغداد وكانوا نيفّاً وعشرين رجلاً . ولا تنتهي مأساة أسرة « علي بن الفضل » هُنا عِنْدَ مُؤرّخنا صاحب « غاية الأماني » بل أنّه يعود فيذكر في أحداث سنة ٣٥٣ هـ أي بعد حوالي خمسين عاماً ؛ وقد طمّت اليمَن أثناءَها مِن الفتن والحروب ما قضى على الأخضر واليابس ؛ ولكن الحقد ظلّ حيّاً ثائراً في قلوب « الحِواليّين » ولذلك ؛ فحتّى ذلك الأمير عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يُعفر الّذي يُعتبرُ عليُّ بن الفضل جدّهُ لأمّه لأنّهُ ابن « مَعَاذة » الّتي سباها أسعد بن أبي يُعفر مع اختيها واصطفاها كما قال « الجندي » لابن أخيه « قحطان » وولدتْ له عبد الله هذا . . الّذي لمْ يتأثّر بعامل من عوامل الرَّحمِ والقرابة ، بل ظلَّ يُنفّذ سياسة أجدادِهِ وتَتَبّع أُسرة « علي بن الفضل » وكانَ مَنْ كان مِنهم رضيعاً قد كَبِر ! قال صاحب غاية الأماني ص ـ ٢٢٣ ـ جزء ـ ١ ـ ما يلي :

ودخلت سنة ٣٥٣ ـ هـ فيها رجع الأمير عبد الله بن « قحطان » إلى « صنعاء » فخرج منها ابن الضحّاك مُنْهزماً ولم يزل يَتتبّع القرامِطة حتّى ظفر بِولدين لعَلي بن الفضل وجماعةٍ من رؤساء القرامِطة فأمَر بقتلهمْ وبعث برؤوسِهم الى مكّة أيّام الموسم !

إنّها ولا شك مأساة ولكنّها ليْسَت بِبكْر من هذه الأسرة المشهورة بالبطش والقسْوة والفتك حتّى بذوي قُرباها ! وقد أخبرنا المستشرق « كاي » كيفَ قتَلَ ابراهيم اليُعفري أباه محمداً وعمّه ، وقَد روى القصّة مؤرّخنا ابن الحسين أيضاً .

٤ ـ كيفَ قتَلَ ابراهيمُ الحوالي أباه وعمّه ؟

قالَ صاحب غاية الأماني ص ١٦٤ -جزء -١ -ما يلي :

وفي هذه المدّة (سنة ٢٦٣ هـ) أمر يُعفر بن عبد الرحيم الحوالي بقتل ولديه محمّد وأحمد فقُتِلا بَعْدَ المغرب في صومعة شبّام«تحت كوكبان» والّذي نفّذ القَتْل حفيد يُعفر ابراهيم بن محمّد - إلى أنْ يقول : وفي هذه المدّة وصل عهد من صاعد بن مخلد وزير « المقتدر » بالله ليُعفر بن[1] إبراهيم بن محمد ابن يُعفر بولاية صنعا ومخاليفها فاعتزل ابراهيم بن محمد عن الإمارة ، وجعل عمّالاً على صنعاء وأقام في « شبام » فاجتمع اهل صنعاء على عمّال ابراهيم فقتلوهم ونهبوا دار ابراهيم بن محمد ولم يلبث أن قُتل بشبام .

٥ ـ لَطْمةُ الدُّعام . .!

قال« الشّماحي »في كتابه« اليمن الإنسان والحضارة » ص - ١١١ - ممّا **يؤيّد أن إبراهيم الحوالي - جدّ قاتل اخواله عبد الله بن قحطان هو الّذي قتل أباه وعمه ما يلي :**

كان الدُّعام كبير أرحب وسيّد همدان في عصْره ، وكانت له مكانة عند الملك محمد بن يُعفر وكان يسكن بلاد الجوف فلمّا قَتَل ابراهيم بن محمّد أباه محمداً وعمّه أحمد بن يُعفر قدم الدُّعام معزّياً وعاتبه على قتل أبيه فلَطمه إبراهيم ؛ ثم انّه ندَم واعتَذر لغير جدوى فقد ثار الدُّعام على إبراهيم واجتمعَتْ له بكيل كلّها الخ .

هكذا أورد الحكاية القاضي عبد الله الشماحي أمّا الهمداني فقد قال عن الدُّعام في الأكليل : ص ١٨٠ ج -١٠ -ما يلي : وكان مكينا حظيّاً عند محمد ابن يُعفر فلمّا قتلَهُ ابنُه ابراهيم بن محمد قدم الدُّعام إلى إبراهيم معزّياً له وزارياً عليه فيما ارتكب من أبيه وعمّه فأمر بايصاله فوجده مُنْتشياً (؟) فلما كلّمه قال وتقابلني بهذا ؟ لحقيقٌ أن تُلْطَم ثم لَطَمهُ فخرج الدُّعام ضَغِناً فلمّا صحا أبُو يُعْفر أُخبِر بما كان منه فاعتذر إليه وقرّبه فقال الدُّعام لن تَرفعَ كرامةُ اليوم هوانَ

---

(١) لعلّ العبارة : لأبي يُعفِر ابراهيم بن محمّد بن يعفر .

الأمس ، ولن تعلق قامةُ الخير« بذنابي الشرّ » ! ثم انّه ما سحَهُ حتّى خرج من عنده فلمّا صار في بلد همدان أظهر الخلاف واجتمعتْ له بكيل فكانتْ بينهما حروب كثيرة . . وفي ذلك يقول بعض أرحب .

سَلَبْنـا من « حـوال » المُلكَ قسْراً   بلَطْمـة شيخ كهْـلان « الدُّعام »

وانظر تاريخ « اليمن الثقافي » لأحمد شرف الدين ص - ٦١ - جزء - ١ - كما ان الاستاذ محمود كامل المحامي قد أوجزَ إيجازاً لطيفاً تاريخ دولة يُعفر الحواليين في كتابه « اليمن شماله وجنوبه » الذي أصدرتْهُ دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ م .

٦ - واذاً . . يا قاضي . . فهؤلاء هُمْ . . !

هؤلاء هُم « الحِـواليّو ن » الـذين يفتخِـر القاضـي محمّـد الأكوع بالانتمـاء إليهم ، وكأنّه يحسبُ أنَّ ذلك سيُعطيه حقّاً شرعيّاً في المطالبة بعرشهـم !! ناسياً - أومُتناسياً أنّنا أوّلاً مسلمون والحكم في الإسلام كما قال شوقي رحمه الله .

فالـدينُ يُسـرٌ والخِلافـة بيعةٌ   والأمـر شورى ، والحقـوق قضاءُ

وثانياً ؛ أنّنا نعيش في عصرٍ قد تلاشت فيه عَنْعنات الأنسـاب وأن قيمـة كلّ امرىءٍ ما يُحْسِنُه ، والشَّرفُ والرّفعةُ فيه لِلْعالِم المخلص والعامِل الأمين ! ؟ وثالثاً ؛ أنّ أيّ ذِي ذَوْقٍ سليم ، أو ضمير حيّ لا بُدّ أن يَسْتهجن ويَسْتغْربَ أخْلاق وسلوكَ ومعاملة « اليُعفِريّين » « الحِواليين » القُساة العُتاة ؛ وسيُلاحظ أنّهم أطْغَى وأقْسَى أُسْرةٍ - وبالطّبعِ والوراثة حَكَمتْ في تاريخِ اليمن المفْعم تاريخه بالمآسي والكوارث والآلام .

وليس هذا هو رأيي الآن ؛ بلْ قد أعربـتُ عماً يؤكّده قبـلَ أنْ اطّلـع على تخَرُّصاتِ القاضي محمد الأكوع « الحوالي » في مُقدمته لِكتاب « قصيدة الدَّامغة » الّتي نتحدَّثُ عنْها ؛ وقلتُ في كتابي قِصّةُ الأدب في اليمن وقبل عشرين عاماً ؛ وأنا أتحدَّثُ حديثاً أدبيّاً . . لا علاقَةَ لَهُ بالمفاخـرات والأنسـاب ولا بالقـاضي الأكوع ومقدّمته . . قُلْتُ حينذاك ما يلي ص-٧٣ - ٧٤ « قصّة الأدب في اليمن » الطَّبعة الأولى : مُسْتنداً الى الاكليل :

ومحمّد بن يُعفر « الحِوالي » مالَ مَيْلةً عنيفةً على « التراخم » وقتل أشرْافهـا ، وعفّر وجُوهَها ، وشرّد أهلها ، لأنَّ رجلاً منهـم قتَـل غلامَـه « طـريف » بن « ثابـت » او « التّراخم » ـ كما يقول المؤرّخـون والنسَّابـون ـ من أشراف اليمـن [التّبابعـة] ، وبِعزّتهـم وتعاظمهـم تُضرْب الأمْثال عنـد اليمنيين ، ويقـول الشّاعر :

النّاسُ « حميرُ » و « التَّراخُـم » رأسُها   وأبُـوك مُقْلتُهـا ، وأنـتَ النّاظِـرُ

ولا يزالُ « اليمانون » حتّى اليوم يقولون : فلانٌ « مُترخـم » أي مُتَعاظـم بهـيَّ المنظر ، يتعالى على النّاس .

وفي رسالةٍ كتَبها زعيم « التَّراخم » وسيّدُها عيسى أبو العبّاس إلى الأمير محمد ابن يُعفر يُعاتبُه على ما ارتكب مَعَهم ـ وهو شاردٌ في زبيد » [بجوار ابن زياد] : بسم الله الرحمن الرحيم : كِتابُ من اعترف بذَنْبِه ، واسْتلاذَ بِربِّـه وعلِـم أنْ لا ملْجأمِنهُ إلاّ إليه ، فجعله إلى النّجاةِ ذريعة ، ودونَ بادرتك دريئة ، وعَلَى أنّه قد فارقَ ما جمع ولـم يكنْ فيه عنْ أمرِ الله ما امتنَعَ ، وأصبحَ ما كان فيه بالأمس كَسرَابٍ بقيْعة ؛ يَسْكعُ إليه في دَهْناء نائية المدى ، وما ذاك بملكي ، ولكِن ما قُدّرَ نَفَذ ، وما حُتّم فلاَ مُرتجع له ؛ وقد بان الحقّ لمتّبعِه ، والباطِلُ لمرتكبِهِ ، وقد كانـت هنـاتٌ ، كُذِبَ فيهـا وصُـدق ، وزُيدَ فيهـا ونُقّصْ فاستمعـتَ فيهـا لأقاويل ، وآثرتَ فيها الأباطيل ، ولم تقِفْ عنِ الزّلل ، ولـم تجُاوز الخطأ ، ولَـمْ تقُلْ لِعاثرٍ :لَعَـا !! حتّى قتَلْتَ الحُرّ بالعبد ، واستحْلَلْتَ العظيم بالنّزرِ ؛ وقطعْت ما أمرَ اللهُ بِهِ أنْ يوصل ؛ رُويدكَ ؛ قَد بلغتَ حيث أبْلغْتَ ، وحمّلتَ مثلَما حملت ، ولكُلّ أجلٍ كِتاب ، وإذا أُترِعَ الأناءُ فاض ، ومَنْ يَرَ يوماً يُرَ بِهْ ؛ كلُّ حاصِدٌ مِمّا زَرَعَ ، وجَانٍ مِمّا اغْترس ، والسّلام » . . هذا الخطابُ الرّائـع الّذي يفيض عبرةً وحكمـةً ، ويُثـيركوامِـنَ الأسى ، لم يهُيّج في نفس الأمـير « اليُعفري [الحوالي] إلاّ شعوراً مُشوّهاً ، وعِزّة آثمة ؟! وأجابَ على هذا الكبير الّذي هان ؛ والعزيز الّذي ذلّ ، . . المعْترفِ بذَنبـه » ، الصَّادق في قولـه ، بقوله : بسم الله الرَّحمـن الـرّحيم : وذكرْتَ أنّـي لكَ ظالـم ؛ فإن يَكُ ذلِكَ كذلِكَ . . فقدْ قال الله عزّ وجلّ ، في كتابه المنزَّلْ على نَبيّه المُرسَلْ ، « وكذلِكَ

نُولِّي بعْضَ الظَّالمين بَعْضاً بِمَا كانوا يكسِبون » والسَّلام . وإنّه لدَركٌ مُظْلمٌ يَنْدرُ من يتقحّمهُ بغُروره وهواه مِن طُغاة البشر دُونَ مُبالاةٍ ولا حياء ، ولا يخاف أنْ يكون ظالماً . . وانّه ليَعْلم مِن نفسه ذلك ـ ثمّ لا يَسْتحي أن يقول بأنَّ ما يقترفه سُنّةٌ مِن سُنَنِ الله لا يَسْتطيع لها تحويلا !! ومـاتَ « أبـو العبـاس » في « زبيد » ، وقد فقد إمْرته ، وجاوَرَ قومُه فيها أكثر من عشرين عاماً كما في الاكليل للهمداني ، وإيّاه عني « ابنُ أبي الطَّلح » الشاعر بقوله :

رامَ « عيسى » ما لا يُرام فأمْسَى ثاوياً بالحصيبِ ، نائِي المزار !

اجل يا سيدي القاضي « الجِوالي » : هل أطمعُ أن تُصغي ويَعي أضْرابكَ ـ ونُذعِنُ معاً ؛ لِكلمة الحقّ ، ومَنطق التّاريخ ، ونَسْمو عنْ « المهاتـرات » و « التعصُّبات » و « الطّائفية الشوهاء ؟

هَلْ في الإمكان أنْ تَترفّع عنِ « الكراهيّة » لعليّ بن أبي طالـب ، وذريته دُونما سبَبٍ فقط لأنّه هو ؛ ولأنّهم ودونما اختيار ينتمون إليه ؟ إنّ هذا ـ والله كثيرٌ عليك وانتَ من العلماء . ! وانّني أرجو الله مخلصاً أن يُبَصّرنا جميعاً سواء السَّبيل قبل فوات الأوان .

وأخيراً ـ ورغم كل ماذكرتُ ـ من روايات وأفكارٍ وآراء . . أقول ؛ انّه ربّما قد وجد من تعمّد الكذب واتهم « الهمداني » بأنّه قد هجا « الرَّسول » ﷺ وانّه قد أبلغ الوشاية إلى « الامام الناصر » صديق « الهمدانـي » « الـزيدي » . . فتأثّر بتلك الوشاية وناقشَـه أو توعّـده بصعـدة أو أمـر أعـداءه ومنـافسيه ـ أو أصدقاءه كما قال « الأكوع » أن يسجنـوه . ! لا أستبعد ذلك فكلّ بني آدم خطّاؤ ون ؛ ولأني أذكر ؛ انّي قد قرأتُ يوماً ما في كتاب « مطْلعِ البدور » لابن أبي الرجـال أنّ « الهمدانـي » قد سجنَـهُ « النّاصـر » ثم أطلقـه فرحـل الـى « صنعاء » فزجّ به أسعد ابن أبي يُعفر في ظلمات السّجـن وبقـي فيه حتّـى مات . . ! هذا ما أذكر . . أني قد قرأته يوماً ما! وليسَ لديّ أي مصْدرٍ أستنِد إليه ، فأصحّح ذكرياتي . . ولكنْ كُلّما أسْتطيع أن أؤكّدهُ الآن . . هو ما سبق أنْ أشرتُ إليه ؛ من أن حياة « الهمداني » يَجب أنْ تُدْرَس مِن جديد دِراسةً علميّة ، وأنّ كُتُبَهُ ، المطْبوع منها والمخْطوط ،والمفقـود؛ يجبُ أن يُعنى بها

عِنايةً خاصّة وجدّية! وكما ذكرتُ آنفاً بأنَّ وأنَّ.. !والتكرارُ مُمِلٌ ومَكروه! وعلى الله قصد السَّبيل ومِنْها جائر .

ومع « الهادي الوزير » ؟

يقول القاضي الأكوع في مقدّمته ص - ٦ - « وقد عارض »الأسلمي أحدُ أولئكَ الّذين لا يرعون الجميلَ وهو ملآن من العُقَد النّفسية ألا وهو الهادي بن إبراهيم الوزير وأول قصيدته

فخارنا برَسُولِ الله يكْفينا عَنْ كُلّ فخْرٍ وأنَّ الأنْبيا فينا

أمَّا أنَّ الهادي الوزير قد عارض « الأسلمي »فنعَم ؛وقد ذكرتُ ذلك في « قصة الأدب في اليمن » ص - ١٤٢ - ١٤٣ - وقلتُ وجاء السّيد العالم الجليل الهادي الوزير المتوفي سنة ٨٢٢ هـ ١٤٢٠ م فناقضَ « الأسلمي » بقصيدةٍ عدَدِ أبياتها مائة وسبعون بيْتاً« أوَّلها فخائرُنا برسولِ اللهِ يكفينا » الخ وسمَّاها « دَامغةُ دامغةِ الدَّامغة وهيَ من النّظم العِلْميّ الّذي لا يرقى إلى نفَسِ الأسلمي وإن كانت حجَجُها الدينيّة لها قيمتها . . والدّوامغ الثّلاث مجموعة في مخطوط يمني بدارِ الكتب المصريّة تحت رقم ٧٠٩ أدب » .

ولكنْ هلْ كانَ من اللياقة او اللباقة العلميّة أن يقول الأخ القاضي الأكوع عن ذلك العالم ما قال : « لا يرعى الجميل » ؟ ملآن بالعُقَدِ الخ مع أنّه من أكابر علماء وشُعراء اليمن وقد ترجم له شيخ الإسلام العلاّمة القاضي محمّد الشّوكاني رحمه الله في البدر الطّالع جزء ٢ - ص ٣١٦ - ٣١٧ - وذكر فضله ومناقبه ،ومشايخه ، ورحلته إلى «مكّة» لِسماع الحديث ، وعدّدَ بعض مؤلفاته ثم قال : وبالجُملة فهو مِنْ أكابر عُلماء الزّيديّة ، ولهُ نظمٌ في غايةِ الحُسْن ، وبينَهُ وبين علماءِ عصره مُراسلات ومكاتبات ومُشاعرات ، واشتهر ذكره«وطارَ صيتُه» إلى أن يقول : « وقد ترجمْه « السّخاوي في الضوء اللامع » فقال : ذكره شيخُنا في أنْبائِه يعني الحافظ بن حجر فقال عني بالأذب ففاق فيه » وماتَ يوم عرفة سنة ٨٢٢ هـ الخ .

ومَعَ الامام المطهّر بن شرف الدين!!

أمّا مَالا أستطيعُ له وصْفاً ولا تِبْياناً فهو ما قاله في ص -٦٢- بعد أن قال :

هذا ما وصَلنا من المناقضات و« الدّوامغ » مُسَلْسلة على « التَّوالي » إلى آخر ما تفوّه به من عبارات . . ثم قال : غير أن مُطهّر بن علي بن يحيى الأرياني « اليَحْصُبي » لمَّحَ في مقدّمةِ قصيدتِه « المجد والألم » المجاب بها على أحمد ابن محمد الشامـي ؛ أنَّ مُطهّـر بن يحيى شرف الـدين الطّـاغية المشهـور ، والسّفاح المبير ، والمبيح ، ولَغ في إجانة الوباء مَـعَ الوالغين (هكذا) وأنشأ قصيدةً يفخر بآل البيت المطهّرين الـخ! إلى أن يقول ص ٦٣ ـ « وأوّلُ هذه القصيدة الّتي لِلطاغية عُقُق »[١]

ألاَ لا فَخْـرانٌ في البحْـر خُضْنـا فطوّعنَـا الأُولـى رَكبـوا السَّفينا

يا لله العجب ، ولضيعةِ الحسب ، مِن هذَا الطَّاغية السفَّاح ، وكُفرانه لِنعماء السَّادة الّذين آووهُ ونصرُوهُ في ساعة العُسرة وغيرها هُو وأمثاله وأنْقذُوهُ مِنْ هُوّةِ المهالِك ، وخاضوا مَعَه غمار الموتِ ضِدّ الأتْراك مراراً وتكْراراً ، حتّى إذا ما أمِنَ جِلدُه انتفخ وريده وانقلب ناعقاً ناقمـاً علـى مواليه يرْتَـعُ في لحومِهـم ، ويَنهشُ في كرامتهم ويرميهم بكلّ غضبه ، وبالكُفرانِ والنّفاق ؛ فأيّهما بربّك أكفرَ للنّعم ، وأعظم نكراناً لِلْجميل ؟ ألا لَعَنَ الرَّحمنُ مَنْ كَفرَ النّعـم»!!

وليس هذا فقط بل إن « القاضي » « النَّاقد » وبَعْدَ أنْ كَالَ كُلَّ هذه الشَّتائم ، يُقرّر أنّ القصيدة الّتي أورد منهابيتـاً . !وزعم أنّ الشاعر الأديب مُطهّر الأرياني قد قال أنها للملكِ المطهّر بن الإمام شرف الدين ـ وهُمْ أُسرةٌ مشْهورة بالشعر مثل أُسرة « الأرياني » نعمْ لقد قال القاضي « الأكوع » واعتقـد أن القصيدة المـذكورة ليست للطّـاغية المذكور . . « فإنّـه كانَ فدمـاً معَمّمـاً ، وبليداً مَفْحماً . . ! « هكذا » ؟ والفدم : العيي عن الكلام في رخاوةٍ وقلة فهم كما في « المنجد » وهو أيضاً الأحمق الغليظ الدم . والمفحمَ العييّ أيضـاً . ! ولـو أن « القاضي » هدانا الله وإياه قد اكتفى بنفْي نِسْبةِ القصيدة عنه لما اضطرَّ إلى تلك الشتائم ؛ ولو أنّه قد قال عن « المطهر » انّه كان غشوماً جبّاراً سفّاحاً لَكانَ

(١) عُقُقْ : لفظةٌ صنعانية عامية يطلقونها على الرجل العاق العاصي لوالديه فهي من العقـوق . وإذا كان المطهر قد اختلف سياسياً مع والده الامام شرف الدين ولكنّه لم ينلْهُ بأذى ؛ فما هي اللّفظة المناسبة التي يمكن ان نصف بها الأمير ابراهيم اليُعفري الحوالي الذي قتل أباه وعمّه وعمته ؟ سؤال الى القاضي ـ المؤلف!

أيضاً معـذوراً ، فقـد ذكر ذلك عنـه غيره . . بالنّسبـة لفَتكاتِـه « بالأتـراك » والعُصاة ،وقُطّاع الطُرق وقد رَووا أنّ الامام شرف الدين والدهُ وهـو العالـم الشاعر العظيم ، قال مرّةً وقد بلغهُ ما صنعَ إبنُه المطهر بالّذين أحرقوا « باب صنعاء » اللّهم اني أبرؤ اليك مِمّا صنـعَ المطهّـر ؟ أمّـا أنْ يقـول عن ذلك العملاق أنه كان فدْما بليداً فذلك ما لا يُقرّه ذوق ولا عقلٌ ، ولا تاريخ . ! وقد قالوا عنه انه كان مستظْهِراً للقرآن مُحبّاً للشعر والشعراء ، وأنّ أحد أصحابه حين عرف أن أخـاه شمس الـدين يريد أنْ يلقـي عليه القبْض ، وهــو في « المسجد » يستَمع خُطْبة « الجُمعة » بعثَ إليه بورقة لَيْسَ فيها إلاّ : « إنَّ » فقط ؟ فعرف المطهَّر بحدسِهِ ، وحِدَّةِ ذكائِهِ أن صديقه يريد تحذيره وأنّه قصَد الآية « إنّ الملأَ يأْتمرون بِك فاخْرج » فدبّر تخلّصه في قصّةٍ مشهورة . . ومثل هذا الرّجل لا يجُوز أن يُوصَف بالفدامةوالبلادة . . !وهذا شيخ الإسلام العلاّمة « الشوكاني » يقول عنه في « البدر الطالع » الجزء الثاني - ص ٣٠٩ ما نصّه : « الأمير الكبير ملكِ اليمن وابن أئِمّتها المشهور بالشّجاعة والحزْمِ والسّياسة والكَياسة والرئاسة ، وكانَ من أعظم الأُمراء مع والدِه الإمام،وكانَ قد حلّـتْ هيبتُـه قلـوب أهـلِ اليمـن قاطبـة ، وقلـوبَ من يردُ إليهـا من الأتـراك والجراكسة » ، ثم قال بعد أن ذكر ما دار بينهُ وبينَ والدهُ وأخيه من خلاف في الرأي،وأشار إلى معاركه مع « سنـان باشـا » ما يلـي : وبالجملـةِ فصاحِـب التّرجمة من أكابر الملوك ، وأعاظم السّلاطين بالديار اليمنيّة ، وله ما جريات في الشجاعة ، وحُسْن السّياسة وجودَةِ الرأي ، وسَفْكِ الدماء ما لم يتفّـق إلاّ للنّادرِ من الملوك الأكابر وتوفّي سنة ٩٨٠ هـ - ١٥٧٣ م .

فقل لي بربّك هل يجوزأن يقول من لديه ذرة من إدراك عن مثل ذلِكَ الباقعة الشجاع القائد المحنّك ، الذي أدْهش ببطولتِهِ وخططِـه العسـكريّة « سنـان باشا » وفطاحل قوّاد الأتراك الّـذين كانَـتْ سنابِـكُ وحوافِـرُ خيولهـم تدوس حينذاك « أوروبّا » ؟ : انّه كانَ . . «فدماً معمّمـاً بليداً مفحماً » إنهـا واللهِ لكبيرة . . ومن مثل القاضي « المعمّم » أيضاً ولكنّهُ العالم البحّاثة ، والحقّ يقال..! اويستطيع المهتم بتاريخ اليمن -وبالأدب والشعرخُصُوصاً- أن يميّز بين

طريقةِ البحث والدراسة ، ووضع الألفاظ والصّفات في مواضعها ، وبين تشاعيب التخرُّص ، والتّحامل والدَّعاوى الفارغة ، مِن أيّ مدلولٍ أدبي ويقارن بينها ومّا نقلناهُ عنْ شيخ الإسلام الشّوكاني ، وما تفوه به الأخ الفاضل القاضي محمد الأكوع ، عن الملك الجبَّار المطْهّر بن شرف الدين ؛ وما قاله عنه الدكتور عبد العزيز المقالح .. فالقاضي العالم لابسُ « الجُوخ » و « العمامة » كما كان « المطهَّر » والله أعلم . أو كما كان الملوك « الحِواليّون » الجبابرة السفّاحون الذين قتلوا حتّى آباءهم وأولادهم . وأعمامهم ، وأخوالهم ، كما قال المؤرخون كلّ المؤرخين ـ والله أعلم ـ! هذا القاضي محمد الأكوع الذي كان يوماً ما حاكماًشرعيّاً، ويوماً ما خرَّاصاً ، وأياماً مكافحاً ومسجوناـ ايّام الإمام احمد والإمام « يحيى حميد الدين » والذي لا يكاد يفوته حضور أيّ « مؤتمرٍ إسلامي » حتى ولو كان في الصّين والذي يلوم من يسْكنون في « دار الكُفر » ولو كانوا أمثال « جمال الدين الأفغاني » و « محمد عبدة » .

هذاالأُستاذُالقاضيمحمدالأكوع يقول عن الإمام « المطهّر ابن شرف الدين » أنّه « فدْمٌ مُعَمّم بليد » بينما قال عنه الإمام المؤرخ « الشّوكاني » ما نقلناه ، واصْغِ مَعي إلى ما يقولُه الشاعر المعاصر الأديب الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح ، عن الملك « المطهّر بن شرف الدين » في كتابه القيم « شعر العامية في اليمن » بعد أنْ تحدث عن شاعر الحُب والجمال مُحمّد بن عبد الله شرف الدين وعَنِ « الهَوى » و « الدُّونْجوانيّة » و « والتّجربة»! وقِصّة الشّاعر في قصيدته المشهورة « صَادَتْ فُؤادي بالعُيونِ المِلاَحْ » وأنها كانَتْ في الشَّريفة « حُورية » زوجة « عمّه » المطهّر الملك الجبار ؛ وعنْ « إقتراح » منه على ابن أخيه الشَّاعر الغزل يقول الدكتور المقالح : « إنّه إمامُ غَزلٍ ، غير مُتَزمّت ذلك الّذي يطلُبُ إلى الشاعر أن ينْظم قصيدةً غزليّة في زوجته » الخ

هكذا يا قاضي محمد يَضعَ المؤرّخون والنقّاد ألفاظهم في مواضعها مهما كانت أهواؤهم أو ميولهم دونماتهريج .

وهل تذكر الكلمة الّتي تُروى أو تُسْنَدْ إلى الإمام عليّ كرم الله وجهه حين سأله

سائل : من أشعر شعراء العرب ؟ فقال : انّ القوم لم يجروا في حلبة واحدة!
ولكن . . إن كان ولا بدّ « فالملك الضّليل » . . أوكما قال وحين سأله مُتَعنّت
ما هُو نصف العِلم ؟- وكان يخطب- فقال : « السّؤال » . فأمعنَ المتعنّت
وقال : وما هُو النّصف الثاني ؟ فقالَ « الامام » أن تقول لا أدري!! أو كما
قال : واستمر في خُطبته . !

وأخيراً . . دامغة الدّوامغ . .

وانْ كان حقّ الدفاع عن النَّفس مشروعاً . . فلَن أحاول مُجاراة الأخ العلامة
القاضي محمد الأكوع سامحه الله فاكيل له الشتائم صاعاً بصاع . ! لا لأني قد
أصْغيتُ لصوت الشّاعر القديم « لوكلّ . . الخ » بلْ سأقول ، وبعد أن أُورد
« نصَّ » شتائمه التى تفوّه بها عليّ : « غفر الله لَه » . . وإذا كان لن يُحاسَبَ إلاّ
على ما قاله في « الشّامي » و« دامغة الدَّوامغْ » فسامحهُ الله .

حسبي انّني قد دافعتُ عن اللّغة ، والتّاريخ وعن العلماء والشعراء ، وبيّنتُ
تحاملَ وتَفاهات القاضي الأكوع فيما سبق من الصَّفحات ، وأوضحتُ تجنّيه
العند العتيد على « أهل البيت » لأنّهم من أبناء الصّديقة فاطمة الزّهراء ، وأخِ
الرّسول . . « الإمام عليّ » وسيّدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وهم
بإجماع الأمة ـ مَعَ الرّسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلّم « الخمسة أهل
الكساء » الّذين قال فيهم الإمام الشافعي :

يا أهلَ بيتِ رسولِ الله حُبّكُمُ — فرضٌ على النّاس في القرآن أنزلَهُ
يكْفيكُمُ مِن عظيم الفضْل أنّكُم — مَنْ لم يُصلِّ عليكم ؛ لا صلاةَ لَهُ

قال القاضي الأكوع سامحه الله بعدَ تمهيدٍ لا طائل تحته : ص ٦٥ - ٦٦ :
« إذْ بِأحمد بن محمد الشامي ؛ وقد استولى عليه اليأسُ والقُنوطُ هُو وأسيادُهُ
شرقيّون وغربيّون يُرسل سهماً صارداً مِن حماقته وحِقْده مِن وراء الحدود ،
وهو مطرود مشرّد ليزيد النّار اشتعالاً ، والفِتنة إلتهاباً متجاهلاً قول رسول الله
ﷺ « الفِتنة نائمة لعنَ الله من أيقظها » ليُعيدَها جذعة ويجرب بها عضلاته
(هكذا)
وفي شهر رمضان المكرم سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ أفْرزَ لُعابَهُ ؛ وسلّ سخيمته

بقصيدتِه الّتي سمّاها « دامغة الدّوامغ » وإنما دمَغ بها نفسه ، ومن احتطب الأشواك في جبلهم ؛ وأُذيعت من محطّة الاذاعة السّعودية (لم يحدث ذلك) ثم نشرها وأولها :

أتمضي في طريق الأوّلينا فتمدح تارةً وتذم حينا ؟

ومن العجب أنّه وقع في مزلق حرج بمارمَى به النّاس فقد مدح الإمام « أحمد » وذمّه وتآمر عليه ثم مدحه كمثل الذين آمنوا ثم كفروا الخ ، وبايع الانجليز ، وأمريكا وأين يعيش اليوم إنّه يعيش في « دار الكفر » ؟

وقدتصدّى للردّعليه ـ وبالحريّصفعه ـ مطهّر بن علي بن يحيى الإرياني اليَحْصُبي بقصيدته المشهورة «المجد والألم» وعددها ثلاث مائة بيت وبضع عشر بيتاً وأُذيعت من محطّة إذاعة الجمهوريّة العربيّة اليمنية عِدة مرّات وطُبعتْ ونُشِرتْ مرّاتٍ كثيرة وملأت السّهل والجبل ، وحفظها عن ظهر قلب البدو والحضر والنّساء والأطفال وأوّلها :

أيا وطني جعلتُ هواك دينا وعِشتُ على شعائره أمينا

على أنّه لا حاجة بنا إلى مناقشة القصيدتين والمقارنة بينهما فالكتابُ يُعْرف من عنوانه ، فالشّامي كما هي عادتهم وسلاحهم وفي طباعِهم السّبابُ والشتائِم للشّعب اليمني الّذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف قديماً وحديثاً ومُطهّر الأرياني كما هو سيرة سلفنا[1] الصّالح صَونُ اللّسان ونظافة الكلام وطهارة القلب ، والبعْد عن البذاءة والفحش ؛ فهو قد مجّد اليمن وأبطاله وعدّد مآثره ومفاخره إلى أن يقول ص ـ ٦٧ ـ وإلى هنا انتهت جولتُنا حَول العصبيّة واشتقاقها وتشعبّها وتسلْسلها ومراحلها تاريخياً ؛ وانتهائها كما بدأت من « العلويين » الّذينَ لا يمكن تسْميتهم بما أخبر القرآن عنهم « إنما المؤمنون إخوة » بل نُسَمّيهم دعاة تفْرقة [حَسبك الله] وبأسم الأنانية والعُقد النّفسية ، وحسابهم على الله لعدم عرفانهم بجميل الانسان اليمني الّذي يكرم الغريب

(١) لا أدري ما اسمّي ضمير الجمع في « سلفنا » لأنه يتحدّث عن مطهر الأرياني الشاعر وسلفه آل الأرياني الاعلام الشعراء فما دخل « نا » هنا ؟ انها تشبه قصّة الأرنب مع الثعلب التي رواها مصطفى الرافعي في تحت راية القرآن : ما أفره حمارك ؟ ثم « حمارنا » يُراجع القصّة من لا يعلمها ـ المؤلف .

كما يكرم القريب ولا حتّى « بالأمّ » اليمن الّذين يعيشون على ظهرها ويأكلون من خيراتها وتنبتُ جلودُهم مِن ترابها وزرعها وضرعها»!

هذا ما قاله الأستاذ المحقق القاضي محمد الأكوع سامحه الله ولو كلّفتُ نفسي مجاراته لأرضيتها ، وأرضيتُ مُعظم أهل اليمن لكني سأصغي لصوت الشاعر القديم اولاً . ! بل وأقول عفى الله عنه ـ بالنّسبة لي شخصيّاً ـ وثانياً فانّ جريدة « الثّورة » ما كادت تنشر سلسلة مقالاتي حول « جناية الأكوع على ذخائر الهمداني » حتّى توالتْ إليّ الرسائل من « صنعاء » و« دمشق » والكويت وجدة » ؛ بعضها يشجّع ويسْتنفرْ ويُحرض ويستزيد ؛ وبعضها يوصي بالحكمة والمضيّ في تفنيد الأغلاط دون أن أسمحَ لقلمي بما يمارسه أحياناً من سخريّة ! وآخرون يقولون أنّ كلامَهُ لا يسْتحق الإهتمام . . إذ ليس له قيمة لا في اليمن ولا غيرها شأن كلّ كُتبه ؛ وأن كِتابتي عنه ستكونُ تنْويهاً . ! وقد تأثرت ببعضِ هذه الرسائل ؛ « ولا سيما » الواردة من الأخ العلاّمة القاضي عبد الرحمن الإرياني « رئيس المجلس الجمهوري سابقاً » والأخ الأديب الشاعر أحمد المعلمي ، والأخ المجاهد العلاّمة ابراهيم بن علي الوزير والقاضي الأديب حسين بن عبد الله العمري . وقد ذكرني الأخ القاضي عبد الرحمن الإرياني بالحديث الشريف « من اتّقى اللهَ لم يُشْفِ غيظه » فأثلجَ صدري ؛ وقال أنّه قد عاتب القاضي « الأكوع » على ما صدرَ منه وانَّه نفسه قد ندم ودَار بيني وبينُه نِقاش أدبيّ حول الموضوع . ! وعليهِ فقد أخرّت إرسال بقيّة المقالات الى جريدة « الثورة » بل ومزّقتُ كلّما كان القلم قد نفَثَ به غيْظاً وحنْقاً ودفاعاً ، وعدّلتُ بعضَ العبارات والألفاظ الّتي ـ على كل حالٍ ـ كانَتْ ألطَف وأرقّ مِنْ عبارات وألفاظ الأخ القاضي « الفاضل » الّتي تفيضُ كلُّها شتماً ، وقذفاً ، وتحاملاً ، على الكثير من علماء وشعراء اليمن ، وعلى مَنْ يَنْتسبون إلى الامام علي كرّم الله وجهه كما أوضَحنا في الفصول السَّابقة ؛ ولم أبق إلا على ما فيه الدّفاع عن اللّغة والتّاريخ وأعراضِ وسمعةِ من تعدى عليهم وثلبَهُمْ من فضلاء اليمن . وحسبي ذلك . . ولعلّ أولئك الأبرار سيكتفون بهذا جزاءاً ويغمرون « القاضي » بالعَفو حين يُجاثونه يوم

الحساب . . !!! غير أني ـ وقد عفوتُ عنْهُ ـ أودّ أن أسألهُ سؤالين أو ثلاثـة وبكلّ رفقٍ ولين ؛

أوّلاً : من هُمْ الذين شتموا اليمن واليمنّيين من أسلافـي ؟ هَلْ والـدي « عامل الضالع » محمد بن محمد الشامي ؟ رحمه الله . أم أبـوه « جـدّي » محمّد بن أحمد الشامي عامل شهارة والذي كان من قوّاد حرْب التحـرير ؛ ورغم تولّيه أكبر المناصب فقد عاشَ زاهداً وماتَ لا يملك شيئاً . . ! ؟

أم جدّه الشّاعر المشهور « محمّـد بن هاشـم الشّامـي » الـذي قال فيه العلامة المؤرخ السيد محمد « زبارة » في « نشر العرف » وقبْله شيخ الإسلام القاضي محمد الشوكانـي في « البـدر الطالـع » ما قالاه من تمجيد وتـكريم وثناء ؟

أمْ أنّ الّذي ثلب اليمن و « اليمنيّين » هو أبوه جدّي السَّابع السيد العلاّمة المجتهـد ، والشاعـر الـكبير « هاشـم بن يحيى الشامـي » صاحب« نجـوم الانظار » ولطائف الأشعار واستـاذ البـدر المنير السيّد محمـد بن اسمـاعيل الأمير ؟ .

أم جدّه الإمام المحسن بن محفوظ أكبر علماء عصره في القرْن السَّابع الهجري كما يقول المؤرخون ؟ . .

أم هو « المختار » بن الهادي ؟ أم هُو « الهادي » أمْ « الحسن المثنّى » ؟ أمْ « الحسن » السّبط ! أمْ أبوهُ « الامام علي ابن أبي طالب » كرَّم الله وجْهه ؟ والّذي يُقال أنه قال :

ولـو كنـتُ بوّابـاً علـى بابِ جنّةٍ لقُلْـتُ لِهمـدان ادْخُلـوا بِسَـلام . !

هؤلاء هُمْ أسلافـي . . يَا سيّدي القاضـي ! ولـو شئـت لقُلـتُ ما قال « الفَرزْدق » « لجرير » . . ! ولكن لا . . . وكلاّ . . . لأني أُومِن بما أكدتُه في قصيدتـي « دامغـة الدَّوامـغ » من أن التفاخـر بالآبـاء : « الحِوالــي » ، أو « الحْميَري » ، أو « الهاشمي » أو « اليحْصبي » ليس له قيمة عنـد الله . ولا عند البشر . . وذلك حين قلت :

أتمضي ؟ أمْ سبيلك مُسْتقلٌ ... لحَبْتَ طريقه لِلْمنصفينا !
سبيل محمّد ، وهُدى « عليّ » ... و« عترته » ونهج الرّاشدينا
فلا مجدٌ لمقْترفٍ فسُوقاً ... ولا مَنْ كان فظّاً ، أو خئونا
ولا للظّالمين ، وان أشادوا ... قُصوراً ، أو سُدوداً ، أو فنونا !
أبُو لهبٍ ، و « عبهلة » و « عمروٌ » ... و « صاحبه » خِسَّاسٌ مجرمونا
و « سلمانٌ » و « عمارٌ » و « زيدٌ » ؛ ... كِرامٌ في الأنام مُسوّدونا
خذوها شِرعةً لِلْخلقِ ؛ نادى ... بها « موسى » وكلُّ « المرسلينا »
يموتُ لأجلها الأحرار دوماً ، ... ويعْرفها جميعُ المخلصينا :
« حسينٌ » لَيْسَ أكرمَ من « يزيدٍ » ... إذا لَمْ نعتبر خُلُقاً ودينا . !
هي التّقوى ؛ يعزّ بها ذووها ، ... ويخسأ من يجانفُها لعينا !

ألَمْ تقرأ هذا يا قاضي محمد في « دامغة الدّوامغ » التي تهجّمت عليها ، وعلى صاحبها بما ذكرناه آنفاً ؟

هَل في هذا البيان ما يخالفُ ما أوْصانا به القرآن ؟ والسُّؤال الثاني - إن كنتَ قد قرأت قصيدتي « دامغة الدّوامغ » فما هي الأبيات التي شتمتُ بها وطني العزيز اليمن ؟؟

انني لا أريد أن أجاريك في البذاءة فأقول وأقول . . لأنّني قد عفوتُ عنك ! ولكني أسألك هل تعتبر قولي : في القصيدة مدحاً لليمن وقبائلها أم قدحاً ؟

جحافل آل « عُثمان » أبادوا ... و« للأقباط » قدْ ثبتوا سنينا
وها همْ في الجبال وفي البراري ... جهاداً . . يسْتطيبون المنونا !
وحولهُمْ البواسل من « بكيل » ... وأنصارُ الدُّعاةِ المخلصينا
ومن في الخير ، لا يخشون شرّاً ! ... وفي اللأواء لايتأخّرونا !
« يعينون الموالدَ والمنايا » ... ويبْنون الحياةَ ويهدمونا ؛
ولو وجدوا إلى نجم سِراطاً ... لطاروا نحوه مُسْتبْسلينا
وتلك سجيّةُ الآباءِ منهمْ ... وقد ظلّوا لها مُتوارثينا
إذا ديس العرينُ مضوا غضاباً ... ليصْطلموا الّذي داسَ العرينا

إذا قالوا : « بكيل » حَنتْ رؤسٌ وَخَرّ لها الجبابرُ ساجدينا
بنفسي ، والأب الغالي ، ونجلي ، ومالي ، أفتدي « المتبكلينا » !

هل في هذا شيءٌ من « الحماقة والحقد » و « إفراز اللّعاب » و « السّباب والشتائم للشّعب اليمني » حَسَب تعابيرك ؟ أم هو الثناءُ والتمجيدُ والاحترام ، وفي فترةٍ من أصعب فترات تاريخ العرب !! وهل كنتُ حينَ قلتُ في نفس القصيدة :

« بكيلٌ » والأشاوسُ من بنيها ، و « حاشدُ » بالرّجالِ المخلصينا
و « مذحج » بالحشود إذا استُثيرت و « عكٌّ » بالجنودِ مُدججينا
لكُم من أرضكم حصن حصين إذا كنتم جميعاً . . . صادقينا
فكونوا إخوةً في الله حقّاً ولا تقفوا طريق المُلْحِدينا. الخ

هل كنتُ أمدح قومي جميعاً وأنصحُهُمْ أمْ ماذا ؟؟ولست في حاجةٍ إلى تذكير « القاضي » بما قلتُه في دواويني المتعدّدة من قصائِد في تمجيد اليمن وتاريخها ، و « صنعاء » وخصائِصها والحنين اليها ، وحبّي لها وترابها ، وأبنائها . . وكلّ ذلك مبْثوثٌ في دَواويني المتعدّدة ومِن آخر ما قلته في ديوان « بنات الخمسين » ونشرته جريدة « الثورة » ومجلة « الشعر » المصرية ، و « الإخاء » الايرانية ، قصيدتي « حداءٌ بلا قافلة » وقد نشرتها أيضاً الصحف السعودية ، وفيها :

مَنْ رسولي إلى سفوح « أزالٍ » حيثُ أُنْسي وحيثُ أصْحابُ أُنْسي
حيْثُما افترّ ثغرُ حبي فتيّاً وشبابي نما ، وأخْصبَ حسّي
حيث كانتْ عرائسُ الشّعر تروي لغرامي أشواق «ليلى» و «قيس»
عطّرتْ « بالرّقى » ترانيم روحي فَسَرَتْ كالعبيرِ في ليل عرسٍ
تمْسحُ « الدّمع » من جفون العذارى، وتُداري آلامهن وتُنْسي

إلى أن أقول مُغرقاً ومُبالغاً . . مادحاً لا قادحاً :

قِفْ على قمّة الزّمان « بصُرواح » وسجّل ميلاد أوّلَ انسي !
قبلَ أن تعْطِس الحياةُ على «النّسلِ» وتحبو على جبال « البرنس »
أرضنا للفنون مَهْدٌ ؛ عليها شعشَعتْ لِلْجمال أوّلُ شمسٍ
رقَصَتْ في « غمدان » بكراً وغنّتْ، ثيباً في قصور «كسرى» و « رمس »

وطني أنْتَ في الغياهب نبراسي ... وفي وحْشة المفاوز أنسي،
أنْتَ إن أجدَبَتْ حياتي رحيقي ... ونشيدي، وأنتَ دَنّي ، وكأسي
في ثراك الطّهور قد زرَعَ الشعرُ ... حياتي وأنبت الحُبُّ غرسي
يا بلادي ؛ وقيت من كل شرٍّ؛ ... وعدتك الخطوبُ من كل جنس

إلى آخرها. . ومن آخر ما قلته وأنا أبكي « أمي » رحِمها الله في قصيدة « نونيّة » على وزْن ورويّ قصائد « الأسْلمي » و« الوزير » والشّعراء الّذين تحدث عنهم « القاضي » الأكوع في مقدّمته وأولاها :

قِفوا على القبر نذْري مِنْ مآقينا ... لآلىء الدَّمع إكراماً لماضينا

قلتُ في اليمن وشعرائها في هذِه النّونيّة :

يا شاري البرقِ من غربي«أزال»وقدْ ... سَجا الظّلام حناناً بالمحبّينا ؛
إذا تَنَسَّمتَ سرّاً بَعْدَ ما هَجعُوا ... فلا تُذِعْهُ على غير «المواليـنا»!
لم نَبْتعِدْ عنْ قِلى ؛ لكنْ مُراغمةً! ... والله يعلمُ يوم « البين » ماشينا!
تِلكَ الأباطيل والأسمار ما فتِئتْ ... تفْشي أريج الأماني في نوادينا
وما انْتشى هائمٌ مِنّا بِلحْنِ هوىً ... إلاّ إذا كانَ من شعر «اليمانينا»
ونحنُ قومٌ إذا غنّى مُتيّمُهُمْ ... بالشّعر جوّدَهُ لفظاً وتلْحينا . !
في سفْح « دمّون» غنّى ذُو القروح على ... لحْن الجراح . . بأبناء المُصابينا
وقال بين غبا يومي وصحو غدي ... خمرٌ وأمرٌ ، فصَاح الثارُ آمينا
وناحَ « وضّاحُ » مُشْتاقاً لروضته، ... لمّا ثوى في دجى«الصندوق»مدْفونا!
ما كان آخر لحنٍ في حشاشته ... ترى ؟ أم الموتُ يأتي ليْسَ مَوزُونا!
لا «سين» لا «قاف» لا «ميمات نعرفها ... إذا دهانا ولا «رآءاً» ولا «نونا»
و«الغالبي»وبن«عباد» و«عمرو»ومن ... مَعَ الزّبيري» بكى هيمان مجنونا!
وسلْ إذا شئت «عنسا»أو فسل«عدنا» ... وسلْ «ذمارَ» وسلْ «صنعا» و«دمّونا»
وسَلّ «شهارة» أو «إريان» أو «شرفاً» ... أو سفح «حضران» أو فاسأل «بَرَدُّونا»
وسَلْ وسل ؛ لا تسَلْ في كلّ مُنْعطفٍ ... من أرضِنا شاعرٌ يشدو فيشجينا
لَولا القوافي لما كانت لنا « يَمن » ... من دون كلّ بلادِ الله تُصبينا !
وما انْتشى هائم منّا بلَحْن هوًى ... إلاّ إذا كان مِن شعر « اليمانينا »

لو كانَ لِلدَّمع نهـرٌ كان « خاردنا »   أو كانَ للشّعـر وادٍ كانَ وادينا

فهَلْ هذا شعر من طبيعته كما هيَ عادةُ أسْلافِه السّباب والشتائم للشّعب اليمني » .؟؟ كما قلتُ « يا قاضي » ؟! أم هيَ العاطفة الثرّة ، والحُبّ الخالص ، والشّوق والحنين ؟. ولو شئتُ لقلتُ ، وقلتُ . . ولعلّ في البيت : « لم نَبْتعِدْ عن قِلا » الخ خير جواب على قولك - أيّها المسلم الكبير ! أنني أعيش في « دار الكفر » ، وتعْييركَ لي « بالتشرد » سيُضْحكُ العلماء . . إذْ لم أكنْ الأوّلُ ، ولنْ أكونَ الأخير ، ولقد تشرّد « إبراهيم » و « موسى » و « محمد » عليهم الصّلاة والسلام ، وهاجر « جعفر » الطيّار واصحابُ الرسول إلى « الحَبشة » ولو شئت لذكرتُ جمال الدين ومحمّد عبده وفلاناً وفُلاناً ولكن قد يكون في ذلك شيء من « السّياسة » الّتي نفضت يدي عنها راضياً مُرْتاحاً . . ولسانُ الحال ينشد قول « الخطيب » :

من مُبلغُ القوم شطَّتْ دارهم ونأت   أني رجَعتُ الى كتبي وأوراقي
عفتُ « السّياسة » حتّى ما ألم بها ،   وقد ردَدتُ عليْها كلَّ ميثاقِ
لأنّها جشّمتني كلَّ نائبةٍ ،   وانها كلّفتْني غيرَ أخْلاقي !

تعقيب حول سجن الهمداني

كانَ كلّما بيّضتُه في الصَّفحات السّابقة عن الهمداني وسجنه ، وتشيّعه ، وتزييف ما قيل مِن أنّ النّاصر بن الهادي هو الذي سجنه أو أمر بسجنه لأنّه هجا الرسول ﷺ ، والتّهم الّتي ابتدعها خصومُهُ عن ضعْف عقيدته . . مستوحىً مِن نصوص الدّامغة مَتْناً وشرحاً ، ومقدمة القاضي محمد الأكوع وتعليقاته المتناقضة ، ومن مقدّمة الأستاذ حَمَد الجاسر لِكِتاب « صفة جزيرة العرب » ؛ وما لمستهُ من عدم اطمئنانه العلميّ إلى كل ما قيل ، ثم ما كان عالقاً بالذاكرة من قراءات وتصوّرات سابقة .

وكنتُ أعرف أن هناك في أجزاء الاكليل الّتي سبق لي الاطلاع عليها - ونقلتُ عنها في كتابي « قصّة الأدب في اليمن » - مخطوطةً ، أو مطبوعة ، مثل « الأوّل » و « الثاني » و « الثامن » و « العاشر » ما قد يثير جدالاً حول ما كتبتهُ

عنْ اقتناع اطمأنّتْ اليه نفسي من أن الهمداني كان « مُحبّاً » . . . لأهل البيت متشيّعاً لهم ؛ وإن كان مُتعصّباً لقحطان ضدّ « عدنان » و « قريش » الّتي هي « قبيلةُ » « أهل البيت » لأنّه كما أوضحت كان مثل غيره من المسلمين الّذين يحبّون « أهل البيت » ليس لأنهم من « عدنان » أو من « قريش » بلْ لشعورٍ ديني محض ، وأمر إلهيّ يخضعُ له الحنيف الخاشع ؛ ولا علاقة له بنسب ، ولا حَسَب ، ولا عرقٍ ولا دم طبقاً لقوله تعالى : (إنما يريدُ الله لِيُذهِبَ عنكم الرّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهّركم تطْهيراً) وقد أجمعت أمهات كُتب السّنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية « التّطهير » النبيّ ﷺ ، وعليّ ، وفاطمة والحسن والحسين لأنّهم الذين فسَّر بهم رسول الله ﷺ المراد بأهلِ البيت في الآية ؛ وكلّ قولٍ يخالِف قول رسول الله ﷺ من بعيد أو قريب مضروبٌ به عرض الحائط ، وتفسير الرَّسول أولى من كل تفسير إذ لا أحد أعرف مِنه بمراد ربّه ؛ وقد نقل معظم الأحاديث الدّالة على ذلك الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره[1].

ورغم كلّ ما أوردتُه من براهين على تشيّع الهمداني وأن آل أسعد اليُعفري الحوالي هم الذين سجنوه وعذبوه فقد ظل الوسْواسُ يحومُ و « يُطنْطِن » ؛ فاتّصلتُ بالقاضي البحاثة الأديب حسين بن عبد الله العمري ، وطلبتُ منه إسعافي بالجزء الأوّل من الإكليل استعارة عن مكتبة « جامعة كمبرج » حيث يكمل فيها دراسته العالية فلبّى رغبتي مشكوراً وارسل الجزء الأول من الاكليل تحقيق وتعليق « صاحبنا » القاضي الفاضل محمد الأكوع الّذي طُبع في القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٣ م ؛ وبدأت من جديد ألفُ وأدور مع التحريفات والتخريفات والهفوات التي تحتاج الى تأليف كتاب مستقل ! وأكدَتْ لي أن القاضي محمد الأكوع سامحه الله قد جنى على ذخائر الهمداني ! وكلّ ما سبق أن قلته عن حواشي وتعاليق و « نظريات » القاضي تَنْطبقُ على مقدّمة وهوامش هذا الجزء الذي أخرجه « الأكوع » بينما كان

(١) ونقلَ ذلكَ وفسَّرهُ وتبحَّر ما شاء له علمه الجمّ ومنطقه المبين العلامة الكبير والشاعر المفلق الحبيب حامد المحضار في كتابه « أهل البيت أولاً » الجزء الأوّل ـ تحت الطبع ـ المؤلف .

المرحوم الأخ العلاّمة السيد علي المؤيد رحمه الله قد عني به وأخيه الجزء الثاني وأعدّهُ للطّبع إعداداً حسناً . ! وضبطتُ أعْصابي وقلت لنَفْسي دعْ ما للْقاضي لنفْسه والحساب عند ربّ العباد ، وخذ ما تريد وهو ما يتَعلّق بسجن الهمداني ولا سيما من أقواله نفسه .

وقد استفدْتُ من مطالعتي لهذا السّفر من جديد ؛ وبمقدمة القاضي الأكوع وهي في ـ ٦٢ ـ صفحة ! وحواشيه وتعليقاته وهي ثلاثة أرباع الكتاب وسجّلتُ مُلاحظات أهّمها ما يلي ـ قبل الدخول في موضوع سجن الهمداني وعلاقة « السّلطان » الحِوالي وزبانيته القساة به :

١ ـ هذا الجزء الأول ليس هو الأصل وإنّما هو مختصر ألّفه الأديب محمد ابن نشوان الحميري مُجيباً به على من سأله أن يوضح شيئاً من أنساب حمير وقد استهل الكتاب بعد « الحمدلة » بـ « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري » الخ وقد قال « الأكوع » في مقدمته ص ـ ٢١ ـ وقد التزم محمد بن نشوان الدقّة والأمانة وقال « تبيّن لي أنّه الجزء الأوّل من الاكليل » مع حذف يسير من كلماته اللغويّة ، أو شيء ليسَ بذي بال لا يخلّ بجوهر « الكتاب » !! وإذاً ومع هذا « الحذف اليسير من الكلمات اللغوية » فلا يمكن في نظري الرّكون إلى أن كلّ ما فيه من تعابير وألفاظ هي تعابير وألفاظ « الهمداني » ؛ وبناءاً عليْهِ فما ذكرته سابقاً من أنّ عبَثاً كبيراً قد حصل فيما نُقل إلينا من شعر وكتب الهمداني كانَ حدساً صادقاً ؛ وذلك أيضاً هو ما جعل الأستاذ البحّاثة المرحوم فؤاد سيّد أمين دار الكتب المصرية السابق ، والذي وضع لِلكتاب « تصديراً » يقول في ص ـ د ـ منه « فانّ قِلّة مخْطوطاتِه الّتي لم تتجاوز نسختين لم يكونا من الأصالة والثّقة بالقدرِ الّذي يطمأن إليه ، ويُركن عليه ، فضلاً عمّا فيهما مِنْ تصْحيف وتحْريف » .

وبعد أن حاول إيجاد عذرٍ للقاضي بالنسبة إلى « الاستفاضة » في التعليقات وما فيها من غلوّ وإسراف وأن « سيادته » لم يُغادر الجزيرةَ العربيّة طيلة حياته ، ولم يقِفْ على المناهج العلمية التي وُضعت أخيراً لِنشر المخطوطات ، ويسيرُ على هديها العلماءُ والمحقّقون قال : ص ـ هـ ـ ولي

أمَلٌ أن يسْمح الزمان باكتشاف مخطوطات أخرى لاجزاء هذا الكتاب وبخاصة الجزء الأوّل تُتيح للسّيد المحقق اعادة طبعه مرةً اخرى على ضوء هذا الاكتشاف وعلى ضوء ما اكتسبه من خبرة في المرّة الأولى . ورجاءً : أنْ ينتفع سيادته بهذِه التجربة في تحقيق الجزء الثاني !ولا شك لدي بأن الصّديق المرحوم الأستاذ فؤاد سيّد ـ وقد كانت صيلته باليمن ورجالاتها وكتبها وثيقة ، وكانَ عالماً ثقةً مُتخصّصاً في اليمنيات ـ كان قد أدرك ما في الكتاب من نقصٍ وتحريف أوّلاً ؛ ثم ضاق ذرعاً بتلك الحواشي والتراجم والتّعليقات الّتي لا طائلَ تحتها . فأراد بأمَله ورجائه ـ وهما نقدٌ هادىءٌ رصين ـ أن يُفيد القاضي محمدالأكوع ، لكي يتجنّب ذلك الفضول في تحقيقه للجزء الثاني ؛ ولستُ أدري هل أخْرج القاضي الجزء الثاني أم لا . . ولكني أكاد أجزم بأنه لم ينتفِعْ بذلك النّصح ، والنقد اللاّذع اللّطيف في وقتٍ معاً . . لأنّهُ وبعد عشر سنوات ؛ وبعد أن زار « الهند » و « الصين » وروسيا ، و « أوروبا » وكلَّ البلدان العربيّة أخرجَ وحقّق كتابَ « قصيدة الدّامغة » فكانَ أكثر اغراقاً واسرافاً وتهافتاً وتجنّياً ؛ كما رأيت في الفصول السابقة :

هذا من جهة ومن أخرى فاني لا أسْتبعدُ ان يكون العلامة محمد بن نشوان قد كان في تصرّفاته « اللّغوية » التي أشار إليها « الأكوع » غيْرَ أمين فحرّف وبدّل تحريفاتٍ « جوهريّة » ! وخاصة فيما يتعلق « بالعلويّين » في « صعدة » وحَبْس « الهمداني » وطغيان بني « يُعفر الحِواليّين » لأنّه كان على خلافٍ مع الامام عبد الله بن حمزة كما قالَ المؤرخون وقد أشار إلى ذلك القاضي محمد الأكوع في الحاشية رقم ـ١ـ ص ـ٣ـ من الاكليل جزء ـ١ـ قال : «وكان ـ أي محمد بن نشوان ـ مع اشتغاله بالدّرس والتأليف يتولّى مخلاف خولان «صعدة» ولما قام وادّعا الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣ ـ اقرّهُ على عمله » ثم ذكر اختلافهما وان الامام أمَرَ بقتله وان « محمد بن نشوان » دعا النّاس بما فيهم خولان المذكورة بشق عصا طاعة الامام إلى آخر ما قاله ص ـ ٤ ـ وإذاً فلا يُسْتبعَد أن الرَّجل قد غلبه الهوى فدسّ دساً لُغويّاً فيما جرى لِلْهمداني في « صعدة » وذلك هو ما كنتُ قد ذكرته سابقاً .

٢ ـ يقول القاضي الأكوع في مقدمته للاكليل ص ـ ٤٧ ـ بعد أن تحدّث عن المؤامرات الّتي حيكتْ حول الهمداني : « حتّى استطاعوا أن يؤثّروا على قلب مِلِكِ اليمن وفارس حمير أبي حسَّان أسعد بن أبي يعفر الحوالي فزجَّ بالهمداني في السجن بصنعاء ، وضيّق عليه الخناق ، ولم يراع حقّ الجوار ، ولا القرابة ، ولا فضله ولا علمه ولا . ولا . . استجابة لرغبة الّذي تربطُ بينهما السّياسية المشتركة»! ثم يقول: « ويظهر أن الهمداني سجن مرّتين احداهما : بصعدة وإذاً فالقاضي هنا قد اعترف بأن « فارس حمير » الحوالي قد سجن الهمداني بتأثير أقوال الوشاة .

٣ ـ كان من حسنات القاضي محمد الأكوع أن سجل في مقدمته قصيدة الهمداني الطويلة التي سمَّاها « الجار » لأن الهمداني نفسه يذكر فيها أن الّذي سجنَه وعذَّبه هو السّلطان بن أبي يعفر « أسعد بن ابراهيم » الحوالي صاحب المواقف الوحشيّة مع « التراخم » ومع « بنات وأولاد علي بن الفضل » ، والّذي ظلّ طيلة حياته ذِئباً مُراوغاً يلعب على جميع الحبال . وأوّل هذه القصيدة :

خليليّ إنّي مخبرٌ فتخبّرا ... بذلّة كهْلان وحيرة حِمْيَرَا

إلى أن يقول بعد أن ذكرَ ما يقاسيه في السجن من ويلات وما نزل على أهله « وبنيّاته »من كرْب وبلاء ؛ ومُذكّراً لقحطان مناضلته عنهم :

كأنْ لم تقولوا يومَ ناضلْتُ دونَكم ... لئن ثارتْ عدنان منك لنَثأرا

أمُسْلِم لا يلحقْ « معداً » ملامةٌ ... فاني أراهمْ من قبيلي أعذرا

وهو يشير إلى قصيدته « الدّامغة » التي تعصّب فيها لقحطان ؛ وهاجم فيها الأمويين و « العباسيّين » بما كانوا يمارسونه من جرائم ضد أبناء عليّ كرّم الله وجهه ؛ وبعدها يقولها بصراحة في « اليُعفري » :

فليس يُنْجِيهم من الخزي موتُهم ... إذا كان حرُّ الشعر فيهم معمّرا

ويسقطُ ضِعْفي ذاك عن حيّ حمير ... وسيّدها المنظور فيها ابن يُعفرا

أنختُ به خوف العداة وغدرهم ؛ ... فألفيتُه فيهم على الأمن أغْدرا

فملّكهم منّي مناطَ قِلادتي ... وأسلمني فيهم بأذْني . . وأدْبرا

فلو كانَ إذ لم يحم ظهري استقالني ، ... وأدّبني حتى أبينَ فيُعْذرا

ولكنّـه أغضـــى علـــى الـــذل عينهُ وفـــرَّط في حقّ الجـــوارِ وقصّرا
وأصلـــحَ بي مَا كانَ من قبـــل بينه، وبينَ قُريش الأكرمين - تغيّرا!

وهو يعني« بقريش »هنا « العباسيّين » وأتباعهم في « اليمن » وقد سبق أنّ « آل يُعفر » كانوا لهم عُمّالاً على « صنعاء » في فترات كان الهمداني اثناءها مقيماً بصعدة في ظلال حكم « الامام الهادي » وأولاده حتّى تغير ما بينه وبينهم فنزحَ الى صنعاء وكانَ ما كان .

إنّ هذا النصّ الصَّريح ؛ إلى ما قاله في المقالة العاشرة من سرائر الحكمة يُلْقي تَبِعة سجن « الهمداني » - في نظري على أسعد بن أبي يعفر وما قيل ؛ غيرَ ذلك يظل مشكوكاً فيه ومعرَّضاً للجحود والنّقاش والجدال . !

و «قصيدة الجار »حوالي مائة بيت وهي من الشعر القَصصيّ البديع ؛ ولكنّها مُفعمة بالغَلَطات المطْبعيّة ، وتحريفات النّسّاخ ، ولم يبذل القاضي جهداً في تصْحيحها ، ولا طَلب من شعراء اليمن كالقاضي عبد الله الشماحي أو القاضي ابراهيم الحضراني او الدكتور عبد العزيز المقالح أن يُساعدوه على ذلك . . ولو فَعَل لما تلكئوا ولكنّه قد أحسن صُنْعاً بإثباتها .

٤ - أمّا الملاحظة الرّابعة والأخيرة في هذا التّعقيب فهو ما ورد من كلامٍ عن سجن الهمداني في صفحة - ٣٢٨ وما بعدها وهو : وآل أبي فطيمة الذين قاموا مع إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الرضى ؛ وأخربوا صعدة معه ، وقاموا مع مَن قام من خولان على محمد بن عبّاد فقتلوه وهم الّذين خرجوا ليحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم إلى الرّس « هو الامام الهادي » فملكوه بلد خولان ، وساروا معه إلى اليمن حتّى ملكها . وكانوا عمود أمْره ووكر عزّه ، ونظام دولته ؛ فأقاموا على ذلك حياة يحيى بن الحسين وحياة ابنه محمد بن يحيى « الامام المرتضى » وحياة أخيه « النّاصر » « أحمد ابـن الهـــادي » . .حتى سُجِن الهمداني بيد أسعد ابن أبي يُعفِر فطلبوا فيه فأعلمهم أنّه لم يسجنه ، وأنّ أسعد سجنه في جُرمٍ أجرمهُ اليه ؛ فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العبّاس إلى أبي حسّان « أسعد » طالباً فيه فاعتذر وقال : إنّما كتَب إليّ فيه « الناصر » أن أسجنه نه ، فهو في سجنه عندي ؛ !

فاطلبوا إليه ؛ فإذا أنعم فيكتب إليّ حتى أطلقه ، فانصرف ، وعاوَد جماعة « العشيين » الناصر في الطّلب واعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، وأغلظوا له ، وتباعد أمرهم وأظهروا له الخلاف وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جُماعة وقاتله بمصْنعه كتفى ؛ فسأل الناصر وجوه « خولان » أن يصرفوه ويعلموه أنّه قد فتح له الهمداني « هكذا » فرضي وصرف تلك الجموع وودعه حتّى صحّ له أنّ إطلاق الهمداني كانَ من جهة ابن زياد صاحب زبيد فادبر عن النّاصر الخ ما دار من قِتال وأخبار ، وخلافات بين أولاد الناصر وقبائل « صعدة »

ولا يقدِرُ ناقِدٌ أن يـ. زم بأنّ تِلك العبارات الواردة في مختصر الجزء الأول من الاكليل والمنقولة أعلاه هي من كلام « الهمداني » أمّا أنا فلا يخامرني شك انها من كلام المختصر : محمد بن نشوان الذي أقرَّ أنـه قد تصـرّف في الكتاب تصرّفاً لغوياً ، وحذف ما لا يخل بالمعنى . . وانّه ايضاً قد حرف وغيّر وبدّل ، ولا سيما وقد كان بينه وبين أئمةِ زَمَنِه ما ذكرناه ؛ وأنّـه لم يختصـر الكتاب إلا بعد حوالي ثلاثمائـة عام !! ومـع ذلك ورغـم كل الاحتمـالات فالكلام صريح بأن « لسان اليمن » رحمه الله كان في قبضة « السّلطان » أسعد الحوالي وليس في قبضة الامام « الناصر » ؛ وربّما ـ كمـا تشير الـرواية ـ أن السُّلطان إبراهيم بن زياد قد ساعد على فرار « الهمداني » من السّجن هذه المرّة ـ كما رجّح الأستاذ حَمَد الجاسر ذلك . . ولكنّي اظنّ أن أسعد الحوالي قد ألقى عليه القبض مرةً اخرى أو عدّة مرات . . من يدري ؟ وأن أسعد توفي سنة ٣٣٢ والهمداني في سجنه فأطْلـق سَراحُـهُ ولاذ بآل الضحّـاكَ سلاطين «ريدة» حيث كتب « الاكليل » وغيرَه من كتبه القيمة وشعره البديع حتى توفّي بها. ! وقد قال العلاّمة الشاعر عبد الله الشماحـي في كتابـه « اليمـن » وهـو يتحدث عن سلاطين آل الضحّاك ص ـ ١١٢ ـ وكانَ لِسانُ اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني من المعتـزّين بهـم ، ومـن محاسنهم ،ومفخـرة عَصْرهم .

وهنا يقف القلم وأرجو اني قد أديتُ واجبي الأدبي والتاريخي ، وأن

يصفح « القاضي » والقارىء والناصح إذا كان قد احتدّ القلم ، أو نزق البيان « فأيٌّ هكذا خلِقتْ » وقد حاولتَ المصابرة جهدي والله من وراء القصد وهو نعم المولى .

بروملي ٢٨/ ٢/ ١٩٧٩ م ـ ١/ ٤/ ١٣٩٩ هـ

احمد محمد الشامي

فهـرسُ الكِتاب

الفصل الرابع ٤٩



وللمؤلف أيضاً

١ ـ مِنَ اليَمن .. ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٢ ـ عُلاَلَةُ المغْترب ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٣ ـ ألحانُ الشَّوقِ ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٤ ـ حَصادُ العُمْر ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٥ ـ إلياذَة مِنْ صَنعاَء ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٦ ـ المؤودات ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٧ ـ ألف بآء اللُّزُوميّات ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٨ ـ بَنَاتُ الخَمسين ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

٩ ـ لزوميّات الشِّعرِ الجديد ، ‏ ديوان شعر ‏ مطبوع

١٠ ـ قِصَّةُ الأدب في اليمن ، ‏ دراسات وتاريخ ‏ مطبوع

١١ ـ مِنَ الأدب اليَمني ، ‏ نقد وتاريخ ‏ مطبوع

١٢ ـ مع الشِّعْرِ المعاصر في اليمن ‏ نقد وتاريخ ‏ مطبوع

١٣ ـ مع الأدب في اليمن ؛ ‏ نقد وتاريخ ‏ تحت الطبع

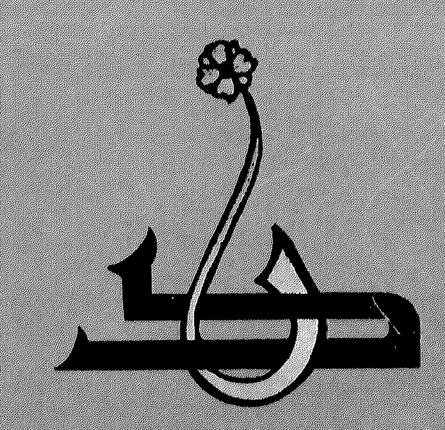
١٤ ـ عَشَرةٌ في حياتي ، ‏ نقد وتاريخ ‏ تحت الطبع

١٥ ـ رسائلُ الشّامي ، ‏ نقد وتاريخ ‏ تحت الطبع

١٦ ـ ديوانُ الهَبَل ، ‏ نقد وتاريخ ‏ تحت الطبع

١٧ ـ « يقول علي بن زايد » ‏ نقد وتاريخ ‏ تحت الطبع





دار النفائس ت ٢٥٨٧٢٨ . ص.ب ١١٦٣٤٧ . بيروت